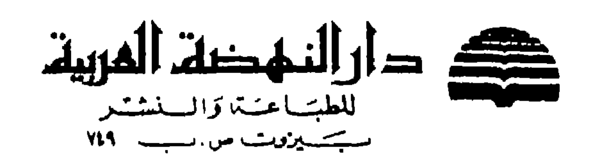
دولة الأدارسة في المغرب

العصر الذهبي

١٧٢ - ٢٢٣هـ/٧٨٨-٨٣٥م

تأليف

الدكتور سعدون عباس نصرالله



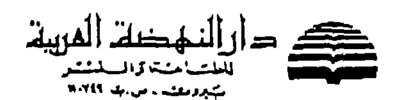
دَولَةُ الأُدارِسَة في المغربْ

العَصرُ الذهَبي

١٧٢ - ٢٢٣هـ/٧٨٨-٨٣٥م

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م



* الإدارة : بيروت ، شارع مدحت باشا ، بناية كريدية ، تلفون : ٣٠٣٨١٦/ ٣٠٩٨٣٠/ ٣١٢٢١٣
برقياً : دانهضة ، ص . ب ٧٤٩-١١
تلكس : NAHDA 40290 LE
29354 LE

* المكتبة : شارع البستاني ، بناية اسكندراني رقم ٣ ، غربي الجامعة العربية ، تلفون : ٣١٦٢٠٢

* المستودع : بئر حسن ، تلفون : ٨٣٣١٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا يعرف التاريخ أسرة كأسرة أبي طالب صاغها المجد تاجاً على مفرق الجهاد ضل عنها حقها فطلبته بصبر وثبات تناضل الظالمين ساخرة من جيوشهم مبتسمة للموت المتوج بالحق فاستشهدوا راضية نفوسهم مطمئنة ضمائرهم صابرين صبراً جميلاً يثير أفانين الإعجاب والإكبار ويشيع فيها ألوان التقدير والإجلال.

وقد تناصر أعداء هذه الأسرة الطاهرة على محاربتها وتفننوا في اختراع ألوان العذاب وأحدثوا صنوف القتل البشع. وما نقموا من آل البيت إلا لأنهم أصحاب حق. ولم يرع الحكام الحاقدون لرسول الله الاً ولا ذمة وصبوا بأسهم الشديد على الأطفال والنساء والرجال في تخلي عن إنسانيته وفي رعونة حمقاء تصبغ جباه الفاعلين بشنآن نفوسهم الشريرة. وغدت مصارع هؤلاء الشهداء حديثاً يروى وخبراً يتناقل وقصصاً يجد فيه الناس حكاية المجد وصلابة الحق فحرصوا عليه وآثروه وكتبوه بدمائهم لأنه يتضمن بذرة الحياة المتجددة.

ورغم كثرة أعداء هذه الأسرة فقد باءت محاولاتهم لاستئصالها بالفشل واستطاع فرع منها أن يفلت من سيوف بني العباس في وقت كانوا في أوج بأسهم وتسلطهم وأن يؤسس دولة في المغرب الأقصى أقضت مضاجعهم على بعد آلاف الأميال فاستخدموا مختلف الأساليب للقضاء عليها فلم يفلحوا.

وبقيت دولة الأدارسة أبعد أثراً من دولة بني العباس من الناحية السياسية ، إذ يعتبرها بعض المؤرخين المعاصرين الأساس لدولة المغرب المعاصرة .

عندما طالعت المراجع التاريخية التي تبحث تاريخ المغرب وجدت أنه لم يتقدم أحد لبحث هذا الموضوع وهذا ما دفعني لخوض غماره والتنقيب عن تاريخ هذه الدولة وإحياء معالمها المدفونة من بطون الكتب لبحث النواحي السياسية والعسكرية والحضارية فتبينت أنها كانت مناراً للإسلام ولحضارته في المغرب الأقصى لقد اندثرت معالم دول قامت إلى جوارها قبلها وبعدها ـ أما معالمها فلم تزل شاهدة على عبقرية العلويين . وها هي فاس تستقبل سنوياً وفود المسلمين والعرب يستظلون قبة مؤسسها الإمام إدريس الثاني للتداول في شؤون العالم الإسلامي ولا سيما القدس .

* * *

أنزلت دراستي هذه في تمهيد وأربعة فصول .

والتمهيد يتضمن دراسة جغرافية وديموغرافية للمغرب الأقصى ، أفضتُ بالحديث عن قبيلة أوروبة البربرية التي استقبلت الإمام إدريس الأول . وفي الفصل الأول بحثت الصراع الداخلي للهاشميين الذين قسمهم إلى علويين وعباسيين ، وكذلك ثورات العلويين ١٤٥ هـ و ١٦٩ هـ التي لم يكتب لها النجاح . وبحثتُ في الفصل الثاني نتائج الثورة الأخيرة وكيف أدت إلى تأسيس دولة للعلويين في المغرب الأقصى على يد أحد أقطابهم إدريس بن عبدالله الذي نجا من مجزرة ١٦٩ هـ ،وبينت الطريق التي سلكها من الحجاز إلى المغرب يرافقه خادمه البربري الأصل راشد وكيف نزل وليلي قاعدة جبل زرهون والتف البربر حَوله فبايعوه وساعدوه على تأسيس دولة ناهضت بني العباس في أوج مجدهم ، وأثبت انقياد المسلمين البربر وإطاعتهم لآل بيت النبي أكثر من العرب الذين كان النبي منهم ـ وأنهيت هذا

الفصل مع نهاية إدريس الأول مؤسس الدولة، وتتبعت في الفصل الثالث المخاض العسير الذي مرت به الدولة ونظرت في وفاة إدريس الأول دون وريث وكيف قيض الله لها المولى راشداً الذي تولى إدارتها بحزم وعزم حتى تمت ولادة إدريس الثاني فبدأت مرحلة الوصاية التي انتهت بمبايعة إدريس الثاني. وهنا رأيت أن مرحلة جديدة من حياة الدولة قد بدأت. ثم بحثت في تولي الإمام إدريس الثاني دولة موطدة الدعائم راسخة الجذور الأمر الذي شجع العرب على الوفود إلى المغرب للمساهمة في نهضتها وكيف أخذت الدولة بعدها الحضاري. وكيف اتخذ الإمام الجديد الوزراء والكتاب والقضاة وبنى مدينة فاس وكيف أن ذلك لم يمنعه عن متابعة الجهاد. فقاد الحملات المظفرة ضد الخوارج، وبلغت الدولة على عهده أقصى اتساع لها وقمة تطورها الحضاري.

وقد سار الإمام إدريس الثاني على النظم السائدة في العالم الإسلامي آنذاك فعهد إلى ابنه بولاية العهد.

وفي عهد هذا الأخير أظهرت كيف أن الدولة مرت بامتحان صعب وكيف قسمها الإمام محمد ـ بناء على نصيحة جدته كنزة ـ إلى ولايات أعطاها لإخوته مع الاحتفاظ بولائهم ـ الأمر الذي أدى إلى حرب بين الإخوة انتهت بسيطرة الحكومة المركزية على الأقاليم. ومع نهاية هذا الفصل تكون الدولة قد بلغت نصف قرن من عمرها الزمني.

وتناولت في الفصل الرابع عبقرية العلويين الادارسة في تنظيم الدولة مبيناً كيف كانوا رجال حكم من الطراز الأول وكيف منحوا المغرب مكانة دولية لم يعرفها خلال تاريخه القديم، فأضحى في ظلال حكمهم يتمتع بكيان دولي لأول مرة في تاريخه مع تحديد هويته السياسية والدينية ـ كما أضحى عربي الانتماء واللسان مسلم العقيدة، وكيف أدخلوا إليه نظم الحكم

الخلافية فعرف الوزارة والقضاء والكتابة. والناحية المهمة التي لا تزال شاهد عيان على حضارتهم هي تخطيط المدن. وأظهرت كيف أنهم حولوا المغرب من أرياف تضم قرى إلى بلد تكاثرت فيه المدن المتحضرة. وأفضت في الحديث عن مدينة فاس وخاصة مساجدها التي كانت منائر للعلم والعبادة. أما تخطيطها فقد جعلها من أهم حواضر المغرب تجسد ذكرى بناتها إلى اليوم.

لقد كانت مرحلة النصف قرن هذه من عمر الدولة عصرها الذهبي تخطيطاً وتنظيماً وبناءً جعلها لا تقل تنظيماً عن الامبراطوريات العربية التي سبقتها أو عاصرتها ـ وستتمحور أبحاثي في دراستي هنا حول هذه الظاهرة بالذات لعلني موفق بإذنه تعالى إلى تأكيدها وإثبات مصداقية رؤيتي إليها.

ولقد اعترضتني في هذا البحث ومنذ الخطوة الأولى صعوبات عديدة، فالباحثون أهملوا دولة الأدارسة، وكتب التاريخ المشرقية تشير بصفحة أو صفحتين إلى دولة استمرت قرنين من الزمان، ناهيك عن اضطراب المعلومات التي توردها فهي تخلط كثيراً بين ثورتي ١٤٥ هـ و ١٦٩ هـ وتنسب أخبار الأولى إلى الثانية وبالعكس، كما تأتي متأثرة بمذهبية ناقلها وميوله العقيدية والسياسية.

وكذلك أغفلت المراجع الأجنبية دولة الأدارسة ولم يتطرق المستشرقون إلى دراستها باستثناء ليفي برفنسال الذي تناول في كتابه (الإسلام في المغرب والأندلس) تأسيس مدينة فاس ورد ذلك إلى الإمام إدريس الأول مخالفاً بذلك المصادر العربية ولا سيما المغربية التي تجزم بأن الإمام إدريس الثاني هو الذي بناها، فأتى عمله يثير التشويش والفوضى وظل تقديره. ظناً وتخميناً. وبعض المستشرقين الذين اهتموا بدراسة الدول الإسلامية فقد اهتموا بدراسة النظم أكثر من اهتمامهم بدراسة التاريخ أمثال

جوايتاين وفلهوزن ولوتورنو وجوليان. . . فقد أصدر جواتياين كتابه: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية وجوليان تاريخ إفريقيا الشمالية وفلهوزن (الخوارج والشيعة وتاريخ الدول العربية ولوتورنو فاس عاصمة بني مرين كلها تتناول التنظيمات أكثر من اهتمامها بتاريخ الأدارسة.

أما المصادر المغربية المتوفرة في لبنان فهي نادرة وتقتصر على بضعة كتب لا تفي بالغرض المطلوب. لذلك قمت برحلة بحث إلى المغرب خلال صيف ١٩٨٠ للاطلاع على معالم الأدارسة الحضارية وللحصول على المصادر التاريخية التي تتضمن معلومات عن تلك الدولة خدمة للحقيقة التاريخية. هناك اطلعت على الأماكن الأثرية التي خلفها الأدارسة ولا سيما مدينة فاس حيث لا يزال ضريح الإمام إدريس الثاني مزاراً للتبرك والدعاء - وقد أخذت عدة صور للضريح وللمئذنة. وتجولت بين المكتبات العامة خاصة مكتبات القصر الملكي والخزانة العامة - قسم الوثائق - ومكتبة كلية الآداب العائدة لجامعة محمد الخامس في الرباط. بالإضافة إلى المكتبات الخاصة في فاس وسلاو الرباط والدار البيضاء. وأكببت على تلك المصادر - وأكثرها ما زال مخطوطاً - أستنطق حروفها وكلماتها للحصول على الحقيقة ولو بصورة نسبية. وبذلك حصلت على معلومات لا بأس بها كانت دفينة المخطوطات. وقد وجدت صعوبة في قراءة بعض الكلمات لاختلاف قاعدة كتابة الخط المغربي عن بعض قواعد الخط العربي بشكل عام. وقد تغلبت على هذه الصعوبة بالدرس والممارسة. كما تغلبت على صعوبة المطبوعات الحجرية التي عمت المغرب في القرن الرابع عشر الهجري. وقمت بدراسة تلك المعلومات فحللتها وقارنت بينها متبعاً أسلوب منهج البحث التاريخي محاولاً تزويد نفسي بالثقافة اللازمة وذلك بجمع المعلومات المتصلة بموضوع البحث من المصادر والمراجع وإثبات صحتها وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان ومكان تدوين المصادر وتحري نصوصها وتحديد

العلاقة بينها ونقدها نقداً باطنياً سلباً وإيجاباً وإثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وتركيبها والاجتهاد فيها وتعليلها وكتابتها بصيغة تاريخية يستثيغها القراء مع الوعي الكامل لكون الحقيقة التي يصل إليها الباحث هي حقيقة نسبية وليست مطلقة لأن ذلك أمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياعَ وانطماس الآثار نتيجة العوامل البشرية والطبيعية وكثرة التزييف عند المؤلفين . وأسباب التزييف كثيرة في هذا المجال تكاد تنطبق كلها على ما قاله ابن خلدون في مقدمته كالتشيع للآراء والمذاهب والثقة بالناقلين والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع والذهول عن المقاصد وتوهم الصدق الذي يرجع إلى الثقة بالناقلين وتقرب الناس لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمديح والجهل بطبائع الأحوال في العمران[1] .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥.

تمهيد

المغرب

- التسمية .
- الجغرافية الطبيعية .
- الديموغرافية المغربية .

المغرب تعبير اتخذ أبعاداً جغرافية مختلفة ـ فكان يدل على الجهة التي تغرب فيها الشمس[1] . ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب العاصمة لجهة مغرب الشمس ـ وأول من استعمل التعبير بهذا المعنى الإمام علي بن أبي طالب ـ ع ـ إذ خاطب الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة العبدي (. . . أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أتارككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب . . .) .[2] . ثم تحدد بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً[3] . غير أن بعض الجغرافيين

(١) القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا جـ ص ٢٢٤ نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ـ مصر ـ ابن خلدون . عبد الرحمن : العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر جـ ٦ ص ٩٨ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٧١ .

(٢) المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ جـ ٢ ص ٣١ الطبعة البهية مصر ١٣٤٦ هـ.

(٣) ابن القاضي المكناسي أحمد: جذوة الاقتباس من ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس جـ ١ ص ١١ ـ دار المنصور للطباعة. الرباط ١٩٧٣ ـ الجزنائي: علي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ٦ المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٧ ـ البكري : عبدالله بن عبد العزيز المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وجزء من كتاب المسالك والممالك) ص ١ ـ مكتبة المثنى بغداد ـ

كانوا يمدون حدوده شرقاً دون أن تؤثر على البعد الجغرافي الذي اتخذه منهم من جعل حدوده الشرقية العقبة التي على الطريق بين برقة والاسكندرية[1] . ومنهم من أخرج برقة منه[2] . وبعضهم الآخر أدخل مصر ضمنه فالشبيهي يذكر أن (مسكن البربر المغرب من مجمع البحرين النيل والبحر الصغير[3] . وابن حوقل جعل الأندلس ضمن حدود المغرب فيذكر: (أما الأندلس فهي جزيرة من جملة المغرب)[4] . أما ابن عذارى فيجعل حدود المغرب الشرقية ضفة النيل بالاسكندرية[5] . ويدخل بلاد الأندلس ضمنه (وبلاد الأندلس أيضاً من

- البزيوني . أبو عبدالله محمد بن حمد بن عبدالله : تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ٦ مخطوط رقم ٤١٣ المكتبة الملكية ـ الرباط ـ الهمداني : أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بالفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٩ ـ ليدن بمطبع بريل ١٣٠٢ ـ العبر جـ ٦ ص ١٠١ ـ

(١) ابن الخطيب : لسان الدين الوزير الغرناطي : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام تحقيق وتعليق د . أحمد مختار عبادي ومحمد إبراهيم الكتاني : ص ١ نشر وتوزيع دار الكتاب ـ الدار البيضاء ١٩٦٤ ـ الأيوبي : الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل صاحب حماه : تقويم البلدان ص ١٢٢ اعتنى بتصحيحه وطبعه رينودو البارون ماك كوكين ديسلان : دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ م ـ الحلبي : أحمد بن عبد الحي الشافعي الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس باب ٢ فصل ٧ ويجعل حدود المغرب الشرقية جبال برقة من الشرق وجبال أوتان وهذه آخر مصر) مخطوط ٣١٢ و ١٠٦٢ و ٨٦٦ الخزانة الملكية و ٦٤٩١ الخزانة العامة قسم الوثائق و ١٥٦٠٠٥ كلية الآداب بجامعة محمد الخامس الرباط ـ طباعة حجرية ١٣١٤ و ١٣١٦ هـ .

(٢) الناصري السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ١ ص ٧١ دار الكتاب الدار البيضاء ١٩٥٤ ويذكر أن برقة خارجة من المغرب .

(٣) الشبيهي : عبد القادر : كتاب أنساب الشرفا الذين لهم شهرة بفاس ص ٣ مخطوط رقم ١٤٥٧ الخزانة الملكية الرباط .

(٤) ابن حوقل النصيبي : أبو القاسم : صورة الأرض ص ٦٥ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت . الاصطخري : إبراهيم بن محمد الفارس : المسالك والممالك ص ٣٣ : تحقيق محمد جابر عبد العال مراجعة شفيق غربال : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة ١٩١١ .

(٥) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب جـ ١ ص ٥ دار الثقافة بيروت .

مغرب وداخلة فيه لاتصالها به)[١] .

يشمل المغرب ثلاث مناطق طبيعية وهذا التقسيم يرجع إلى قرب وبعد منطقة عن بلاد العرب والحجاز[٢] .

المنطقة الأولى عرفت بالمغرب الأدنى أو إفريقية . وهـذه المنطقـة ب نواحي المغرب إلى الحجاز دعيت بهذا الاسم نسبة إلى إفريقيا صاحبة سماء[٣] . أو إلى إفريقش الحميري[٤] . أما الحسن الوزان فيقول : (تدعى يقيا بالعربية من كلمة فرق التي تقابل باللاتينية separait وهناك رأيان حول ه التسمية . الأول أن هذا الجزء ينفصل عن أوروبا وعن جزء من آسيا سطة البحر المتوسط. والثاني أنه مشتق من إفريقوش ملك بلاد العرب سعيدة على اعتبار أنه جاء وسكن ضواحي قرطاجة)[٥] . تمتد هذه المنطقة برقة إلى نفوسة[٦] . وقد حدد الكتاب اللاتينيون في القرن الثاني ق. م. رض الإفريقية بالقسم الذي خضع للنفوذ الفينيقي في تونس[٧] .

المصدر السابق جـ ١ ص ٦.

الاستقصا جـ ١ ص ٧١ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٥ ـ تقويم البلدان ص ١٢٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٢ ـ سالم : السيد عبد العزيز المغرب الكبير العصر الإسلامي ص ١٢٦ دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية ـ الدار : القومية للطباعة والنشر مصر.

مخطوط رقم ٧٨٧ الخزانة الملكية ـ الرباط.

المصدر السابق ويسميه إفريقش بن أبرهة ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٤ العبر جـ ١ ص ٨٩ ـ ابن أبي زرع الفاسي : علي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص ١١٩ دار المنصور للطباعة والنشر الرباط ١٩٧٣ ـ محمود حسن : قيام دولة المرابطين ص ١٢ و ١٣ مكتبة مصر.

الزياني : الحسن الوزان (ليون الإفريقي) وصف إفريقيا ص ٣٥ ترجمة عبد الرحمن حميدة .

الدر النفيس باب ١ فصل ٧ ـ جنى زهرة الآس ص ٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ٧١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٢ .

جوليان شارل أندريه : تاريخ إفريقيا الشمالية ص ٥ : ترجمة محمد المزالي والبشير سلامة =

ويلي إفريقيا المغرب الأوسط ـ يمتد من وهران شرقاً إلى حدود مملكة بجاية غرباً[1]. وأطلق ابن عذارى اسم بلاد الزاب على هذه المنطقة وذكر أنها تمتد من طرابلس شرقاً إلى مدينة تهرت[2].

أما المنطقة الثالثة فهي المغرب الأقصى أبعد أجزاء المغرب عن الحجاز[3]. وفيه أسس الأدارسة دولتهم.

يمتد المغرب الأقصى من البحر المتوسط شمالاً إلى جبال درن جنوباً[4]. ومن وادي نهر ملوية وممر تازا شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً حتى مدينة آسفى[5]. انظر المصورين رقم ١ و ٢.

جغرافية المغرب الأقصى الطبيعية:

يمتاز سطح المغرب الأقصى بارتفاعه وامتداد سلاسله الجبلية التي

= الدار التونسية تونس ١٩٦٩ ـ ويذكر الحسن الوزان الزياني (ولهذا لم يقصد العرب باسم إفريقيا سوى ضواحي قرطاجة ويطلقون اسم المغرب على الباقي) وصف إفريقيا ص ٣٥.

(١) تقويم البلدان ص ١٢٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ٧١ ـ الدر النفيس باب ١ فصل ٧ ويذكر أنه يمتد من تاهرت إلى جبل درن.

(٢) البيان المغرب جـ ١ ص ٥.

(٣) تقويم البلدان ص ١٢٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٢ ويذكر أن بلاد المغرب ثلاث قطع الغربية تعرف بالمغرب الأقصى.

(٤) ابن منصور: عبد الوهاب مؤرخ المملكة العربية: قبائل المغرب جـ ١ ص ٦٤ المطبعة الملكية الرباط ويذكر أنها سميت حديثاً باسم جبال الأطلس ـ صبح الأعشى جـ ٢ ص ٣٣ ويصف الجبل تغطيه الثلوج يبدأ من المحيط ويمتد نحو الشرق يسمى طرفه الشرقي رأس أوتان.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ٧١ ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٥٢ ـ قبائل المغرب جـ ١ ص ٦٣ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٥ ويجعل آخر حدود المغرب مدينة سلا ـ قيام دولة المرابطين ص ١٢ و ١٣ ـ المغرب الكبير ص ١٢٦ ـ تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ٦ ـ ابن رحمون ـ الحسني: التهامي بن محمد بن أحمد: شذر الذهب في جني النسب ص باب الأدارسة وقد ورد ما يلي: لما أتى إدريس مغربنا الأقصى. مخطوط رقم ٢٣٧١ الخزانة الملكية الرباط.

تتخللها وتنبسط قربها نجود وسهول واسعة. وأهم جبال المغرب جبال الأطلس التي شكلت مظاهر السطح في البلاد فانقسم إلى ثلاثة أقسام واضحة مميزة هي الجبال الالتوائية والسهول الساحلية والهضاب والسهول الداخلية[١].

تتألف جبال المغرب من مجموعتين شمالية وجنوبية. الأولى تعرف بجبال الأطلس الساحلية تشرف على البحر المتوسط وتمتد من جبل موسى (٨٥٦ م) المحاذي لسبتة إلى نهر ملوية. وقد أطلق الأوروبيون عليها اسم الأطلس الريفي[٢]. وهي مرتفعة في الوسط قرب تركيست (جبل تيدغين ٢٤٥٢ م) وشفشاون (جبل تيسوكة ٢١٢٠ م).

أما المجموعة الثانية (الجنوبية) فأكثر تعقيداً وارتفاعاً وتضم ثلاث سلاسل جبلية هي من الشمال إلى الجنوب الأطلس المتوسط والكبير والصغير[٣].

تتجه جبال الأطلس المتوسط من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. تنفصل في جبل حيان (٣٠٠٠ م) عن الأطلس الكبير وتصل إلى جبل تزكة المطل على مجاز تازا. وتشرف في الجنوب والغرب على سهل تادلا. يبلغ ارتفاعها في جبل بويبلان (٣٢٠٠ م) وفي جبل موسى وصالح (٣٢١٩ م). وتنتهي في أعالي ملوية. ويمكن إضافة الجبيلات الواقعة شمال مراكش إلى هذه السلسلة[٤]. وتقع إلى الجنوب منها سلسلة جبال الأطلسي الكبير تبدأ من أغادير على المحيط الأطلسي وتمتد نحو الشرق طولها ثمانماية

(١) الصياد: محمد محمود: معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٨٤ دار النهضة بيروت.
(٢) قبائل المغرب ج ١ ص ٦٥.
(٣) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٨٦.
(٤) المرجع السابق ص ١٨٨.

كلم وعرضها يتراوح بين ستين وثمانين كلم. أعلاها قمم جبل العياش ومكون وتوبقال (٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ م)[١]. وهي قليلة الممرات تشرف في الجنوب على سهل السوس. وأخيراً جبال الأطلس الصغير تمتد من رأس نون على المحيط الأطلسي إلى جبل صفرو وتكاد تكون موازية لسلسلة الأطلس الكبير. أعلى قممها قمة جبل فيردوست (٢٠٠٠ م) وقمة جبل أكلين (٢٥١٢) وتشكل جداراً يفصل الإقليم الصحراوي عن بلاد المغرب. تخترقها بعض الأودية كوادي درعة ووادي غير: وتلتقي بجبال الأطلس الكبير في جبل سيروة (٣٣٠٠ م).

تنفرد جبال الأطلس المتوسط بأنها المصدر الرئيسي للمياه في المغرب الأقصى إذ تنفجر منها الينابيع التي تكون الأنهار الدائمة والبحيرات[٢].

السهول الساحلية:

تحاذي السهول الساحلية شواطىء البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. وسهول البحر المتوسط ضيقة كثيراً وتصل الصخور إلى البحر فتقطع السهل إلى أحواض معزولة كسهول الريف الممتدة بين سبتة ومليلة تربتها فقيرة يغلب فيها الجص والجير. تخترقها بعض الأنهار القصيرة التي تنبع من جبال الريف. وقد حالت كثبان الرمل من وصول مياهها إلى البحر فتجمعت في المنخفضات مكونة مناقع أشهرها مناقع بني حسان[٣].

أما سهول المحيط الأطلسي فتنساب بين الهضبة المغربية (الميزيتا) ومياه المحيط. يبلغ عرضها في سهل الشاوية ستين كلم (بين الرباط والدار البيضاء) وثمانين كلم في منطقة الدخلة ويضيق إلى ثلاثين كلم عند رأس

---

(١) قبائل المغرب ص ٦٦.

(٢) سيأتي ذكر الانهار في (مياه المغرب). أما البحيرات فأشهرها بحيرة سيدي علي.

(٣) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٨٨.

حديد ثم يعود إلى الاتساع خلف مدينة الصويرة. يتراوح ارتفاعها بين (١٥٠ و ٢٠٠ م) في الجهات القريبة من الساحل ويصل في الداخل إلى ٧٠٠ م.

يدعى السهل الواقع في مثلث الرباط فاس طنجة سهل الغرب. تخترقه واديان كبيران هما وادي لوكوس ووادي سبو. يسير نهر لوكوس في منطقة جبالة بين مرتفعات شفشاون ووزان حتى يصل إلى السهل الساحلي عند القصر. ويمثل منخفض سبو وروافده خليجاً قديماً يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي[1].

وممر تازا أضيق بقعة في الخليج القديم. وتقترب عنده جبال الأطلس الصغير من الأطلس المتوسط وتفصل بينهما شقة ضيقة يبلغ عرضها ثلاثة كيلومترات وجوانب هذا الممر شديدة الانحدار في الجنوب. ولكن هذا الانحدار تدريجي نحو الشمال[2].

وتحيط المرتفعات بحوض سبو من جميع الجهات إلا في الغرب حيث ينصرف النهر إلى المحيط. وأهم هذه المرتفعات جباله وزعير وزمور. ولكثرة ما يحمل النهر من الرواسب واعتراض الكثبان الرملية مجراه بالقرب من مصبه فقد أدى هذا إلى تكوين مناقع تختلف مساحتها باختلاف الفصول[3]. الهضاب والسهول الداخلية. تحصر السلاسل الجبلية فيما بينها عدداً من الهضاب والسهول الداخلية. تبدأ الهضاب في الغرب بالميزيتا المغربية تمتد من الصويرة جنوباً إلى الرباط شمالاً تشرف في الشمال على حوض نهر سبو وهي رصيف أركي أثرت فيه عوامل التعرية. وتختفي الصخور القاعدية تحت طبقات أفقية في الغالب من صخور رسوبية أحدث

(١) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق ص ١١٣.

نسبياً لكنها تظهر على السطح في بعض الأماكن بفعل التعرية النهرية كما هي الحال في وادي أم الربيع[١] .

وقد قاومت الميزيتا الضغط الذي كون جبال الأطلس وتأثرت هي نفسها بهذا الضغط فانخسف أقصى طرفها الجنوبي نتيجة اضطرابات الزمن الثالث وكون سهل مراكش[٢] .

وتنتهي الهضبة إلى ساحل منخفض تمتد بمحاذاته كثبان الرمال. وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من المغرب هضبة الشطوط ويربطها بالميزيتا ممر تازا .

وتتمثل الهضاب الداخلية بمجموعة في الجنوب والشرق أهمها هضبة سروعة بين الأطلسين الكبير والصغير وهضبة تافللت إلى الشرق من الأطلس الصغير. وتخترقها عدة أودية أهمها وادي درعة[٣] .

أما السهول الداخلية فأهمها سهل فاس ـ مكناس الذي يحتل الحوض الأوسط لنهر سبو. ويعد أخصب أراضي المغرب الأقصى. كان قديماً بحيرة واسعة من المياه العذبة ردمتها مياه السهول والأنهار التي تنحدر إليها من جبال أطلس المتوسط. وبقي للبحيرة مصرف تخرج منه المياه نحو الشمال الغرّبي. يبلغ متوسط ارتفاعه ٤٠٠ م في سهل فاس و ٩٠٠ م في سهل مكناس[٤] .

ومن السهو الداخلية سهل تادلا الكبير الواقع بين الهضبة الكريتاوية

---

(١) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٣ .
(٢) المرجع السابق ـ الصفحة نفسها .
(٣) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٣ .
(٤) المرجع السابق الصفحة ١٩٥ و ١٩٦ .

وسلسلة الأطلس المتوسط ـ يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بطول مئتي كلم وعرض ثلاثين كلم . ينتهي عند وادي أم الربيع يتراوح ارتفاعه بين (٤٠٠ ـ ٥٠٠ م) . تربته فقيرة إلا في الطرف الشرقي المجاور لأطلس المتوسط[١] . وينتهي عند وادي أم الربيع . ويتصل بسهل مراكش بفتحة السرحانة .

أما سهل مراكش فيبلغ طوله مئتي كلم عرضه مئة كلم تحيط به الجبال من كل الجهات من الشرق أطلس المتوسط. ومن الغرب جبل شيادمة ومن الشمال الجبيلات ومن الجنوب حتى يصل إلى ٥٠٠ م. وقد أدت الأنهار المنحدرة من الأطلس الكبير[٢] . يتدرج في الارتفاع نحو الجنوب حتى يصل إلى ٥٠٠ م . وقد أدت الأنهار المنحدرة من الأطلس الكبير إلى تغطية السهل بتربة طمية متوسطة السمك .

ويقع في أقصى الجنوب سهل السوس الذي ينتهي إلى سهل ساحلي بين أغادير وأقنى طوله ٢٠٠ كلم وعرضه أربعون كلم .

ويمكن إضافة أودية الأنهار إلى السهول الداخلية مثل سهل ملوية وأم الربيع وتنسفت . وسهل ملوية حديث التكوين يقع بين أطلس المتوسط وأطلس الكبير[٣] .

مياه المغرب :

إن ارتفاع جبال المغرب وفر لها أمطاراً غزيرة وثلوجاً . تدوم أشهر يغذي ذوبانها الأودية والأنهار التي تنقسم إلى أطلسية ومتوسطية . والأنهار

(١) المرجع السابق ص ١٩٦ .
(٢) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٦ .
(٣) المرجع السابق ص ١٩٧ .

الأولى أطول أنهار المغرب وأغزرها . وهي من الشمال إلى الجنوب : نهر سبو الذي ينبع من الأطلس المتوسط ويصب قرب المهدية طوله ٦٠٠ كلم . ونهر بورقراق ينبع من جبال زيان ويصب بين سلا والرباط طوله ٢٥٠ كلم[١] . ونهر أم الربيع ينبع من جبل حيان ويصب عند آزمور طوله ٥٥٠ كلم . وأهم أودية الأنهار وادي تنفست ينبع من الأطلس الكبير ويصب بين آسفي والصويرة طوله ٢٧٠كلم ووادي سوس ينحدر من جبال لمطة شمالاً ، يخترق مدينة السوس[٢] . ويصب قرب أغادير طوله ٢٠٠ كلم .

وأشهر الأنهار المتوسطة وأطولها نهر ملوية (٤٨٠ كلم) يصب في البحر المتوسط شرق سبتة[٣] . وهناك أودية أنهار تعتبر صحراوية بعضها يصب في المحيط الأطلسي وبعضها الآخر تغور مياهه في الصحراء ، منها وادي درعة الذي ينبع من جبال درن طوله ٢٠٠ كلم[٤] . وأشهر البحيرات بحيرة سيدي علي[٥] .

الديموغرافية المغربية :

عرف العرب سكان المغرب باسم البربر[٦] . ولم يعرفوهم بغير هذا

---

(١) صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٤) المكان نفسه .

(٥) معالم جغرافية الوطن العربي ص ١٩٨ .

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : مادة بربر ص ٥٠١ م ٣ .
يعرّف ابن خلدون في كتابه العبر جـ ٦ ص ٨٩ سكان المغرب بما يلي : هذا الجبل من الآدميين هم سكان المغرب القديم الأقصى ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره . يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل الغز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما تقترب من الرحلة لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأطلسي ، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب =

الاسم . وكانت الصلة معدومة بين الشعبين ، إذ أن علاقات العرب التجارية في مرحلة ما قبل الإسلام وقفت عند حدود مصر ـ ليبيا . ومن المعتقد أنهم اقتبسوا هذه التسمية من الرومان . فقد أطلقت روما كلمة Barbari على الشعوب الخارجة عن نطاق حضارتها .

وقد فسر العرب هذه التسمية تفسيراً لغوياً ، فلهجة البربر أعجمية تختلط فيها الأصوات[1] . وفسرها بعضهم حسب عاداتهم في تقسيم الشعوب ،

= والنتاج . وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأنهم شأن العرب . ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المقرين أهل الإنحاع والأطعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف ويشملون الضماد بالأكسية .

ـ المراكشي : عباس بن إبراهيم قاضي المحكمة المنشية بمراكش الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام ص ١٥٤ . المطبعة الجديدة بفاس ١٣٥٥ هـ .

(١) أولاً : التفسير اللفظي لغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها وهي التي احتصوا بها من أجلها بهذا الاسم . يقال أن إفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وقتل الملك جرجيس المدن وبنى الأمصار، لما رأى هذا الجبل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعي اختلافها وتنوعها وتعجب من ذلك وقال «ما أكثر بربرتكم» . والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ومنها يقال بربر الأسد أي زأر بأصوات غير مفهومة . العبر جـ ٦ ص ٨٩ .

ـ الاستقصا جـ ١ ص ٦١ وينسب إلى إفريقش قوله :

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الضنك للخصب العجيب

ـ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ٧ وقد ورد ما يلي وبربرة لسانهم غير المقصودة .

ـ وصف إفريقية ص ٤٢ وقد ورد ما يلي : اسم البربر مشتق من فعل بالعربية بربر بمعنى تمتم وذلك لأن اللسان الإفريقي يظهر في سمع العرب كأصوات الحيوانات المبهمة الشبيهة بالصراخ والمجردة من المقاطع .

ثانياً : من حيث المعنى . البربر بمعنى التوحش والجهالة الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام ص ١٥٤ .

ـ البربر قبائل رحل كانوا قبل الإسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ٧ . =

فقالوا أنهم ينتسبون إلى جدهم البعيد بر[1]. كما ينتسب العرب إلى جدهم يعرب بن قحطان[2]. سكنوا فلسطين[3] منذ سنة ٦٧٠ بعد الطوفان[4] وأخرجهم منها النبي داوود في القرن العاشر قبل الميلاد[5]. بعد أن قتل ملكهم جالوت[6]. فاتجهوا نحو المغرب حيث نزلوا الجبال والرمال لكونهم

= سميت بلادهم بلاد البربر كانوا في مبدأ أمرهم غاية في التوحش كانوا يأكلون لحوم الحيوانات نيئة ويقتاتون من عشب الأرض كالوحوش ويرقلون على بساط الأرض.

ثالثاً: من حيث المعنى والمبنى: كلمة بربر مزدوجة لأن البر يعني الصحراء يقال أنه في العصر الذي انكسر فيه إفريقو إمام الآشوريين هرب باتجاه مصر وطلب لأصحابه أن يبينوا الطريق الذي عليه أن يسلكه فقالوا له البراي الصحراء وصف إفريقيا ص ٤٢.

- خرج بر بن قيس مغاضباً لأبيه وإخونه إلى جهة المغرب فقال الناس بربر أي توحش في البراري فسموا بربراً: الاستقصا جـ ١ ص ٦١.

(١) برنس ومادغيس الملقب بالأبتر أبنابر. ذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد. وقال سالم بن سليم المطاطي وهانيء بن مسدور الكومي وكهلان بن أبي لو: أن برنس من نسل مازيغ بن كنعان: العبر جـ ٦ ص ٨٩ - بر بن قيس بن عيلان. ولما صار ملك مضر لقيس بن عيلان له ولد اسمه بز الاستقصا جـ ١ ص ٦١ و ٦٢ - البربر الأفارقة أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب: تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٥٤. مطبعة الغري النجف ١٩٣٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: مادة صنهاجة ج ٧ ص ٣٥٩.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ ١ و ٢ ص ٩٧ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٧ - تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٥٤.

(٤) المختصر جـ ١ و ٢ ص ٩٧.

(٥) المختصر كتاب البلدان ص ٨٣ - تاريخ اليقوبي جـ ١ ص ١٥٤ وقد ورد ما يلي:

إخراجهم بعض الملوك - الاستقصا جـ ١ ص ٦٠ وقد ورد ما يلي: وقيل يوشع بن نون وقيل إفريقش الحميري - جلوة الاقتباس جـ ١ ص ١٤ - جنى زهرة الآس ص ٧ وصف إفريقيا ص ٣٥ (بعد انكسار إفريقيو على يد الآشورزيين هرب باتجاه مصر فعبر النيل حتى ضواحي قرطاجة). أنساب الشرفا ص ٤ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٧ - تاريخ دول الإسلام ص ٦ ولم يشر إلى إخراجهم.

(٦) يشير أبو الفدا إلى أن جالوت هو لقب ملوكهم وأن آخرهم هو كلياد المختصر جـ ١ و ٢ ص ٩٧ - أنساب الشرفا ص ٣ و ٤ السلطان عندهم اسمه جالوت.

أصحاب مواشي وسكان الخيام من الشعر .

وفي القرن الرابع الهجري كانت أنساب البربر قد دونت بالعربية واشتهر عدد من النسابة البربر[2] واتخذوا شجرة الأنساب العربية أنموذجاً فقسموا قبائل البربر إلى برنس وبتر[3] .

---

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٤ - جنى زهرة الآس ص ٢ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٧. راجع ما ذكره ابن خلدون عن هذا الشعب. في الهامش رقم ٦ ص ٢٢.

(٢) أورد ابن خلدون في كتابه العبر جـ ٦ ص ٨٩ أسماء أشهر النسابة البربر وهم سالم بن سليم المطاطي وهانىء بن مسدور الكومي وأيوب بن أبي يزيد وكهلان بن أبي لو.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ٦٤ و ٦٥. وقد ورد ما يلي: البربر يجمعهم جدان عظيمان برنس ومادغيس الملقب بالأبتر ويقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس. ابن حزم يقول أنهما لأب واحد من نسل كنعان بن حام، بينما سليمان المطاطي يقول البرانس فقط من نسل كنعان أما البر فهم بنو بر بن قيس بن عيلان بن مضر. - الأصطخري: المسالك والممالك ص ٣٦ يقول البربر صنفان البر والبرانس وسائر البربر البرنس شرق بحر الروم. وفي الصفحة ٨٣ يقول: وكانت دارهم فلسطين وملكهم جالوت.

- جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٤ البربر على صنفين برانس وبر. يقال أنهم من بقايا ولد حام بن نوح وبعض المؤرخين يردون أصولهم إلى العماليق وقال ابن عبد البر أنهم من ولد قبط بن حام بن نوح - المختص جـ ١ و ٢ ص ٩٧. البربر يزعمون أنهم من ولد قيس بن عيلان والأصح أنهم من ولد كنعان بن مازيغ بن حام بن نوح.

ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٢ يقول: ادعت طوائف منهم إلى اليمن وبعضهم إلى بر بن قيس بن عيلان وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً ولا كان لحمير طريق إلى بلاد المغرب (البربر). تحقيق وتعليق محمد هرون دار المعارف مصر.

- وصف إفريقيا: أنهم من السبئيين ص ٤٣ - تاريخ دول الإسلام ص ٦ أنهم خلاط من بني كنعان والعماليق - وقد هجا بعض الشعراء البربر ومنهم الشاعر خلف بن مرج السميسير الأندلسي:

رأيت آدم في نومي فقلت له ... أبا البرية ان الناس قد حكموا
أن البرابر نسل منك فقال إذن ... حواء طالق أن كان الذي زعموا

الاستقصاء جـ ١ ص ٦٤.

ومن البرنس تفرعت قبيلة أوربة[1] التي استقبلت الإمام إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة.

يعود نسب أوربة إلى أورب بن برنس[2]. وقد تفرعت إلى بطون كثيرة منها بجاية ونفاسة ونجد وزهكوجة ومزياتة ورغيوتة وديقوسة[3].

استقرت في منطقة السوس الأدنى[4] إلى جانب عدد من القبائل الأخرى[5]. كان أبناؤها بادىء أمرهم وثنيين[6].

ثم اعتنقوا النصرانية حوالي سنة ٣٢٠ م وذلك بسبب احتكاكهم بالقوط؛ الغربيين الذين سيطروا على الساحل من قيصرية إلى موريتانيا[7].

---

(١) ولد برنس كتامة صنهاجة وعجيسة ومصمودة وأوروبة وأوريفة وازدواجة: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٥ - العبر جـ ٦ ص ٨٩ - الاستقصا جـ ١ ص ٦٥ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٥ يقول أوربة من برانس - أنساب الشرفا ص ٤ من أولاد جالوت وربي.

(٢) العبر جـ ٦ ص ٨٩ و ١٤٦ - الاستقصا جـ ١ ص ٦٥ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٥ جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٥.

(٣) العبر جـ ٦ ص ١٤٦.

(٤) السوس الأدنى يشمل المنطقة الواقعة بين وادي ملوية ووادي أم الربيع. جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ و ١٩.

(٥) من هذه القبائل ترهنة ومغيلة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة. المغرب ص ١١٧.

(٦) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام ص ١٥٤ وقد ورد ما يلي: كانوا أصحاب أوثان ويتقاضون إلى الكهان. - الاستقصا جـ ١ ص ٦٦ وقد ورد ما يلي: يدين كل واحد بما شاء من الأديان الفاسدة - وصف إفريقيا ص ٧٧ - الحسني: محمد بن مصطفى: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية ص ٨٩: البربر كفار. مخطوط رقم ١٠١٩ الخزانة الملكية الرباط.

(٧) وصف إفريقيا ص ٧٧: أصبحوا نصارى قبل ٢٥٠ سنة من ولادة الرسول - الاستقصا جـ ١ ص ٧٠ والقوط مجاورين لهم في الأقصى فحملوا أهل السواحل منهم على الأخذ بذلك الدين. وعرف البربر اليهودية ولعلهم أخذوها من فلسطين قبل رحيلهم إلى المغرب أو من الجاليات اليهودية التي انتشرت في إسبانيا. واضطر بعض أفرادها إلى الهجرة إلى المغرب بعد مؤامرة فاشلة ضد القوط في القرن السابع الميلادي حيث فرضت عليهم العبودية.
- وعرف البربر عبادة النار (المجوسية) على غرار الفرس. ولكن ليس من دليل: على الربط =

كانت لهم الزعامة على سائر قبائل البرنس حتى عهد الفتح الإسلامي لكثرة عددهم وشدة بأسهم[1] . كان أميرهم عند الفتح ستردير بن رومي بن بارزت بن بزريات حكمهم مدة ثلاث وسبعين سنة وأدرك الفتح توفي عام ٧١ هـ / ٦٩٣ م[2] .

وخلفه كسيلة بن لمزم[3] . كان نصرانياً[4] . اعتنق الإسلام على يد أبي المهاجر دينار[5] . بعد أسره في معركة حول تلمسان[6] . ولكنه حقد[7] على

= بين الفرس والبربر من حيث العبادة فقد كان عندهم معابد للنار: وصف إفريقية ص ٧٧.
- روض القرطاس ص ٣١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠ وقد جاء ما يلي: يسكن موضع فاس قبيلتان منهم على النصرانية واليهودية والمجوسية وبيت نارهم بالشيبوبة.
ليفي بروفنسال: الإسلام بالمغرب والأندلس ص ٤٢ و ٤٣. ترجمة عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي - مكتبة نهضة مصر.
- نبذ من الأنيس المطرب ص ٠٦ أنه كان في موضع فاس بيت نار في مكان يدعى بالتيسير. - اللجائي: عبد السلام: المفاخر العلية والدرر الثنية في الدولة الحسنية ص ٧ وقد جاء ما يلي· سكان موضع فاس منهم النصارى واليهود والمجوس مخطوط رقم ٤٦٠ الخزانة الملكية الرباط.

(١) العبر جـ ٦ ص ١٤٦ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠.
(٢) العبر جـ ٦ ص ١٤٦.
(٣) البيان المغرب جـ ١ ص ٢٨ - العبر جـ ٦ ص ١٠٤ و ١٠٨ و ١٤٦ - الاستقصا جـ ١ ص ٨٠ ويسميه بابن أغز - القيرواني: الرقيق: تاريخ إفريقيا والمغرب قطعة تبدأ من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني تحقيق وتقديم المنجي الكعبي ص ٤٩ ويسميه كسيلة بن ليوم الأوروبي، الناشر الرفيق السقطي تونس - ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرام.
الشيباني: الكامل في التاريخ حـ ٤ ص ١٠٧ ويسميه كسيلة بن كرم دار صادر بيروت. دائرة المعارف الإسلامية مادة بربر ص ٥٠٤ م ٣.
(٤) الاستقصا جـ ١ ص ٧٠ و ٨٠ - العبر جـ ٦ ص ١٠٨.
(٥) أبو المهاجر دينار مولي بني مخزوم ولاه مسلم بن مخلد الأنصاري على إفريقيا عام «٥٥ هـ / ٦٧٦ م في عهد معاوية بن أبي سفيان. البيان المغرب جـ ١ ص ٢١ - الاستقصا جـ ١ ص ٨٠.
(٦) الاستقصا جـ ١ ص ٨٠ - العبر جـ ٦ ص ١٤٦ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢٨.
(٧) لم لا تذكر المصادر التاريخية أنه ارتد عن الإسلام: البيان المغرب جـ ١ ص ٣١ - العبر جـ ١ ص ١٤٧.

عقبة بن نافع الفهري[1] الذي ولي مصر عام ٦١ هـ / ٦٨٢ من قبل يزيد بن معاوية إذ أساء الوالي الجديد معاملته[2]. بعد أن اعتقله مع أبي المهاجر اغتنم فرصة عودة الجيش العربي إلى القيروان وتراسل مع أقاربه البربر بتشجيع من الروم فكانت معركة تهودة التي انتهت باستشهاد عقبة وثلاثماية من أنصاره عام ٦٣ هـ / ٦٨٤ م. وكثر اتباع كسيلة بعد انتصاره فزحف إلى القيروان في محرم ٦٤ هـ / ٦٨٤ م واستولى عليها بعد أن أخلاها العرب ما عدا أقلية منهم كسيلة[3]. وأقام أميراً على إفريقيا خمس سنوات[4] حتى ولى عبد الملك بن مروان زهير بن القيس البلوى صاحب عقبة بن نافع على إفريقيا وزوده بجيش قوي استطاع أن يهزم كسيلة ويقتله في معركة

---

(١) عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري صحابي بالمولد وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة. ولد عام ١٠ هـ / ٦٣٢ م استعمله عمرو بن العاص ابن خالته على إفريقيا، أحضع لواته ومزاته. وفي سنة ٤٢ هـ / ٦٦٢ م فتح غدامس وسنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م فتح ودان. وعام ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ولاه معاوية على إفريقيا. بنى مدينة القيروان وفي العام نفسه عزله مسلمة بن مخلد والي مصر وعين مكانه المولى أبا المهاجر دينار فأساء عزله. وبعد وفاة معاوية ولاه يزيد المغرب عام ٦١ هـ / ٦٨٢ م فانتقم من أبي المهاجر واعتقله مع كسيلة الأوروبي. قاد الجيش العربي حتى وصل إلى المحيط الأطلسي. وأثناء عودته هاجمه البربر والروم في تهودة وقتلوه مع أصحابه سنة ٦٣ هـ / ٦٨٤ م. الاستقصا جـ ١ ص ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٨٢ - البيان المغرب جـ ١ ص ١٩ - ٣٠ العبر جـ٦ ص ١٤٦ الإشارة إلى خلاف عقبة وأبي المهاجر باقتضاب.

(٢) عرف أبو المهاجر عقبة بأن كسيلة من ملوك البربر فاستخف عقبة به. وذات أمرعقبة بذبح غنم وأمر كسيلة بسلخها. فقال له كسيلة: أصلح الله الأمير هؤلاء فتياني وعبيدي يكفونني المونة. فقال عقبة: لا ابن عذارى البيان المغرب جـ ١ ص ٢٩ - العبر جـ ٦ ص ١٤٦ - الاستقصا جـ ١ ص ٨٣ ويظهر أنه أخذ عن ابن خلدون الكامل جـ ٤ ص ١٠٧.

(٣) إشارة إلى عدم ارتداد كسيلة عن الإسلام.

(٤) العبر جـ ٦ ص ١٤٠ - البيان المغرب جـ ١ ص ٣٢ و ٣٣ - الاستقصا جـ ١ ص ٨٤ الكامل جـ ٤ ص ١٠٧ - الدولة العربية في إسبانيا ص ٤٤.

ممش[1] عام ١٩ هـ / ٦٩١ م. وأمضى العرب القتل في البربر ولحقوا بهم إلى ممر مرماجنة ثم إلى وادي ملوية[2]. لقد كانت معركة ممش حاسمة أخضعت الروم الذين فقدوا الأمل باسترجاع المغرب، كما أنها كسرت شوكة البربر وخاصة قبيلة أوربة[3] التي لجأت إلى بلاد الزاب واتخذت مدينة وليلي في سفح جبل زرهون قاعدة لها، وأخلدت إلى السكينة. ولم تقم لها قائمة إلى أن قدم عليها الإمام إدريس بن عبدالله العلوي عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م.

(١) البيان المغرب جـ ١ ص ٣٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ٩١ ـ العبر جـ ٦ ص ١٤٧ وقد ورد اسم مجيش يدل ممش وهي على ماء بنواحي القيروان ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٥١ الكامل جـ ٤ ص ١٠٩.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ٩١ ـ العبر جـ ٦ ص ١٤٧ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٣٣ وقد ورد ما يلي وجدوا في طلبهم إلى وادي ملوية.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ٩١ ـ العبر جـ ٦ ص ١٤٧ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٣٣ وقد ورد ما يلي: ذهب رجال الروم والبربر والمشركين وقتل ملوكهم وأشرافهم ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٤ ص ١٠٩ وقد ورد ما يلي: في هذه المعركة ذهب رجال الروم والبربر وملوكهم وأشرافهم.

الفصل الأول

- الصراع بين الهاشميين : انقسامهم إلى علويين وعباسيين .
- المعارضة العلوية المسلحة : الثورات
أ ـ ثورة محمد بن عبدالله (النفس الزكية) في المدينة ١٤٥ هـ .
ب ـ ثورة إبراهيم بن عبدالله (شقيق محمد) في البصرة ١٤٥ هـ .
جـ ـ ثورة الحسن بن علي في الحجاز (مكة والمدينة) سنة ١٦٩ هـ .
- فشل الثورات العلوية المسلحة .

إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ ع[1]

أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر خالد بن العاص بن

---

(١) البزيوني: تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ١١ ـ ابن رحمون: شذر الذهب جني النسب ص ١ ـ الحسني: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية ص ٨٩.
ـ اللجائي: المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية الباب الخامس ص ٦١.
ـ الزياني: بغية الناظر (أرجوزة) ـ مؤلف مجهول: في ذكر الأدارسة بالمغرب الأقصى ص ٢٦٨.
ـ ابن أبي زرع: نبذ من الأنيس المطرب ص ٢ ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ١٩.
ـ الحلبي: الدر النفيس باب ٢ جاء فيه: وقد حاز في هذا النسب أعلى درجات الرتب.
ـ ابن زاكور: المعرب المبين ص ٢٢ ـ السيوطي: ذكر نسب بعض الصحابة ونسب الأشراف الإدريسيين ص ١٩ ـ ابن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٦٩.
ـ السليماني الحسني: اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب ص ١٢٢ وقد ورد ما يلي الناجـي الإمام إدريس من بقية أهل البيت ـ أبو محمد عبد السلام: الدر السني في بعض من بفاس من أهل البيت الحسني ص ٤ ـ ابن حزم جمهرة أنساب العرب ص ٤٩ ـ الرقيق القيرواني. تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ وقد ورد ما يلي: إدريس بن عبدالله بن الحسين بن علي ـ ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٨٩ ـ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ ٢ ص ١. أبو الفرج الأصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٤٨٧ ـ ٤٩٠ ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩٣.
ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٧ ـ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ٢ ص ٤٠ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ البكري: ¤

هشام بن المغيرة المخزومي(٢). ولد في المدينة المنورة(٣). في مرحلة اشتد فيها الخلاف بين العباسيين والعلويين، هذا الخلاف الذي تعود جذوره إلى الدعوة العباسية. فقد كان العباسيون أول أمرهم يستغلون المعارضة الشيعية لإسقاط الأمويين تمهيداً للاستيلاء على الخلافة. لذلك حرصوا على عدم الظهور أمام أنصارهم بأنهم طلاب حكم، فلم يقدموا أشخاصهم بل قدموا القضية التي أرادوا الدفاع عنها وهي تتلخص بالحق والعدل(٤). ولهذا

- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ص ٢١٨ -
- السلاوي الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ١ ص ١٥١.
- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ١٣٧ مطبعة الغري النجف.
- الجزنائي. جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ٩.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب جـ ١ ص ٨٢.
- ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٤٧.

Marcais. Georges: La Berberie Musulmane et l'Orient au moyen age P 117 118.

- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء ص ٣٩٥.

Laroui. Abd-Allah. L'histoire du Maghreb essai de synthese P 105.

- ابن منصور: قبائل المغرب جـ ١ ص ١١٥.
- سالم: المغرب الكبير ص ٤٦٧.
- حسن علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام ص ٤٢١.
- دائرة المعارف: البستاني: مادة إدريس - دائرة المعارف الإسلامية مادة إدريس ٥٤٤.
- دائرة معارف القرن العشرين ص ١٢٢.

Julien. Histoire de L'Afrique blanche P. 84.

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٤٨٧ و ٣٩٦ رقم ٢ - ابن الأبار: الحلة السيراء ص ٣٩٥ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ هامش رقم ١٤ - الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١١ هامش رقم ٢٩.

(٢) لم يحدد المؤرخون السنة التي ولد فيها الإمام إدريس الأول حتى أن أبا الفرج الأصفهاني في مؤرخ مقاتل الطالبين يذكر سنة الوفاة مع عدد سنوات العمر لأكثر الطالبين ما عدا قلة منهم لم يذكر سنوات العمر ومنهم إدريس فيقول بالنسبة لوالد إدريس عبدالله بن الحسن: توفي في محبسه وهو ابن خمس وسبعين سنة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م مقاتل الطالبين ص ١٨٤.

(٣) فلهوزن: الدولة العربية ص ٤٨٩.

أخذوا البيعة لمرضيّ مجهول من آل محمد. كانوا يعملون ما بوسعهم لأن يخفوا عن أعين الناس أنهم يريدون تنحية العلويين. بل كانوا يظهرون أنهم يعملون من أجل الثأر لشهداء كربلاء[1]. وما تلاها من ثورات ضد الأمويين. وبذلك أخفوا حقيقة أمرهم عن أعين الشيعة الذين أدركوا الغرض الحقيقي في وقت متأخر وبعد فوات الأوان.

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة[2] بعد أخيه أبي العباس[3] كان يخشى طموح العلويين وخاصة محمد بن عبدالله بن الحسن[4] - شقيق إدريس إلى الخلافة لأن محمداً كان يردد أن أبا جعفر قد عقد له البيعة أمام عدد من الهاشميين[5]

---

(١) كربلاء مدينة عراقية جرت فيها معركة في ١٠ محرم ٦١ / ٦٨٢ م بين الحسين بن علي بن أبي طالب ع - وبين جيش يزيد بن معاوية الأموي، قتل فيها الحسين مع أنصاره وأهل بيته. وقد أصبح الثأر لشهداء كربلاء شعار العلويين الثائرين على الأمويين.

(٢) أبو جعفر الملقب بالمنصور هو عبدالله بن محمد بن علي العباسي. بويع بالخلافة يوم الأحد ١٢ الحجة ١٣٦ هـ / حزيران ٧٥٦ م وعمره ٤١ سنة فتكون ولادته سنة ٩٥ هـ / ٧١٥ م. توفي في ٦ ذي الحجة ١٥٨ هـ / كانون الثاني ٧٨٥ م دام حكمه ٢٢ سنة. المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٢٢ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: الكتاب الثاني جـ ٣ ص ١٠٠ و ١٢٢.

(٣) أبو العباس لقب بالسفاح هو أيضاً عبدالله بن محمد بن علي العباسي. بويع بالخلافة ليلة الجمعة ٣ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٢ م وقيل في منتصف جماد الآخرة دامت خلافته ٤ سنوات و ٩ أشهر مات بالأنبار نهار الأحد ١٢ ذي الحجة ١٣٦ هـ / حزيران ٧٥٦ م. المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٨٦.

(٤) من محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب -ع- أمه هند بنت أبي عبيدة؛ بن عبدالله بن رفعة بن الأسود بن أسد بن عبد العزي بن قصي: الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٢٣٢.

(٥) من الهاشميين الذين اجتمعوا بالأبواء: من البيت العباسي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وعبدالله بن محمد بن علي (أبو جعفر المنصور) وصالح بن علي. ومن البيت العلوي: عبدالله بن الحسن المثنى وابناه محمد وإبراهيم ونسيبهم محمد بن عبدالله بن عمر وبن عثمان وهو أخ لعبدالله بن الحسن من أمه. أبو الفرج الأصفهاني مقاتل الطالبين ص ٢٠٦. والذي رفض حضور الاجتماع هو الإمام جعفر الصادق بن محمد بن =

عندمـا اجتمعـوا بالأبواء[1] بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبـد الملك[2]. لذلك جد في طلبـه لأنـه كان همـه الـوحيد[3] (فدعـا بنـي هاشـم رجلاً رجـلاً وسألهـم في خلـوة. فكلهـم يقـول يا أمير المـؤمنين أنـك تعرفـه يطلب هذا الشأن قبل هذا اليوم وهو يخافك على نفسه)[4]. إلا الحسن بن زيد فإنه أخبره وحذره من وثـوب محمـد عليه[5]. ولمـا أعيت الحيل المنصـور في القبض على محمد لجأ إلى وسيلة ضغط عليه إذ أمر باعتقال والده عبدالله بن الحسن[6] مع عدد من العلوين. وبعد ذلك أمر بنقلهم من المدينة إلى العراق وأودعهم محبس الهاشمية.

= علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - ٤ -

- يذكر ابن خلدون في كتابه العبر جـ ٤ ص ٣: حضر العقد بالخلافة لمحمد بن علي بن أبي عبدالله بن الحسن أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي العباسي.

- ابن طباطبا: الفخري ص ١٤٦ و ١٤٧ يذكر أن الإمام جعفر الصادق حضر ولـم يبـايع. التاريخ الإسلامي العام ص ٣٩٨. أما ابن خلدون فيذكر أن البيعة تمت في المدينـة العبـر جـ ٢ ص ٣.

(١) الأبواء مكان على طريق مكة. مقاتل الطالبين ص ٢٥٦.

(٢) الوليد بن يزيد عبد الملك الأموي حكم من ٦ ربيع الأول ١٢٥ هـ / ٧٤١ م إلى ٢٨ جمادي الآخرة ١٢٦ هـ / ٧٤٢ م. قتل على يد أقاربه الأمويين ودفن بقرية البحراء من قرى دمشق. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي الكتاب الثاني جـ ٣ ص ١٨٥.

(٣) حج أبو جعفر المنصور أيام خلافة أخيه أبي العباس فلم يحضر للقائه إبراهيم ومحمد أبناء عبدالله بن الحسن. الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥١٧. ولما تولى الخلافة حج عام ١٤٠ هـ / ٧٦٠ م وكان قد بلغه أن محمد بن عبدالله قد تحرك للثورة. فلما قدم المدينة طلبه فلم يظفر به الأصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢١٠ - ابن طباطبا: الفخري ص ١٤٧ وقد ورد ما يلي: وسبب طلب محمد النفس الزكية ليخلعه أو ليقتله.

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٢١٠ - ابن الأثير الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥١٤.

- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ١١ وقد ورد ما يلي: قالوا ما نعلم له موضعاً ولا نعرف له خيراً.

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٢١٠ وقد ورد ما يلي: فلما قال الحسن بن زيـد ذلك فأيقظ من لا ينام. الكامل جـ ٥ ص ٥١٤ وقد وردت عبارة فأيقظ من لا ينام.

(٦) مقاتل الطالبيين ص ٢١٥ ورد ما يلي: لما حج أبو جعفر في سنة ١٤٠ هـ / أربعين ومئة أتاه =

ولما ضاقت السبل بمحمد بن عبدالله وأعيت عليه المذاهب أعلن الثورة على المنصور في ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٤٥ هـ / ٢٥ أيلول ٧٦٢ م[1] ودعا أهل المدينة إلى بيعته. فاستفتوا بدورهم الإمام مالك بن أنس في مبايعة محمد والخروج معه على المنصور إذ بايعوه سابقاً. وكانت فتية الإمام مالك: إنما بايعتم المنصور مكرهين فلا بيعة له في أعناقكم[2].

بلغ المنصور خبر ثورة محمد بن عبدالله بالمدينة فاهتم للأمر وكتب إليه كتاب أمان واعداً إياه بالجميل إن هو رجع إلى الطاعة. فأجابه محمد بوعد مماثل. وكان الأمان موضوع رسائل متبادلة بين الاثنين[3].

لما بلغ ظهور محمد أبا جعفر كتب إليه

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله.

= عبدالله بن الحسن فقال له: أين ابنك؟ قال عبدالله لا أدري؟ قال لتأتيني به! قال لو كان تحت قدميّ ما رفعتها عنه. قال يا ربيع قم به إلى الحبس. وحبسه في دار مروان، وألقى تحته ثلاثة حقائب الإبل محشوة تبناً: ولقب عبدالله بالكامل لكماله في العلم والعمل والحكم والزهد والكرم والشجاعة ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٤٨: عبدالله من سادة أهل البيت. ـ التاريخ الإسلامي العام ص ٤٠٠.

(١) اتفق محمد مع أخيه إبراهيم على إعلان الثورة في وقت واحد في كل مكان من الحجاز والبصرة. ولكن لظروف قاهرة اضطر إبراهيم إلى تأجيلها مدة شهرين بسبب المرض: ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥٢٩ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٥٦. ـ التاريخ الإسلامي العام ص ٤٠٠.

(٢) السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٠ ـ الكامل جـ ٥ ص ٥٣٢.

(٣) نص الرسائل المتبادلة بين محمد النفس الزكية وأبي جعفر المنصور كما ورد عند ابن الأثير جـ ٥ ص ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ وعند الطبري جـ ٧ ص ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ وعند ابن خلدون جـ ٤ ص ٤ و ٥ و ٦ ـ المبرد ص ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨.

ولقد اعتمدت النص الذي أورده الطبري مع حذف فقرات لا علاقة لها بالموضوع.

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا إن الله غفور عظيم ﴾ (القرآن الكريم سورة المائدة الآيتان ٣٣ و ٣٤) . ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وأن أطلق من في حبسي من أهل بيتك وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيء من أمرك، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان معه أبداً . فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تشق به .

فكتب إليه محمد بن عبدالله :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمد. طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . **﴿ ونريدان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين . وتمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾** (سورة القصص الآيات ١ ـ ٥) .

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علي فإن الحق حقنا . وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له شيعتنا وحظيتم بفضلنا . وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء . ثم قد علمت أنه

لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبتنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا لنا لا أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي تمت به من القرابة والسابقة والفضل وأنا بنو أم رسول الله من فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو فاطمة في الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا فوالدنا من النبي محمد ص ومن السلف أولهم إسلاماً علي ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ومن المولدين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة . وإن هاشماً ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد حسيناً مرتين وأن رسول الله من ولدني مرتين من قبل حسن وحسين وأني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً لم تعرق في العجم ولم ينازع أمهات الأولاد فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية فالإسلام حتى اختار لي من الناس فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة أهونهم عذاباً في النار وأنا ابن خير الأخيار وابن خير أهل الجنة ولك والله على أن دخلت في طاعتي وأحببت دعوتي أن أؤمنك على نفسك وما لك وعلى أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد قد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلي . فأي الأمانات تعطيني أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبدالله بن علي أم أمان أبي مسلم .

فكتب أبو جعفر إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتصل به الجفاة الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والأولياء لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا . ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً وأعظمهن حقاً وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم . . .

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماً وأباً لم تلدك العجم ولم تعرف فيك أمهات الأولاد. فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً. فانظر ويحك أين أنت من الله غداً. فإنك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخراً إبراهيم بن رسول الله - ص وعلى والد ولده وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد. وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ص أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسن. وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد ولهو خير منك.

وأما قولك أنكم بنو رسول الله ص فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾ سورة الأحزاب: آية ٤٠). ولكنكم بنو ابنته وأنها لقرابة قريبة ولكنها لا تجوز الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الإمامة. فكيف نورث بها ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ومرضها سراً ودفنها ليلاً فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والخال لا يرثون.

ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام...

ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي غيره فكان وارثه من عمومته ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة من ولده. فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية أو إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه... والسلام عليك ورحمة الله.

استولى محمد على الحجاز واتخذ المدينة قاعدة له[1] وعين على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله، وعلى اليمن القاسم بن إسحاق وعلى الشام موسى بن عبدالله[2]. فأرسل المنصور جيشاً لقتاله بقيادة عيسى بن موسى[3]. زحف عيسى على الحجاز وحاصر المدينة. وكان محمد قد حفر خندقاً حولها[4] وطلب النجدة من مكة واليمن[5]. وقبل أن تصل تلك النجدة دار قتال شديد بين الفريقين. انتهى بمقتل محمد في ١٤ رمضان ١٤٥ هـ / ١ كانون الأول ٧٦٢ م[6]. وبلغ ذلك القوات الآتية لنجدته فتفرقت بعد أن وصلت إلى نواحي قديد[7].

(١) بعد استيلائه على المدينة ألقى محمد خطبة جاء فيها: أما بعد أيها الناس فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر. ولم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء معانداً الله وتصغيراً للكعبة الحرام. وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (سورة النازعات آية ٢٤). وأنا أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين. الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٥٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥٤٢ وقد ورد ما يلي: محمد بن الحسن والقاسم سار إلى مكة ـ ابن خلدون العبر جـ ٤ ص ٤ وقد ورد: الحسن بن معاوية على مكة وعامل آخر على اليمن.

(٣) أبو الفداء المختص في أخبار البشر جـ ٣ ص ٣ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١١١. ـ الكامل جـ ٥ ص ٥٤٢ ـ العبر جـ ٤ ص ٤ ـ المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٣٨ وقد ورد ما يلي: قال المنصور لعيسى بن موسى: أما أن تخرج إليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش وأما أن تكفيني ما أخلف ورائي وأخرج أنا إليه. فقال عيسى: بل أقيك بنفسي يا أمير المؤمنين وأكون الذي يخرج إليه.

(٤) الكامل جـ ٥ ص ٥٤٤. التاريخ الإسلامي العام ص ٤٠٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٢٧٥ ـ المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ٢٣٨ ـ اليعقوبي جـ ٢ ص ١١٢ لم يحدد تاريخ الوفاة ـ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ ٣ ص ٣ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٩٦ قتل بحجار الزيت ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٠ و ١٥١ ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٥٥٠ ـ قتل يوم الاثنين بعد العصر ١٤ رمضان ـ ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٥ ـ ابن طباطبا: الفخري ص ١٤٩ السنة ١٤٥ هـ / .

(٧) الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥٤٢.

وخرج في الوقت ذاته تقريباً على أبـي جعفر المنصـور إبراهيم بـن عبدالله ـ شقيق محمد ـ في مدينة البصرة وذلك غرة شهر رمضان ١٤٥ هـ / تشرين الثاني ٧٦٢ م[١] . استولى إبراهيم على المدينة وأخـذ البيعـة لأخيه محمد. وبعد أن بلغه خبر مقتله خرج من البصرة في أول ذي العقـدة نحـو الكوفة لمقاتلة المنصور[٢] ووصل إلى قرية باخمرى[٣] ، فاستدعى أبو جعفر على عجل عيسى بن موسى لقتال إبراهيم . ودارت معركة في ضواحي الكوفة بين إبراهيم وعيسى انتصر فيها إبراهيم بادىء الأمر[٤] ولكنه هزم أخيراً وبقي يقاتل مع أربعمائة من أنصاره ، وأصابه سهم طائش في حلقه فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً أردنا أمراً وأراد الله غيره[٥] . وقال له أصحابه : أردنـا أن نجعلك ملكاً فأبى الله إلا أن يجعلك شهيداً[٦] . وفاضت روحه نهار الاثنين ٢٥ ذي العقدة سنة ١٤٥ هـ / شباط ٧٦٣ م[٧] .

---

(١) المختص جـ ٢ ص ٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٦٣٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤١٣ ـ الكامل جـ ٥ ص ٥٦٥ .

(٣) باحمري قرية من قرى الكوفة تقع على مسافة ١٦ فرسخاً منها في أواخر الطف مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٣٨ ـ مقاتل الطالبين ص ٣٤٦. التاريخ الإسلامي العام ص ٤٠٣ .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٣٤٦ ـ تاريخ اليعقوبي الكتاب ٢ جـ ٢ ص ١١٣ ـ الكامل جـ ٥ ص ٥٦٥ .

(٥) ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٥٧٠ .

(٦) الأصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٣٤٧ .

(٧) مقاتل الطالبين ص ٣٤٩ ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٦٣٣ ـ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي الكتاب الثاني جـ ٢ ص ١١٤ وقد ورد ما يلي : نزل أبو جعفر مدينة بغـداد نزول مستوطن بعد ثلاثة أشهر في مستهل ربيع الأول ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م بعد مقتل إبراهيم بثلاثة أشهر. ابن طباطبا : الفخري ص ١٤٩ ـ التاريخ الإسلامي العام ص ٤٠٣ وقد رثاهم الشاعر دعبل بن علي الخزاعي :

مدارس آيات خلـت من تلاوة ... ومنـزل وحـي مقفـر العرصات
قبـور بكوفـان وأخـرى بطيبة ... وأخـرى بفـخ نالهـا صلواتي
وأخـرى بأرض الجوزجـان ... وقبـر بـاخمـرى لدى القربات

المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٣٩ .

بعد فشل ثورة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م العلوية، أمعن أبو جعفر المنصور في اضطهادهم فمنهم من قضى نحبه في السجن ومنهم من صودرت أملاكه[١]. ومن قد بلغ الحلم نفي من الحجاز إلى العراق[٢]. واستمرت حملة الإرهاب ضدهم طيلة عهده. ويبدو أنه شعر بوطأة حكمه فخاطب ابنه وولي عهد محمداً[٣] المهدي قائلاً: «إني تركت الناس ثلاثة أصناف فقيراً لا يرجو إلا غناك وخائفاً لا يرجو إلا أمنك ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك[٤]. وقد عمل المهدي على تجنب المشاكل التي اعترضت والده من قبل فأمن الخائفين ورد الأموال وأطلق المساجين ووصل المعدومين[٥]. هذا بالنسبة لعامة الناس ـ فكيف بأنسبائه العلويين؟ فتقرب منهم وأجرى عليهم الأرزاق والأعطية وذلك صلة للرحم وكسباً لودهم وتجنباً لثوراتهم[٦].

وهكذ أخلد العلويون إلى السكينة والهدوء طيلة ربع قرن ١٤٥ ـ ١٦٩ هـ / ٧٦٢ ٧٨٥ م أملاً في لم شملهم وتنظيم قواتهم. ولكن كل حال يزول

---

(١) بعد أن صادر أبو جعفر المنصور أموال عبدالله بن الحسن حج فصاحت به عاتكة بنت عبد الملك وهي أم إدريس وعيسى وسلمان بن عبدالله بن الحسن وهي تطوف بستارة: يا أمير المؤمنين أيتامك بنو عبدالله بن الحسن مات أبوهم في حبسك وأمرت بقبض ضياعهم. وقد ورد بدل كلمة صادر قبض مقاتل الطالبيين ص ٣٩٦.

(٢) قال جعفر بن محمد: لما قتل إبراهيم بن عبدالله في باحمري حسرنا عن المدينة ولم يترك فيها منا محتلم حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل الأصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٣٥١.

(٣) محمد الملقب بالمهدي بن عبدالله أبي جعفر ولد عام ١٢١ هـ / ٧٣٧ م تولى الخلافة بعد وفاة والده عام ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م حتى ٢٢ محرم ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي الكتاب الثاني جـ ٢ ص ١٣٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي ك ٢ جـ ٢ ص ١٢٨.

(٥) المكان نفسه.

(٦) المكان نفسه ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٠٠ وقد ورد ما يلي: كان يغلق الأموال على العلويين.

ويتبدل بتغير الملوك. فما إن وافت سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م ويتسلم موسى الهادي[١] الخلافة حتى انقلبت حالة السلم إلى حالة الحرب مع العلويين. وتفضيل ذلك أن الهادي عين على خرسان خاله الغطريف بن عطاء[٢]. كانت خراسان هادئة وسكانها على طاعة العباسيين. ولكن الوالي الجديد لم يكن محمود السيرة، فقد استغل درجة قرابته من الخليفة وأخذ يتصرف على هواه، مما نفر السكان فاضطربت البلاد، واتصل بعض زعمائها بالعلويين[٣] الذين رأوا الفرصة سانحة للثأر لقتلاهم عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م. فأرسلوا المبعوثين إلى خراسان لبث دعوتهم وأخذ البيعة للرضى من آل محمد[٤]. ولم يكن الهادي بغافل عما يجري في خراسان، فقد اطلعته عيونه على النشاط العلوي وعلى وعود السكان لهم بالنصر والمعونة[٥]، فبادر إلى قطع الأرزاق التي كان يجريها عليهم والده المهدي، وألح في طلبهم وبث الرعب في نفوسهم[٦]. وشدد المراقبة عليهم في المدينة إذ أنها مركز نفوذهم ومنها انطلقت أكثر ثوراتهم. فاستدعى واليها من قبل والده إسحق بن عيسى بن علي العباسي، وعين بدلاً منه عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب[٧] وعهد إليه بمراقبة العلويين والتضييق عليهم. وقام

(١) موسى الملقب بالهادي ابن محمد بن أبي جعفر المنصور ولد سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م وتسلم الخلافة في ٢٣ محرم ١٦٩ هـ / ٦ آب ٧٨٦ م توفي في ١٢ ربيع الأول ١٧٠ هـ / ١٥ أيلول ٧٨٦ م.

(٢) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ك ٢ جـ ٢ ص ١٣٦.

(٣) المكان نفسه.

(٤) الرضا لآل محمد النص الذي بايع على أساسه الخراسانيون: الهاشميين ضد الأمويين.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٦.

(٦) المصدر السابق ص ١٣٧ (واليعقوبي الوحيد الذي انفرد بهذه الرواية).

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩٠ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٢ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة جـ ٢ ص ٥٩ ـ البزيوني: تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ١٠ ـ =

الوالي الجديد بمهمته فأساء إلى العلويين إذ فرض عليهم ما يشبه الإقامة الجبرية وطالبهم بالعرض يومياً فكانوا يعرضون بالمقصورة[1]. وزاد على ذلك بأن أخذ ينسب إليهم التهم الباطلة للتشهير بهم بقصد صرف المسلمين عنهم. فقد اعتقل الحسن بن محمد النفس الزكية مع مسلم بن جندب الشاعر الهزلي وعمر بن سلام مولى آل عمر بتهمة شرب الخمر[2]. وأقام عليهم الحد[3]. ثم جعل الحبال في أعناقهم وأمر بأن يطاف بهم في المدينة مكشفي الظهور لإذلالهم[4]. والمقصود منهم الحسن بن محمد بشكل خاص. وإنما أراد من عمله هذا أن يقول لأهل المدينة بأن العلويين يخالفون تعاليم الإسلام بارتكابهم المحرمات وخاصة شرب الخمر. وهذا كله افتئات وتحامل عليهم فهل يعقل أن يقدم العلويون على مخالفة الشريعة الإسلامية وأنظار المسلمين تتطلع إليهم؟!

أثار هذا العمل حفيظة العلويين، فجاءه الحسين بن علي بن الحسن

- الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٦ - الجزنائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ١٠ وقد ورد ما يلي: استخلف عليها محمد بن عبد العزيز بن عمر.

- حسن علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام ص ٤٢٠.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٢ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩٠ - الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ - التاريخ الإسلامي العام ص ٤٢٠.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ - الكامل جـ ٦ ص ٩٠ - تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٢ ويذكر أن الشراب هو نبيذ - ابن طباطبا: الفخري ص ١٧٣ وقد ورد ما يلي: تهضم لآل علي.

(٣) حد شارب الخمر ثمانون جلدة. وقد جلد الوالي الحسن بن محمد ثمانين جلدة وابن جندب ١٥ سوطاً ومولى عمر سبعة أسواط فقط؛ مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ - ويذكر الطبري جـ ٨ ص ١٩٢ وابن الأثير جـ ٦ ص ٩٠ ما يلي: فأمر بضربهم جميعاً.

(٤) تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٢ - الكامل جـ ٦ ص ٩٠ - مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ وقد وردت عبارة مكشفي الظهور في مقاتل الطالبيين فقط ١٢.

وقال له لقد ضربتهم ولم يكن لك حق أن تضربهم فلم تطوف بهم؟[1] . حتى أن أسماء بنت عبدالله بن عبيدالله بن العباس ـ وكانت معادية للعلويين وساهمت في إفشال ثورة محمد النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م[2] ـ لم ترض بهذا العمل ، فبعثت إلى العمري قائلة لا ولا كرامة ـ لا تشهر أحداً من بني هاشم وتشنع عليهم وأنت ظالم[3] . أمام هذا الاحتجاج الشديد كف الوالي عن عملهم ، ولكنه أمر بسجنهم[4] . فقدم عليه الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن[5] وكفلا الحسن فأخرجه من السجن[4] . في هذه الأثناء وفد على المدينة سبعون من مشايعي العلويين لأداء فريضة الحج ونزلوا بدار ابن أفلح[6] بالبقيع . فبلغ ذلك الوالي فشدد المراقبة والتضييق وتشدد بأمر العرض[7] ، وولى على العلويين الحائك أبا بكر بن عيسى مولي الأنصار[8] ، فعرضهم يوم الجمعة وحجزهم ولم يسمح لهم بالانصراف حتى حان وقت صلاة الظهر فسمح لهم فقط بالذهاب للوضوء . وبعد انقضاء وقت الصلاة حبسهم في المقصورة[9] . ثم عرضهم ونادى الحسن بن محمد وكان قد غاب عن العرض ثلاثة أيام[10]. فاستدعى الكفيلين الحسين بن علي

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٠ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٢ .

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١١١ و ١١٢ ـ الكامل جـ ٥ ص ٥٤٨ ـ الأصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٠ ـ تاريخ الرسل والملك جـ ٨ ص ١٩٢ ويذكر أنهم حبسوا يوماً وليلة ثم كلم فيهم فأطلق سراحهم .

(٥) يحيى شقيق محمد النفس الزكية الذي قاد الثورة عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م .

(٦) الكامل جـ ٦ ص ٩٠ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣ .

(٧) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ .

(٨) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٩) المكان نفسه .

(١٠) ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٠ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣ ـ مقاتل =

ويحيى بن عبدالله وأغلظ لهما القول وطلب منهما إحضار الحسن، فشتمه يحيى وحذره من سوء تصرفه، فانطلق الحائك إلى الوالي وأخبره بالأمر، فاستدعاهما وأمرهما بإحضار الحسن وتهددهما[1]، فأقسم يحي أن لن ينام حتى يأتيه أو يدق عليه بابه[2]. وخرجا من عنده وهما غاضبان[3]، وقال الحسين: أين تجد حسناً؟ أجاب يحي: لم أرد أن آتيه بالحسن والله بل أردت أن دخل عيني النوم حتى أضرب عليه بابه ﷺ معي السيف إن قدرت عليه فقتلته[4].

خشي الحسين من تصميم يحيى لأنه قد خطط للثورة في مكة وليس في المدينة حيث يكون أنصاره من الشيعة قد تجمعوا في موسم الحج[5]. عندئذٍ طلب الحسين من الحسن بن محمد أن يمضي حيث يشاء[6]، وانطلق

= الطالبيين ص ٤٤٤.

يذكر ابن الأثير أن الحسن غاب يومين عن العرض. ويحدد الطبري الأيام فيقول أن الحسن بن محمد غاب أيام اربعاء والخميس والجمعة.

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩٠ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣ ـ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٥ وقد ورد ما يلي: أنا أعطي الله عهداً وكل مملوك لي حر أن ذقت الليلة نوماً حتى آتيك بالحسن بن محمد أو لا أخبره فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني جئتك. وكان الوالي قد تهدد الحسين بن علي بأنه سيحرق سويقة وهي حي العلويين وليضربنه ألف سوط وليقتلن الحسن بن محمد إن وقعت عينيه عليه.

(٣) الكامل جـ ٦ ص ٩٠ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٤٥.

(٤) المكان نفسه المكان نفسه.

(٥) قال له الحسين إن هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا في الميعاد. وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمكة ومنى في الموسم ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٠ أو ٩١ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣ وقد وردت عبارة بمكة أو بمنى ـ وفي مقاتل الطالبيين ص ٤٤٥ و٤٦٦: قال الحسين ليحيى تكسر علينا أمرنا، قال له يحيى وكيف اكسر عليك وإنما بيننا وبين أصحابنا ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى مكة؟ وعند الطبري جـ ٨ ص ١٩٣: تكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الصلة قال: قد كان الذي كان فلا بد منه.

(٦) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦.

الحسين مع يحيى للعمل منذ خروجهما من دار الوالي، وكان جماعة من أهل الكوفة - ممن بايعوا الحسين - متكمنين في دار فانطلقوا للعمل من ساعتهم[1]. واستنفر الحسين العلويين فجاءه أبناء عبدالله بن الحسن يحي وسليمان وإدريس[2] وخرج يحيى يريد دار الوالي فلم يجده[3]. عندئذٍ انطلق الجميع نحو الجامع فدخلوه وقت صلاة الصبح ونادوا بكلمة السر أحد أحد[4]. وصعد عبدالله بن الحسن الأفطس المنارة[5] التي عند رأس النبي . ص - وأمر المؤذن قائلاً: إذن بحيي على خير العمل. فأذن خائفاً. وصلى الحسين بن علي بالناس[6]. ثم دعا بالشهود الذين أشهدهم الوالي عليه بشأن الحسن بن محمد وقال لهم: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمري - إي الوالي - وإلا خرجت من يميني وما عليّ[7]! وبعد ذلك خطب الحسين بالناس المصلين فحمد الله وأثنى عليه[8]. ومما جاء في خطبه: أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله وفي حرم رسول الله. أدعوكم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. أيها الناس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٣.

(٢) وهي المرة الأولى التي يظهر فيها إدريس بن عبدالله على مسرح الأحداث وقد جاء بالإضافة إلى أبناء عبدالله إبراهيم بن إسماعيل طباطبا وعبدالله بن الحسن الأفطس وعمر بن الحسن علي وعبدالله بن إسحاق وعبدالله بن جعفر وغيرهم وبلغوا ستة وعشرين رجلاً من أبناء الإمام علي - ع - مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦ - ويضيف أبو الفدا في المختصر جـ ٢ ص ١١ مع عشرة من الحجاج ونفر من الموالي. السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩١.

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦. وقيل أن هذه كانت شعار العلويين في ثورة ١٤٥ هـ / ٦٧٢ م - مقاتل الطالبيين ص ٣٤٩.

(٥) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦ وهذا آذان الشيعة.

(٦) المصدر السابق ص ٤٤٧ - ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩١ - تاريخ الطبري جـ ٨ ص ١٩٣. Marcais: La Berberie P 117

(٧) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٧.

(٨) المصدر السابق ص ٤٤٧ و ٤٤٨.

السعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه؟ فأقبل الناس على مبايعته : على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد[1] وعلى أن يطاع الله ولا يعصى! وأثناء تلقيه البيعة خاطبهم : على أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ـ ص ـ والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفينالكم وفيتم لنا وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم[2].

فلما انتشر خبر ثورة الحسين أسرع خالد البربري[3] على رأس مئتين من الجنود بصحبة الوالي ووزير بن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الثروي مع جماعة من أنصارهم[4] ودخلوا المسجد من باب جبرائيل[5]. واقتحم خالد الرحبة وحمل على العلويين، فأسرع إليه يحي وإدريس، عاجله يحيى بضربة على أنفه فقطعه[6] ودار له إدريس من خلفه وصرعه،

(١) السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩١ الطبري تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤ وقد ورد ما يلي : فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه ـ ص ـ للمرتضى من آل محمد. ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٠ ابن طباطبا : الفخري ص ١٧٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ١ ص ٩١ ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤ ـ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٥٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨.

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤ : وهو يومئذ على الصوافي بالمدينة وقائد على مئتين من الجند ـ الجزنائي: جني زهرة الآس ص ١٠

ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧.

(٤) الكامل جـ ٦ ص ٩١ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤.

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨.

(٦) ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩١ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤ ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٠ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ويصف أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ مقتل خالد فيقول: فبدره يحيى وضربه على جبينه وعليه البيضة والمغفر والقلنسوة فقطع ذلك كله وأطار قحف رأسه عن دابته.

وحمل العلويون على الوالي وأصحابه فأخرجوهم من المسجد، ولاذ الوالي بالفرار وتفرق الناس[1] وأغلق أهل المدينة أبوابهم.

وعاد القتال من جديد صباح اليوم التالي الأحد، إذ اجتمع شيعة بني العباس على قتال العلويين ودارت معركة رهيبة بين الفريقين فيما بين رحبة دار الفضل والزوراء[2]. واستمر القتال حتى الظهر وكثر القتل بين الفريقين ولم تكتب الغلبة لأحد. وفي عصر لك اليوم صدف وصول القائد العباسي مبارك التركي[3] يرافقه عدد من الجنود - لزيارة المدينة. وكان باستطاعته حسم المعركة لصالح العباسيين ولكنه كره قتال الحسين فأرسل إليه سراً: إني والله ما أحب أن تبتلي بي ولا أبتلي بك فابعث الليلة إليّ نفراً من أصحابك ولو عشرة يبيتون عسكري حتى انهزم واعتل بالبيات[4]. ونفذ الحسين ما اتفق عليه مع مبارك فأرسل نفراً من جنده. فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم مبارك وأصحابه[5]. وكان ذلك سبب غضب الخليفة الهادي عليه، إذ جرده من ماله ووظائفه وجعله سائس الدواب. وبقي كذلك حتى وفاة الهادي[6]. وفي اليوم التالي سيطر الحسين على المدينة وأقام بها أحد عشر

(١) الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤.

(٢) المكان نفسه المكان نفسه - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧. - جني زهرة الآس ص ١٠ وقد ورد ما يلي: ثم قاتل بالمدينة شيعة بني العباس.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ - الكامل جـ ٦ ص ٩١ - تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٥ ونزل ببئر المطلب - جنى زهرة الآس ص ١٠ ويذكر أن اسمه برمك.

(٤) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ و ٤٤٩ - ويذكر ابن الأثير في الكامل والطبري في تاريخ الرسل والملوك أن مباركاً أرسل إلى الحسين يقول له والله لأن أسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر علي من أن تشوكك شوكة أو أقطع من رأسك شعرة. ولكن لا بد من الأعذار فبيتني، فإني منهزم عنك الكامل جـ ٦ ص ٩١ و ٩٢ - تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٤.

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ - الكامل جـ ٦ ص ٩٢ - تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٩٥.

(٦) الكامل جـ ٦ ص ٩٣ - تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٠٠.

يوماً يتجهز للخروج إلى مكة[1]. خرج الحسين من المدينة قاصداً مكة نهار السبت الواقع في ٢٤ ذي العقدة ١٦٩ هـ / ٢٧ حزيران ٧٨٦ م[2]. مع أهله وأصحابه وهم زهاء ثلاثماية شخصاً[3]، واستخلف على المدينة دينار الخزاعي[4]. وانتهى الحسين إلى فخ[5] ووجه نداء إلى عبيد

---

(١) المكان نفسه المكان نفسه ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٠ Marcais: La Berberie

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٥ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٢ ـ المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ص ٢١٤ ويذكر: ثم حرج إلى مكة في ذي القعدة سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٧ م؟

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٤ ويذكر أن منهم يحيى وإدريس ابن عبدالله بن الحسن.

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩.

(٥) تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٤ ـ البكري: المغرب ص ١١٨ ـ ابن تفري بردى النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٩ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٧ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ بغية الناظر (أرجوزة): وعام فر إدريس الرضا من وقعة فخ وللمغرب قضى ـ التازي: عبد الهادي جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٦ ـ الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ص ٨١ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١٠.

هؤلاء المؤرخون لم يحددوا المسافة بين فخ ومكة.

وبعض المؤرخين ذكر أن فخ تبعد ثلاثة أميال عن مكة وهم:

ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٨٠ ـ ابن رحمون شذر الذهب ص ١ ـ اللجائي: المفاخر العليا ص ٦١ ـ العبر جـ ٦ ص ١٤٧ ـ جنى زهرة الآس ص ١٠ ـ روض القرطاس ص ١٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ Marcais: Berberie P. 117: pres de la Mekhe وبعضهم الآخر حدد المسافة بستة أميال:

ـ المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٦ ـ التاريخ الإسلامي العام ص ٤٢٠.

ـ نبذ من الأنيس المطرب لابن أبي زرع، بينما يذكر في الكتاب أن المسافة ٣ أميال بعض المؤرخين يذكر اسم وج: مؤرخ مجهول، في ذكر الأدارسة ص ٢٦٨ ويذكر وادي وح قرب الطائف ـ اللسان المعرب ص ١٢٢.

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين أن الحسين انتهى إلى فخ وبلد ص ٤٤٩.

مكة قائلاً: أيما أتاني فهو حر[١].

وحج في تلك السنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م جماعة من وجهاء العباسيين منهم العباس بن محمد ومحمد بن سليمان وموسى بن عيسى وسليمان بن أبي جعفر المنصور[٢]. وكان خبر الثورة قد ترامى إلى مسامع الهادي فكتب إلى سليمان بن محمد بتولي قيادة العباسيين[٣] وكان قد قدم من البصرة لأداء فريضة الحج[٤]. سار محمد بالجيش العباسي لملاقاة الحسين وكان قد ازداد عدد أفراده بمن انضم إليه من أنصاره وأتباعه فأصبح أربعة آلاف جندي[٥]، ونزل بذي طوى[٦] يوم الخميس[٧] وهناك نظم جيشه. بالإضافة إلى قيادة الجيش جعل نفسه على الميمنة والعباس بن محمد وموسى بن يحيي على

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٩٢ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦ ـ أبو الفدا: المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥١.

(٢) الكامل جـ ٦ ص ٩٢ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٠ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٧ ـ المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٦ ـ المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ ويضيف الأصفهاني إلى هؤلاء جعفر بن سليمان ومنارة ومبارك التركي والحسن الحاجب والحسين بن يقطين: مقاتل الطالبيين ص ٤٥١. Marcais: Berberie P. 117

(٣) الكامل جـ ٦ ص ٩٢ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ٢ ص ١٧ ـ جني زهرة الآس ص ١٠٠ ـ ابن أبي زرع، روض القرطاس ص ١٦ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥.

ـ عبد الهادي التازي: جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ ـ ابن رحمون: شذر الذهب ص ٥ يذكر أن القائد هو محمد بن المنصور.

(٤) ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٦ ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦ ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٢. والطبري وابن الأثير يذكران وقد سار بجماعة وسلاح من البصرة ـ ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٤.

(٥) ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ أبو الفدا: المختصر جـ ٢ ص ١١ ولم يحدد العدد ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٠ ـ Marcais: P. 117

(٦) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٢ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦.

(٧) تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٦.

الميسرة وسليمان بن أبي جعفر على القلب[١] . لقد كان الجيش العباسي متفوقاً بالعدة والعدد على العلويين . لذلك كانت نتيجة المعركة محسوسة لصالح العباسيين . وبالواقع لم تكن هناك معركة بل مجزرة بدأت فجر يوم السبت ٨ ذي الحجة ١٦٩ هـ / ١١ حزيران ٧٨٦ م المصادف يوم التروية[٢] فقد زحف محمد بن سليمان على فخ حيث يخيم الحسين مع أنصاره وبدأت المناوشات مع ميسرة الجيش العباسي التي تراجعت أمام العلويين وفق خطة متفق عليها لإخراج الحسين وأنصاره من مواقعهم وكان أن اندفع الحسين وراءهم . عند ذلك حملت على العلويين ميمنة الجيش وأحاط بهم من الخلف وانقض عليهم العباس بن محمد وسليمان بن أبي جعفر ببقية الجيش فطحنوهم طحنة واحدة . وقتل الحسين مع أكثر أنصاره[٣] . فاحتز الجند

---

(١) المكان نفسه ويذكر معاذ بن مسلم بدل أبي سليمان أبي جعفر .

(٢) الكامل جـ ٦ ص ٩٢ ـ تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٧ ـ المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ البكري : المغرب ص ١١٨ ـ المسعودي . مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٦ ـ الحسني : اللسان المعرب ص ١٢٢ ـ ابن رحمون شذر الذهب ص ٥ ويذكر السنة ١٧٠ هـ / ٨٧٦ م ـ الحسني : محمد مصطفى : الحلل البهية ص ٨٩ ـ الإدريس : الدرر البهية ص ٥ ـ ابن أبي زرع : نبذ من الأنيس المطرب ص ١ ـ التازي : جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ ـ الحلبي : الدر النفيس باب ٢ فصل ٦ ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٦ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ١١ ـ ابن خلدون العبر جـ ٦ ص ١٤٧ .

(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٥١ ـ الطبري : تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٧ ـ ويذكر الطبري تفاصيل المعركة : جاء الحسين مع أصحابه ستر عليهم ثلاثة من جيش محمد بن سليمان وكان الوعد الرأس بـ ٥٠٠ درهم ، فغادر بنجوبه غلام حسان يحمل راساً . أما أصحاب محمد فقد عرقبوا الإبل فسقطت محاملها فقلبوهم وهزموهم . وكانوا خرجوا من تلك الثنايا الذين خرجوا ما يلي محمد بن سليمان أقلهم وأكثرهم مما يلي موسى بن عيسى فأطبقوا عليهم .

ـ ويذكر الأصفهاني ما يلي . فكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئاً حتى أعذروا في الوادي وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين . Marcais: Berberie. P. 117.

رأسه وأحضروه إلى العباسيين[1] ثم جمعت الرؤوس فكانت أكثر من مئة رأس[2] من بينهم رأس سليمان بن عبدالله بن الحسن[3]. وأصيب الحسن بن محمد بن عبدالله بنشابة في عينه[4] ومع ذلك بقي يقاتل بانف حتى ناداه محمد بن سليمان عارضاً عليه الأمان[5] فقيل: ولكن موسى بن عيسى أمر بقتله فضربه العباس بن محمد، مما أدى إلى غضب محمد بن سليمان خاصة وأن الحسن كان ابن خاله. وسويت القضية بينهم بأن عرضوا عليه رجلاً منهم ليقتله ثأراً للحسن[6]. وبقيت جثث القتلى ثلاثة أيام[7]، لم يأذن العباسيون بدفنها حتى أكلتها الوحوش والطيور[8].

كانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ[9]. وكثر شعر الشيعة في رثاء قتلاهم ومن ذلك

---

(١) أبو الفدا: المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ ابن الأثير جـ ٦ ص ٩٣ ـ الطبري: تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٧ وقد ورد ما يلي: فلما بلغوا ذي طوى لحق رجل من أهل خراسان يقول البشرى: البشرى هذا رأس الحسين: ـ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٩ ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٧ ـ المسعودي مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٦ ـ القيرواني: تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ ـ البزيوني: تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ١٠ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ روض القرطاس ص ١٦ ـ جنى زهرة الآس ص ١٠ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥١ ـ ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٤٧.

(٢) المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥١.

(٣) المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥١.

(٤) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٥١.

(٥) المصدر السابق الصفحة ذاتها وقد ورد ما يلي: وناداه محمد بن سليمان يا ابن خال لك الأمان.

(٦) مقاتل الطالبيين ص ٤٥١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ ويذكر أنه أسر وضربت عنقه صبراً!

(٧) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ ـ جنى زهرة الآس ص ١٠.

(٨) المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٦ جنى زهرة الآس ص ١٠.

(٩) التاريخ الإسلامي العام ص ٤٢٠.

قول أحدهم[1] :

فـلاء بكين علـى الحسين   بعولـة وعلـى الحسن
وعلى ابن عاتـكة[2] الذي   تركمـوه ليس بذى كفن
تـركوا بفـخ غدوة   في غير منزلـة الوطن

(١) المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٧ - جنى زهرة الآس ص ١١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ .
(٢) هو سليمان بن عبدالله شقيق إدريس .

الفصل الثاني

- نتائج فشل الثورة المسلمة :

أ - لجوء إدريس بن عبدالله إلى المغرب .

ب - تأسيس الدولة العلوية الإدريسية .

- توسيع الدولة الجديدة وأثر ذلك التوسع .

أ - أنظار العباسيين تتجه نحو إدريس الإمام .

- نهاية الإمام إدريس الأول (مؤسس الدولة على يد الرشيد العباسي).

كان لفشل ثورة الحسين بن علي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م نتائج سلبية على العلويين المشتركين فيها. فقد حاول العباسيون استئصالهم[١]. ولكن يشاء القدر أن ينجو من تلك المجزرة إدريس وأخوه يحي[٢]. واختار إدريس طريق المغرب واختياره للمغرب ليس عبثاً بل عن تخطيط مدروس فأخوه يحي اتجه نحو الشرق، والمشرق كان مركز الدعوة العباسية وأكثره موال لهم، وإن ظهرت بوادر العصيان ضدهم فيبقى عباسي الولاء، ولا

(١) الحسني: اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب ص ١٢٢.

Marçais: Berberie P. 117.

(٢) يحي بن عبدالله بن الحسن اشترك بثورة الحسن بن علي، فر بعد المعركة إلى بلاد الديلم في الشرق ودعا الناس إلى بيعته. فجهز الرشيد إليه جيشاً بقيادة الفضل بن يحي البرمكي، فكاتبه الفضل وبذل له الأمان فقبل يحي العرض شريطة أن يكون الأمان بخط الرشيد ويشهد فيه الأكابر وطلب اليمين منه. ففضل الرشيد ذلك وحضر يحي إلى بغداد فأكرمه الرشيد وبذل له المال. وأخيراً بعد أن طمأنه اعتقله ومات في سجنه - السلاوي: الاستقصا جـ١ ص ١٥٢ - الأصفهاني - مقاتل الطالبين ص ٦٣ - ٤٨٣ - البزيوني: تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ١٠ وقد ورد ما يلي: فر يحي إلى بلاد الديلم، وكان سبب نكبة البرامكة الصلح مع يحي.

Julien: P 24.

Marcais: Berberie P. 117.

Larui: P. 105.

والعقل والدين والنصيحة لآل البيت[1]. وهنا برز إخلاص راشد لسيده إدريس، فعندما جد الهادي في طلب الحسنيين والبحث عنهم، بعث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد في أطراف البلاد فلا يمر أحد حتى يعرف ويعلم صحة نسبه ومن أين قدم وإلى أين يسير[2]. فجنب راشد سيده إدريس هذه الصعوبات إذ عمد إلى أسلوب التمويه فألبسه ثياباً قديمة ممزقة[3]. وزاد على ذلك بأن صيره كالخادم له يأمره وينهاه[4]. وإدريس على هذه الحال غادر الحجاز بعد أن ترك أهله وماله في المدينة[5]. مغتنماً فرصة عودة الحجاج إلى ديارهم. فانسل مع حجاج مصر وإفريقيا[6] متخفياً مع راشد.

= الإدريسي: الدرر البهية ص ٥ وقد ورد ما يلي: راشد مولى أخيه وقيل خادمه.
الوافي في المسألة الشرقية ص ٢٠٠.
الرأي الراجح راشد مولي إدريس.

(١) روض القرطاس ص ١٨ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨.
ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨.
ـ جنى زهرة الآس ص ١١ ـ نبذ من روض القرطاس ص ٢.
ـ البكري: المغرب ص ١١٨.

(٢) الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ روض القرطاس ص ١٨.
ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٣ و ١٥٤. Hamet: hist. du Mag. P. 10.

(٣) ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ ـ البكري: المغرب ص ١١٨ ـ الحلبي: الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ ابن أبي زرع نبذ من روض القرطاس ص ٢. Hamet: hist. du Mag. P. 10.

(٤) المغرب ص ١١٨ ـ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ ـ روض القرطاس ص ١٩ ونبذ من روض القرطاس ص ٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ الحسين: الحلل البهية ص ٨٩.

(٥) ابن رحمون: شذر الذهب ص ٢ وقد ورد ما يلي: وترك في المدينة بنتاً من صلبه اسمها فاطمة ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨: ترك في الحجاز أهله وماله ـ ابن عبد السلام: الدر النفيس ص ١٥ ترك بالمدينة بنتاً اسمها فاطمة.

(٦) مقاتل الطالبيين ص ٤٨٨ ـ المغرب ص ١١٨ وقد جاء ما يلي: فخرج من جملة الحاج منحاشاً عن الناس. جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣: خرج مع حجيج إفريقيا.

وركبا الاثنان البحر من ميناء ينبع إلى بلاد النوبة[1]. ومنها تابعا السير حتى دخلا مصر[2].

إدريس في مصر:

وفي مصر كان للعلويين أنصار وعلى رأسهم صاحب بريدها واضح[3]. مولى صالح بن أبي جعفر المنصور وكان شيعياً[4]. بادر إدريس إلى الاتصال به. وما إن عرف بوجوده حتى أسرع إلى لقائه في مخبئه. وهنالك عمل على إخراجه من مصر بالسرعة الممكنة خشية عليه من عيون بني العباس

(١) جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣.

(٢) روض القرطاس ص ١٦ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ ـ جنى زهرة الآس ص ١١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ ـ النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٤٠ و ٥٩ ـ أعمال الإعلام ص ١٨٩ ـ المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨١ ـ جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣. ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٨٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ وقد جاء ما يلي: يا مصر حل بأرضه التأنيس لما غشى له المرتضى إدريس ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦ ـ مؤلف مجهول: في ذكر الأدارسة بالمغرب الأقصى ص ٤٥٣.

Hamet: hist. du Mag. P. 10.

(٣) الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ ـ جني زهرة الآس ص ١١ النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٤٠ و ٥٩ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ ـ المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ تاريخ إفريقيا ص ٢١٥ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٨٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٠ ـ وواضح هو ابن عبدالله الخصي كان من المقربين من أبي جعفر المنصور ولاه المهدي على مصر بعد عزل عيسى بن لقمان في جمادي الأخرة الأول ١٦٢ هـ / ٧٧٧ م ودخلها نهار السبت ٢٤ جمادي الأول ١٦٢ هـ / ٧٧٧ م ولكنه عزل عنها بعد ٤ أشهر من العام نفسه وذلك في رمضان واستمر على البريد حتى قتل: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٤٠.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ ـ المختصر: جـ ٢ ص ١١ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ ويذكر أن واضح: كان رافضياً خبيثاً ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٠ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ مؤلف مجهول في ذكر الأدارسة بالمغرب الأقصى ص ٤٥٤ ـ

والوالي سليمان بن علي[1] فقرر أن ينقله مع قافلة البريد إلى خارج حدود مصر[2] لأن القافلة معفية من التفتيش ومن التدقيق بهوية موظفيها لأنهم من

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٣ ـ روض القرطاس ص ١٨ .

(٢) المختصر جـ ٢ ص ١١ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٣ .

ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ .

ـ النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٩ .

ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ .

ـ جنى زهرة الآس ص ١١ .

ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ و ١٥٣ .

ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٨٣ .

ـ تاريخ دول الإسلام بالمغرب الأقصى ص ١٠ .

ـ الحلل البهية ص ٨٩ .

ـ مؤرخ مجهول : في ذكر الأدارسة بالمغرب الأقصى ص ٤٥٤ . وقد ساق مؤرخون آخرون (البكري والحلبي والأصفهاني وابن أبي زرع) رواية أضعف من الرواية الأولى وهذا نصها :

دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيرون يمشيان في بعض طرقها لا هداية لهما بالبلاد إذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها ونعمة أهلها . فجلسا في دكان على باب الدار فرآهما صاحب الدار فعرف فيهما الحجازية وتوسم في خلقتهما الغريبة . فقال : اخالكما غريبين قالا : نعم ، قال : وأراكما مدنيين . قالا : نعم نحن كما ظننت (فإذا الرجل من موالي بني العباس بينما يذكر ابن أبي زرع (إن الرجل من شيعة أهل البيت ومواليهم ص ١٧) . فقام إليه راشد وقد توسم فيه الخير . فقال له : يا هذا قد أردت أن ألقي إليك شيئاً ولست أفعل حتى تعطيني موثقاً أن تفعل إحدى خلتين : إما آويتنا وتتقرب إلى الله بالإحسان إلينا وحفظت فينا نبيك محمد (ص) . وإن كرهت ما ألقيته إليك سترته علينا . فأعطاه على ذلك موثقاً . فقال له : هذا إدريس بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي (ع) خرج من موضعه مع حسين بن علي فسلم من القتل وقد جئت به أريد بلاد لبربر فإنه بلدنا لعله يأمن فيه ويعجز من يطلبه . فأدخلهما منزله وسيرهما حتى تهيأ خروج رفقه إلى إفريقيا . فاكترى لهما جملاً وزودهما وكساهما . فلما عزم القوم على الشخوص قال لهما : إن للأمير مسالحلا يجوز أحد إلاّ فتشوه . وهاهنا طريق اعرفها لا يسلكها الناس فأنا أحمل هذا الفتى يعني إدريس في هذه الطريق الغامضة البعيدة فألقاك به (يقول لراشد) في موضع كذا . وهناك تنقطع مسالح مصر فركب راشد في إحدى شقتي المحمل ووضع قناعه في الشق الآخر . ومضى مع الناس في القافلة وخرج الرجل على فرس له وحمل إدريس على فرس أخرى فمضى به في الطريق الغامضة وهي مسيرة أيام حتى تقدم الرفقة =

الأشخاص المخلصين للخليفة. وهكذا استغل واضح مركزه لإنقاذ إدريس فحمله مع راشد إلى خارج حدود مصر. ولما أصبح بمأمن من مسالح التفتيش انفصل مع راشد عن قافلة البريد بعد أن ودع واضحاً وشكره. وسار الاثنان حتى دخلا القيروان[1]. ولقد دفع واضح حياته ثمن هذا العمل فصلبه هرون الرشيد[2].

وأقاما ينتظرانها حتى وردت فركب إدريس مع راشد. المغرب ص ١١٨ و١١٩ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٨ ـ الدر النفيس فصل ٨.

وضعف هذه الرواية يظهر في النقاط التالية:

أولاً: لا تذكر الرواية أنه كان بمصر أنصار لإدريس أو لآل البيت وإلا ذكر ابن أبي زرع فرواية البكري تناقض ذلك.

ثانياً: ليس معقولاً أن يصل إدريس إلى مصر ويتجول في طرقاتها خائفاً دون أن يلفت نظر أنصار العباسيين فيها.

ثالثاً: إن الرجل الذي أخرج إدريس إلى خارج مصر كان عباسي الولاء حسب وجهة نظر البكري فكيف يقدم على هذا العمل لعدو له ولأسياده؟!

رابعاً: يضيف ابن أبي زرع في الرواية نفسها ص ١٨: فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر فبعث إلى الرجل الذي هما عنده. فقال له أنه رفع إليّ خبر الرجلين اللذين هما عندك في منزلك مخفيان. وإن أمير المؤمنين قد كتب إلى في أمر الحسنيين والبحث عن من وجد منهم، وقد بعث عيونه على الطرقات وجعل الرجال في أطراف البلاد فلا يمر أحد من الناس حتى يعرف ويعلم صحة نسبه وحاله ومن أين قدم وإلى أين يسير وإني أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت وأن ينالهم أذى بسببي. فلك الأمان ولهما. فر إليهما واعلمهما بمقالي لك وقل لهما يخرجان من عملي لئلا يصل خبرهما إلى الهادي فيخرجهم من يدي (قد ورد اسم المهدي بدل اسم الهادي. وهذا دليل ضعف الرواية ـ وقد أجلتكم ثلاثة أيام. ومتى كان العباسيوَن يعطفون على العلويين في حال الثورات.

خامساً: بعد أن أسس الإمام إدريس دولة في المغرب افتضح أمر واضح الذي قام بالعملية (عملية التهريب) فأمر الرشيد بقتله وصلبه. وهذا يدل على أنه هو الذي قام بالعملية وليس الرجل صاحب الدار.

(١) روض القرطاس ص ١٨ ـ ونبذ من روض القرطاس ص ٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ الدر النفيس فصل ٨ باب ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٣ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ ـ =

إدريس في القيروان :

وصل إدريس إلى القيروان ومعه راشد فأقاما بها مدة[1] زمن واليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب[2] .

كانت القيروان لا تزال على ولائها للعباسيين وواليها يخضع مباشرة للخليفة في بغداد ويتلقى الأوامر منه . فخاف إدريس وقرر الرحيل إلى بلد تتلاشى فيه سلطة بغداد فسار متخفياً مع مولاه راشد حتى حلا في تلمسان[4] . استراح إدريس في تلمسان أياماً ثم غادرها إلى طنجة ، فاجتاز

- تاريخ الإسلام ص ١٠ ـ شذر الذهب ص ٢ هذه المصادر تشير إلى مقتل واضح على يد الرشيد.

بينما ابن الأثير في الكامل جـ ٦ ص ٩٣ يذكر أن القتل كان على يد الهادي والطبري في تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨ .

(١) روض القرطاس ص ١٨ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ وفي ذلك يقول.

لإدريس بن عبدالله نور تفور القيروان به تنور

ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ .

(٢) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ولاه أبو جعفر المنصور على إفريقيا ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م بعد اشتداد ثورة الخوارج الأباضية بقيادة أبي حاتم فهزمه يزيد بن حاتم ونظم شؤون القيروان واستمر على ولايته طيلة عهدي المهدي والهادي حتى وفاته سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧م في عهد الرشيد ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٣٢ و ١٣٣ .

Laroui: P. 106: Rawah ben Hatim.

(٣) عندما خرج إدريس من القيروان ألبسه راشد مدرعة صوف خشنة وعمامة كذلك وصار يأمره ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ روض القرطاس ص ١٨ و ١٩ ونبذ من روض القرطاس ص ١ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨.

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ ـ السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ روض الاقتباس ص ١٩ ونبذ ص ١ ـ اللجائي : المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦ ـ الحلبي : الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ وتلمسان مدينة إسلامية بالمغرب الأوسط تبعد ١٣٨ كلم عن مرسى وهران جنوباً . و ٨٠ كلم عن وجدة شرقاً . تبعد عن البحر المتوسط إلى الداخل ٦٠ كلم تنبسط أمامها سهول خصبة . =

وادي ملوية[1] ودخل السوس الأدنى[2].

إدريس في طنجة:

وصل إدريس إلى طنجة[3] وشرع يدرس أحوالها، كانت طنجة خارجة عن سلطة بغداد، لكنها المركز الرئيسي للعبور إلى الأندلس تعج

= كانت في الأصل قرية بربرية ثم احتلها الرومان وأنشأوا بها معسكراً سموه بومارية ولما جاء الإسلام فتحها أبو المهاجر دينار سنة ٥٥ هـ / ٦٧٧ م ثم دخلها عقبة في ولايته الثانية للمغرب. وتقع الآن في جمهورية الجزائر - الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٤ هامش رقم ٣٦.

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ - روض القرطاس ص ١٩ ونبذ ص ١ - الدر النفيس باب ٢ فصل ٨. وملوية نهر ينبع من ملتقى أطلس المتوسط بالأطلس الكبير يجري في اتجاه شمالي شرقي يصب في البحر المتوسط بين السعيدية ومليلة طوله ٤٨٠ كلم ويشكل الحد الفاصل بين المغربين الأدنى والأوسط. جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ هامش رقم ١٧.

(٢) السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٨ - روض القرطاس ص ١٩ ونبذ ص ١٩ - الدر النفيس باب ٢ فصل ٨. والسوس الأدنى يمتد بين وادي ملوية ووادي أم الربيع وهو أخصب بلاد المغرب. ووادي أم الربيع نهر بالمغرب يتلقى مياهه من جبال الأطلس المتوسط قرب جنيفرة ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة أزمور طوله ٦٠٠ كلم - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ هامش رقم ١٨.

(٣) السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ - ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٩ ونبذ من روض القرطاس ص ١ - الجزنائي: جني زهرة الآس ص ١٢ - أبو الفدا: المختصر جـ ٢ ص ١١ - التازي: جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ - الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ - ابن رحمون: شذر الذهب ص ١ - اللجائي: المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦ - الحلبي: الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ Hamet: histoire du Mag. P. 10 السيوطي: نسب الصحابة ص ١٩. "Oulili l'ancienne volubilis situee dans le djebel. Zerhoun non loin de Meknes.

وطنجة مدينة بالمغرب الأقصى كانت قاعدة البلاد قبل الفتح الإسلامي: القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٠.

طنجة في الإقليم الرابع على ساحل البحر مقابل الجزيرة الخضراء - ياقوت معجم البلدان ص ٤٧.

بالعديد من الناس ذوي الاتجاهات المتباينة الذين لا يمكن الوثوق بهم والاعتماد عليهم، وهي أيضاً مهددة من دولة الأمويين في الأندلس، ناهيك عن قلة أنصاره فيها. لذلك قرر مغادرتها لأنها لا تحقق طموحه[1]. فيمم شطر جبل زرهون حيث تقيم قبيلة أوربة. ويبدو وأن الذي أوحى إليه بهذا الرأي هو مولاه راشد. وهذا يقوي الاعتقاد بنسب راشد الأوربي البربري، فوصلا إلى مدينة وليلي[2] قاعدة زرهون في عرة ربيع الأول ١٧٢ هـ / ٩ آب ٧٨٨ م[3]. وهي مدينة متوسطة كثيرة المياه والزيتون محاطة بسور عظيم

(١) روض القرطاس ص ١٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩.
ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨.

(٢) البزيوني: دول الإسلام ص ١٠ ـ ابن رحمون شذر الذهب ص Hamet: hist. du Mag. P. ٢ 10. ـ الحسني الحلل البهية ص ٨٩ ـ اللجائي: المفاخر العلية باب ٥ ص ٦١ باب ٥ ص ٦١ ـ الزياني: بغية الناظر (أرجوزة) ـ أبو العلاء الإدريسي الدرر البهية ص ٥ ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ونبذ ص ٢ Marcais: Berberie P. 122 الحلبي: الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨٠ ـ الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ ـ السيوطي: نسب الصحابة ص ١٩ ـ ابن زاكور المعرب المبين ص ٢٢ ـ الطبري: تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٨. Laroui: P. 106 ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ القيرواني: تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ ـ الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٢ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ ـ الشميل: الوافي ص ١٤٠ ويسميها وليه وليلي مدينة قديمة تقع على السفح الجنوبي لجبل زرهون تبعد عن مكناس ٢٨ كلم شمالاً. كان يطلق عليها اسم مقر فرعون ومؤسسوها الأوائل مجهولون ويقال أنهم من القبط. كانت معروفة قبل مجيء الرومان إلى المغرب، وكانت عاصمة الملك جوبا البربري (٢٥ ق. م ـ ٢٤ ب. م) وبعد الاحتلال الروماني (٤٠ ـ ٥٤ ب. م) أصبحت حاضرة من حواضر موريتانيا الطنجية وأطلق عليها اسم فولوبليس وكان يقيم فيها الحاكم الروماني. ولكن شأنها بدأ يضعف في نهاية القرن الثالث ب. م. بعد وفاة الامبراطور بروبوس ٢٧٦ ـ ٢٨١ ب. م. وظلت مسكونة من البربر إلى نهاية القرن الثامن الميلادي وعرفت باسم وليلي. وقد انتعشت بعد دخول الإمام إدريس الأول إلى المغرب واتخاذها قاعدة له. لكنها فقدت أهميتها بعد تأسيس مدينة فاس: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ هامش رقم ٢٠.

(٣) دول الإسلام ص ١٠ ـ الدرر البهية ص ٥ ـ روض القرطاس ص ١٩ ونبذ ص ٢ الحلبي: =

(انظر المصدر رقم ٣) وحلا ضيفين على أميرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي[1].

استقرار إدريس في وليلي:

كان راشد لا يزال يحتفظ منذ طفولته ببعض عادات الربر والتي أخذ بعضها عن والده. فقدم سيده إلى نسيبه الذي رحب بضيفه وأكرمه[2]. وكان

الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ وقد ورد ما يلي: أول آل البيت قدوماً إلى المغرب. ابن الخطيب: أعمال الإسلام ص ١٩٠ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ ـ التازي: جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ وقد ورد ما يلي: وصل في وقت أرفع فيه السكان على اختيار قائد من آل البيت للاستقلال عن خلافة المشرق.

ـ الشميل: الوافي في المسألة الشرقية ص ٢٠٠.

Levi provencal: Extraits des historiens arabes du Maroc Paris 1948 P. 16 - 17.

(١) ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ويذكر نزول إدريس على ابن عبد الحميد وفي الصفحة ١٥٥ يذكر اسم إسحق بن محمد بن عبد الحميد ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ ويسميه عبد الحميد أو محمد بن عبد الحميد ـ أعمال الإسلام ص ١٩٠ ويسميه عبد الحميد الأوربي ـ نبذ من روض القرطاس ص ٢ ويسميه عبد الحميد ـ البزيوني: دول الإسلام ص ١١.

ـ ابن رحمون: شذر الذهب ص ويسميه عبد الحميد الأوربي.

ـ الحسني: الحلل البهية ص ٨٩.

ـ اللجائي: المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٦: عبد الحميد الأوربي.

ـ الزياني: بغية الناظر: أرجوزة.

وصل وليلي على عبد الحميد أمير أوروبا فنال ما يريد

أبو العلاء الإدريسي: الدرر البهية ص ٥ ويسميه عبد الحميد. الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ الوافي ص ٢٠٠ ويسميه محمد بن عبد الحميد.

Hamlet: hist. du Mag. P. 10.

الرأي المرجح هو ما ذكر ابن أبي زرع في روض القرطاس ص ١٩ وابن أبي زرع أكثر المؤرخين المغاربة ثقة اذ يذكر اسم الأمير اسحق بن عبد الحميد.

(٢) ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ١٩ ونبذ =

إسحق رجلاً مستنيراً[1]. أقام إدريس في ضيافته ستة أشهر[2] أمن فيها واطمأن بانت خلالها شمائله الحميدة الموروثة عن آبائه وأجداده.

فكان حليماً كريماً حسن الطوية صادق النية متواضعاً بليغاً متفقهاً في الإسلام[3]. وأكب إدريس على تثقيف مضيفه وتعليمه أصول الإسلام وأحكامه، فازداد تعلق إسحق بإدريس لما رأى هذه الصفات فخلع طاعة العباسيين[4] وبايعه بالإمامة[5]. واغتنم مناسبة حلول شهر رمضان من ذلك العام فجمع أقاربه الأوربيين وقدم إليهم الإمام إدريس سليل رسول

= في روض القرطاس ص ٢ وقد ورد ما يلي: أكرمه خاصة بعد ما عرف نسبه أنزله داره وتولى خدمته ـ اللجائي: المفاخر العلية ص ٦٦ وقد ورد ما يلي: أن عبد الحميد كان يقول لما سمع ما وقع بأولاد سيدتنا فاطمة:

والله لو أتاني واحد من أولادها لفطمته وكرمته ولنزلت له عن كرسي مملكتي ولكنت له خديماً ـ أبو العلاء الإدريسي: الدرر البهية ص ٥: ولما تحقق عبد الحميد أن مولانا إدريس من آل البيت الكرام أكرمه غاية الإكرام وأنزله منازل الإجلال والأعظام ـ الشميل: الوافي ص ٢٠٠.

(١) وصفته بعض المصادر بالمعتزلي ولكنها لم تورد شيئاً عن أقواله وأفعاله التي تدل على اعتزاله وهذه المصادر هي: المفاخر العلية ص ٦٦ ـ الزياني: بغية الناظر ـ الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ ـ الحسني: اللسان المعرب ص ١٢٢ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٩ ـ روض القرطاس ص ١٩.

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ روض القرطاس ص ١٩ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ ـ الجزنائي: جني زهرة الآس ص ١٢ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ البزيوني· دول الإسلام ص ١١ ـ المفاخر العلية ص ٦٦ ـ أبو العلاء الإدريسي: الدرر البهية ص ٥: وأقام عنده إلى يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢ هـ / ١١ آذار ٧٨٩ م ـ نبذ ص ١٢ ـ الحلبي: الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٩١: أقام عنده أشهراً.

(٣) أفرد الحلبي في الدر النفيس فصلاً لكل صفة من هذه الصفات: الباب الثاني الفصل الثالث من حكمه وكرمه، الرابع في صدق نيته وحسن طويته والخامس في بلاغته وشجاعته وعلمه.

(٤) كانت طاعة إسحاق للعباسيين أسمية فقط إذ لم يكن لهم سلطة فعلية على المغرب الأقصى.

(٥) لم يبايعه على الخلافة لأن هناك خليفة واحد للمسلمين.

Julien P. 84. Laroui: P. 106

الله ص ـ وبين لهم حلمه وعلمه وكمال دينه[1]. فقالوا له: الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه. فما تريد منا؟ قال تبايعونه. فالوا سمعاً وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد[2].

فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢ هـ / ٦ شباط ٧٨٩م[3] على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم[4]. كانت قبيلة أوربة وفيرة العدد قوية الشكيمة تفرض سيطرتها

(١) ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ ـ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٢٠ ـ ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٤٧: وجمع البرابر على دعوته ـ البزيوني: دول الإسلام ص ١١ ـ اللجائي: المفاخر العلية ص ٦٦ ـ نبذ من روض القرطاس ص ٢ ـ الدر النفيس فصل ٨ ـ اللسان المعرب ١٢٢.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٢ ـ السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ ابن خلدون العبر جـ ٦ ص ١٤٧ ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٩٣ وقد جاء: فاستجاب له من بها من البربر ـ الطبري: تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٨ وقد جاء فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر وكذلك عند القيرواني في تاريخ إفريقيا ص ٢١٥ ـ الكتاني: سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠: جميع البربر على مبايعته ـ اللسان المعرب ص ١٢٢ ـ البزيوني: دول الإسلام ص ١١ ـ الحلبي: الدر النفيس فصل ٨ الشميل: الوافي ص ٢٠٠.

(٣) روض القرطاس ص ٢٠ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ ـ الجزنائي: جني زهرة الآس ص ١٢ وقد ورد ما يلي: دحل رمضان بايعه جميع قبائل البربر ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠: البيعة ١٤ رمضان ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ دول الإسلام ص ١١ ـ ابن رحمون: شذر الذهب: فصل خاص بالأدارسة ـ الحلل البهية ص ٨٩: المبايعة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ـ المفاخر العلية ص ٦٧ ـ الدرر البهية ص ٥ ـ نبذ من روض القرطاس ص ٢ المبايعة ١٤ رمضان ـ التازي: جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ البيعة الجمعة ١٤ رمضان ١٧٢ هـ / ٢٠ آذار ٧٨٩ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ٨ ـ المعرب المبين ص ٢٢.

Hamet: hist. du Mag. P. 10

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٩١ ـ ابن عذارى: البيان المغرب جـ ١ ص ٨٣: أطاعوه وعظموه وقدموه على أنفسهم ـ الدر النفيس فصل ١٠ باب ٢ روض القرطاس ص ٢٠.

على منطقة زرهون[1]. اجتمعت حول الإمام إدريس ونصرته، ودعت القبائل المجاورة لمبايعته، فلبت الدعوة وبايعته قبيلتا مغيلة وصدينة[2].

بعد أن تلقى الإمام إدريس بيعة أنصاره الأوائل خطب فيهم خطبة مختصرة معبرة.

نص الخطبة[3]:

وبعد حمد الله والصلاة على نبيه وآله قال: أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق، لا تجدونه عند غيرنا وكانت هذه الخطبة تفصح على إيجازها عن أهداف إدريس الذي يرى الخلافة في آل البيت. (الحق الإلهي).

ولما انتشر نبأ مبايعة الإمام إدريس في وليلي وفدت عليه مبايعة قبائل زناتة وزواغة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة[4] وكافة البربر في المغرب الأقصى.

---

(١) السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ - ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٢ - الحلبي: الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ - أبو العلاء الإدريسي: الدرر البهية ص ٥.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ - البزيوني: دول الإسلام ص ١١ - الزياني بغية الناظر (أرجوزة) - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٥ ويذكر ابن القاضي أن قبيلتي صدينة ومغيلة من البربر البرانس.
Hamet: hist. du Mag. P. 10.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ - الدر النفيس باب ٢ فصل ٥ - الشميل: الوافي ص ٢٠٠ - الحسني: الحلل البهية ص ٨٩.

(٤) السلاوي: الاستقصا جـ ١ ص ١٥٥ - ابن القاضي: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ - ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٢ Hamet: hist. du Mag P. 10. - الجزنائي: جنى زهرة الآس ص ١٢ وقد ورد ما يلي: فبايعته جميع قبائل البربر - ابن الأبار الحلة السيراء ص ٣٩٥ وقد ورد ما يلي: فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر - ابن خلدون الحلة السيراء ص ١٤٧ - ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٩١ وقد ورد ما يلي: فاستجابت له القبائل الريفية =

وبعد أن بايعته هذه الجموع الغفيرة انطلق يجاهد لنشر الإسلام ومحاربة البدع الخارجية فجند جيشاً من البربر[1] وخرج غازياً بلاد تامسنا[2] ، ففتح أولاً مدينة شالة[3] ثم أتبعها بسائر البلاد وحصونها[4] . ثم

وغيرها ـ البزيوني : دول الإسلام ص ١١ ـ الزياني : بغية الناظر ـ الحلبي : الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ وقد ورد ما يلي : وجمع البرابر على مبايعته والقيام بدعوته ـ اللسان المعرب : ص ١٢٣ ـ ابن زاكور : المعرب المبين ص ٢٢ ـ اللجائي : المفاخر العلية ص ٦٦ باب ٥ ـ أبو العلاء الإدريسي : الدرر البهية ص ٥ .

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ وقد ورد ما يلي : الجيش من وجوه زناتة ؛ وأوربة hist du Mag. P. 10. وصنهاجة وهوارة وغيرهم جنى زهرة الآس ص ١٢ ـ روض القرطاس ص ٢٠ أعمال الإعلام ص ١٩١ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ الدرر البهية ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ .

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ جني زهرة الآس ص ١٢ روض القرطاس ص ٢٠ ـ أعمال الإعلام ص ١٩١ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ دول الإسلام ص ١١ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ نبذ ص ٢ الدرر البهية ص ٥ الدر النفيس باب فصل ١٠ تامسنا هي المنطقة الواقعة بين وادي أبي رقراق شمالاً ووادي أم الربيع جنوباً ويطلق عليها اسم الشاوية Hamet. P. 10

Hamet P. 10.

(٣) الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ١٣ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٠ ـ الحلبي : الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ الدرر البهية ص ٥ شالة مدينة تقع بالقرب من مصب نهر أبي رقراق ، كانت قرية بربرية ، أنشأ بها القرطاجيون مركزاً عرف باسم سلفيس ثم احتلتها الرومان مدة ٥٠٠ سنة إلى أن ضعف أمرهم فضعفت ويقال أن الوندال هم الذين ضربوها أثناء عبورهم إلى المغرب . وقد فتحها عقبة بن نافع عام ٦٢ هـ / ٦٨٣ م وأسلم أهلها على يديه ثم ارتدوا إلى أن أسلموا ثانية على يد موسى بن نصير . ثم افتتحها الإمام إدريس سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ هامش رقم ٢٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٣ هامش رقم ٣٤ .

(٤) يقول الحلبي في الدر النفيس بعد فتح تامنا في الفصل العاشر من الباب الثاني ما يلي :

هنيئاً أهل تامسنا أتاكم طالع السنا
بادريس بن عبدالله حزتم غاية الحسنا

سار إلى بلاد تادلا[1] ففتحها وبلغ ماسة[2] . وكان أكثر سكان هذه المناطق يدينون باليهودية والنصرانية والمجموسية[3] والإسلام بها قليل[4] فنشره في ربوعهم[5] . وبعد أن أتم معركة الجهاد الأولى بنجاح عاد الإمام إدريس إلى قاعدته وليلي في ذي الحجة من العام نفسه[6] . وأقام طيلة محرم

Hamet: P. 10.

(١) جنى زهرة الآس ص ١٣ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ ابن الخطيب : أعمال الإعلام ص ١٩١ ـ جامع القرويين جـ ١ ص ٤٤ ـ اللسان المعرب ص ٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧ ـ الدرر البهية ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ .
وبلاد تادلا إقليم بوسط المغرب ينسب إلى قصبة تادلا الواقعة على وادي أم الربيع جنوب خنيفرة وشمال بني ملال : جني زهرة الآس ص ١٣ هامش رقم ٣٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠ هامش رقم ٢٣ .

(٢) جني زهرة الآس ص ١٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ص ١٩١ وقد ورد ما يلي : وكان منهم كثير على دين النصرانية ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ وقد ورد ما يلي : وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ـ السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٣ ـ الجزنائي : جنى زهرة الآس ص ١٣ ـ الحلبي : الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ ـ دول الإسلام ص ١١ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ وقد ورد ما يلي : وكان أكثر أهل هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والاعتزال .

Hamet: hist. du Mag. P. 10 - Marcais: Berberie P. 122.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ جني زهرة الآس ص ١٣ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ .

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ جنى زهرة الآس ص ١٣ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ ـ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ نبذ ص ٣ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ Hamet: hist. du Mag. P. 10

(٦) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ .

١٧٣ هـ / حزيران ٧٨٩ م[١] . ثم استأنف الإمام الجهاد ضد معاقل وحصون المغرب الأقصى يدين أهلها بغير الإسلام مثل فندلاوة ومديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازاز[٢] . ويبدو أن أكثرية السكان انقادوا للإمام إدريس بسهولة . ولم يستعمل العنف والشدة إلا مع من رفض واستكبر. وهكذا بسط الإمام إدريس سلطته على المغرب الأقصى ونشر الإسلام في ربوعه حتى إنه لم يبق فيه مكان لديانة أخرى منذ ذلك الحين[٣] . وهذا لا يعني أن الإسلام لم ينتشر في المغرب قبل الإمام إدريس . ولكن الفاتحين الأوائل اعتمدوا على الناحية العسكرية أكثر من اعتمادهم الى الإقناع ، فكان همهم التوسع في الفتح . أما نشر الإسلام فيأتي في المرتبة الثانية . وإن قام بعضهم بتعليم البربر مبادىء الإسلام وشرائعه ، ولكنها كانت محاولة فردية تزول بزوال القائمين بها . وهذا يفسر كثرة ارتدادهم عن الإسلام بعد كل معركة ينهزم فيها العرب أمامهم . هذا وقد اعتنقوا مبادىء الخوارج . فلما جاءهم الإمام إدريس لم يكن همه الفتح بقدر ما كان نشر الإسلام . وقفل الإمام عائداً إلى وليلي في منتصف شهر جمادي الآخرة ١٧٣ هـ / ٧٨٨ م[٤] للاستعداد لجولة جهادية جديدة ، فأقام بها مدة شهر ثم نفر في منتصف رجب ١٧٣ هـ / ٨ كانون الثاني

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ويذكر السنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ السنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م .

(٢) السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ ابن القاضي : جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ روض القرطاس ص ٢١ ونبذ ص ٣ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٢ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ١٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ وقد ورد ما يلي : وفي عام ١٧٣ هـ / ٧٨٩ م خرج لغزو الحصون والمعاقل التي ما زالت بأيدي أصحابها من اليهود والنصارى .

(٣) الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠ .

(٤) السلاوي : الاستقصا جـ ١ ص ١٥٦ ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢١ ـ الحلبي الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ البزيوني : تاريخ دول الإسلام ص ١١ .

٧٨٩ م[١] قاصداً تلمسان[٢] في المغرب الأوسط. كانت تقيم بها قبائل مغراوة وبني يفرن الزناتيين[٣]، وأميرها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي[٤]. نزل الإمام خارجها فأسرع إليه أميرها عارضاً الصلح والمبايعة. واستقبله الإمام بالترحاب وأعطاه الأمان[٥]. وجرت مبايعة عامة من الأمير والسكان الذين رحبوا بالإمام وسلموه مدينتهم صلحا[٦]. وأمر بتعليم السكان القرآن وباشر بتشييد مسجد للمدينة أتى آية في الإتقان خطب

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ ـ ابن القاضي. جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ ابن الخطيب أعمال الإعلام ص ١٩٢ ـ روص القرطاس ص ٢١ ونبذ ص ٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ اللسان المعرب ١٢٣..

(٢) الجزنائي: حنى زهرة الآس ص ١٤ ـ روض القرطاس ص ٢١ Hamet: P. 10 جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٢ ـ جامع القرويين جـ ١ ص ٤٣ ـ الشميل الوافي ص ٢٠٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ بغية الناظر (أرجوزة) ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ اللسان المعرب المبين ص ٢٢.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ ـ حذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ Hamet: P. 10 ـ روض القرطاس ص ٢١ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ بغية الناظر ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ روض القرطاس ص ٢١ ـ جنى زهرة الآس ص ١٤ ـ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ الوافي ص ٢٠٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ويسميه محمد بن فاروق.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ ـ جنى زهرة الآس ص ١٤ ـ روض القرطاس ص ٢١ ونبذ ص ٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١١ ـ الحلل البهية ص ٨٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ ـ بغية الناظر (أرجوزة) وعام حل تلمسان فحياه رجالها والفرسان بايعه أميرها أبو خزر محمد ومغراوة وبشر.

(٦) هذه هي المرة الثانية التي يدخل فيها الإمام إدريس مدينة تلمسان ١٠ المرة الأولى فقد دخلها متخفياً من عيون العباسيين وشتان ما بين المرتين .Hamet: P. 10

له فيه. ونصب فيه منبراً كتب عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمره الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي- ع - وذلك في شهر صفر أربع وسبعين ومـئة[1] حزيران ٧٩٠ م.

وبعد أن اطمأن إلى أوضاع مدينة تلمسان واستقرار الأمور فيها وحسن سيرة أميرها عاد إلى عاصمته وليلي واستقر فيها[2].

وفاة الإمام إدريس الأول:

استطـاع الإمـام إدريس خلال سنتين من نزولـه في المغـرب - ربيع الأول ١٧٢ - صفر ١٧٤ هـ / ٧٨٨ - ٧٩٠ م - أن يبسط سيطرته عليه من مدينة تلمسان حتى المحيط الأطلسي واستقل به في وقت كانت فيه الدولة العباسية في أوج مجدها وعزها. فكانت أول ضربة توجه إليها. واتسم حكم الإمام بالعدل والمساواة. طبق الشريعة الإسلامية وألغى الضرائب والمصـادرات فأمن الناس على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم وشعر سكان المغرب الأقصى الأول مرة منذ الفتح الإسلامي بكرامتهم وإنسانيتهم في ظل إمام عادل من أهل البيت فانقادوا له انقياداً قل نظيره والتفوا حوله فشكل منهم جيشاً كبيراً هدد به إفريقيا[3].

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ - أعمال الإعلام ص ١٩٢ وقد ورد ما يلي: وبنى مسجدها وبها أثره. جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ - روض القرطاس ص ٢١ ونبذ ص ٣ - الوافي ص ٢٠٠ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - اللسان المعرب ص ١٢٣. ولا تزال آثار هذا الجامع إلى الآن بمدينة تلمسان في الحي السفلي - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢١ هامش ٥٥.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ - الحلل البهية ص ٩٠ - تاريخ دول الإسـلام ص ١١. Hamet Julien: P. 84.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ - جنى زهرة الآس ص ١٤ - روض القرطاس ص ٢٦ ونبذ رقم ٣ - تاريخ دول الإسلام ص ١٢ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢ - اللسان المعرب ص ١٢٣.

هذه الأمور ترامت إلى مسمع الخليفة العباسي في بغداد هرون الرشيد وهو الذي آل على نفسه أن يقضي على أهل البيت[1].

فانزعج لهذه الأخبار خاصة بعد فتح تلمسان وبناء مسجدها والدعاء لأهل البيت من على منبره. فبدأ يخطط للقضاء على الدولة العلوية الناشئة التي هددت ولاية إفريقيا العباسية[2]، وأنه إن لم يتدارك الأمر سريعاً ربما عجز عن ذلك في المستقبل لعلمه بمحبة الناس للإمام إدريس خاصة وأهل البيت عامة. استدعى لهذا الأمر وزيره يحي بن خالد البرمكي[3] وكان قائماً بأمر مملكته وسلطانه[4] لاستشارته وقال له: «إن الرجل - أي إدريس - قد فتح تلمسان وهي باب إفريقيا ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت أن أبعث إليه جيشاً. ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة، ولا طاقة لجيوش العراق على الوصول إلى السوس من أرض المغرب فرجعت عن ذلك[5]. وكان رأي الوزير يحي: الرأي يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه برجل

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٩٣.

(٢) الدليل على بعد المسافة «إن الحجاج من المغرب الأقصى يخرجون من المحرم فيذهب في سفرهم واستراحتهم عامة السنة حتى يلحقوا بالحج». الاصطخري، المسالك والممالك» ص ٣٧.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ - روض القرطاس ص ٢١ - أعمال الإعلام ص ١٩٣ البكري المغرب ص ١١٩ - الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ - شذر الذهب ص ٢. الحلل البهية ص ٩٠ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدرر البهية ص ٦ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢ - المعرب المبين ص ٢٢ - نسب الأشراف الأدرسيين ص ٢٠ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٤) روض القرطاس ص ٢١.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ و ١٥٨ - جامع القرويين جـ ١ ص ٤٤ - روض القرطاس ص ٢٢ - المغرب ص ١١٩ وقد ورد ما يلي: فكر الرشيد به - اللسان المعرب ص ١٢٣ - تاريخ دول الإسلام ص ١٢ - شذر الذهب ص ٢ - الحلل البهية ص ٩٠ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدرر البهية ص ٦ وقد ورد ما يلي: لعبر الشقة وتناء الدار منعني من ذلك - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢.

ذات أهمية يحتال عليه ويغتاله وتستريح منه[1].

أعجب الرشيد برأي الوزير يحي لأن اللجوء إلى الاغتيال كان الطريقة الفضلى لاجتثاث أصول الدوحة النبوية. وطلب منه إرسال من يراه أهلاً لهذه المهمة الشاقة لقاء مكافأة تناسب العمل[2].

اختار يحي رجلاً من حاشيته يدعى سليمان بن جرير الملقب بالشماخ[3]. فأطلعه على قصد الرشيد وأغراه بالوعود. فقبل سليمان

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ - روض القرطاس ص ٢٢ - المغرب ص ١١٩ وقد ورد ما يلي أنا أكفيك خبره - مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ وقد ورد ما يلي: أنا أكفيك أمره - تاريخ دول الإسلام ص ١٢ - شذر الذهب ص ٢ - الحلل البهية ص ٩٠ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدرر البهية ص ٦ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢ - ذكر نسب الأشراف الإدريسيين ص ٢٠.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ - أعمال الإعلام ص ١٩٣ - المغرب ص ١٢٠ - Hamet: P. 10 - مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ - شذر الذهب ص ٢ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدرر البهية ص ٦ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢.

(٣) روض القرطاس ص ٢٢ - المغرب ص ١٢٠ وقد ورد ما يلي: سليمان بن جرير الجزري من ربيعة وكان متكلماً يرى رأي الزيدية! ولو كان صحيحاً يرى رأي الزيدية لما أقدم على اغتيال الإمام إدريس نسيب الإمام زيد Hamet: P. 10 - جنى زهرة الآس ص ١٤ وقد ورد ما يلي: Marcais: berb. P. 122 un emissaire des Abbassides laroui: P. 106 'assassinant" سليمان بن جرير: البجلي - الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ - تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ وقد ورد ما يلي الشماخ التميمي - مختصر كتاب البلدان ص ٨١ وقد ورد ما يلي: الشماخ اليماني مولى المهدي - أعمال الإعلام ص ١٩٣: سليمان بن جرير - تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٨: الشماخ اليماني مولى المهدي - الكامل جـ ٦ ص ٩٣ - المختصر جـ ٢ ص ٢٢ - مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ وقد ورد ما يلي: سليمان بن جرير الجزري من متكلمي الزيدية ومن أولي الرياسة فيهم ولو كان صحيحاً هذا الوصف لما اغتال الإمام إدريس - العبر جـ ٤ ص ١٣: ابن جرير - اللسان المعرب ص ١٢٣ - تاريخ دول الإسلام ص ١٢ - شذر الذهب ص ٢ - الحلل البهية ص ٩٠ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ - الدرر البهية ص ٦ - نبذ ص ٣ - الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢ - المعرب المبين ص ٢٢ - نسب الأدريسيين ص ٢٠.

العرض. عندئذٍ أدخله يحيى على الرشيد الذي رحب به وزوده بما يحتاج[١] وأعطاه كتاباً إلى والي إفريقيا لتسهيل أمره[٢]. كان الشماخ يتمتع بصفات تؤهله لتحقيق مطلب الرشيد فهو من أهل المكر والدهاء والعلم بالجدل والكلام والشجاعة والحزم والإقدام[٣]. انطلق من بغداد يجد السير ويقطع الفيافي حتى دخل القيروان مزوداً بكتاب الخليفة إلى واليه على إفريقيا محمد بن مقاتل العكي[٤] للمساعدة فأجازه هذا الأخير إلى المغرب. وفد الشماخ على الإمام إدريس ـ وقيل منتحلاً صفة الطب[٥]. فكان أول عربي يأتيه من المشرق. رحب به الإمام بحذر وسأله عن اسمه ونسبه وموطنه وسبب قدومه

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ روض القرطاس ص ٢٢ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ الدرر البهية ص ٦ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ روض القرطاس ص ٢٢ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧. وقد ورد في الاستقصا والعبر أن والي إفريقيا إبراهيم بن الأغلب والواقع أن الوالي كان محمد بن مقاتل العكي. أما ابن الأغلب فكان عاملاً على بعض نواحي إفريقيا.

(٣) روض القرطاس ص ٢٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ وقد ورد ما يلي: كان الشماخ ممتلئاً من الأدب والظرف والبلاغة عارفاً بصناعة الجدل ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ وقد ورد ما يلي: كان ذا عارضة ولسان ـ المغرب ص ١٢٠ وقد ورد ما يلي: كان حلواً شجاعاً أحد شياطين الأنس ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ الدرر البهية ص ٦ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٢ ـ المعرب المبين ص ٢٢.

(٤) تشير بعض المصادر أن والي إفريقيا إبراهيم بن الأغلب والحقيقة أن الوالي هو محمد بن مقاتل العكي رضيع هرون الرشيد ولاه على إفريقيا منتصف ١٨١ هـ / ٧٩٧ م وبقي والياً حتى منتصف ١٨٤ هـ / وقد اضطربت عليه إفريقيا فكتب هرثمة بن أعين إلى الرشد بتولية ابن الأغلب إفريقيا فكان ذلك ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م. الاستقصا جـ ١ ص ١٣٣ و ١٣٤.

(٥) تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٩ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ .Hamet: P. 10 روض القرطاس ص ٢٢ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

إلى المغرب[1]. وهنا أظهر الشماخ مكره ودهاءه، فأجابه أنه من أتباعهم ومن موالي أبيه عبدالله بن الحسن[2].

وقد أوحشه ما حدث للعلويين وأن الخليفة طلبه لما يعلمه من مذهبه[3] وأنه اتصل به خبره فأتاه برسم الخدمة، وأظهر محبته وولاءه لآل البيت[4] مستخدماً الأحاديث التي ثبت ذلك، وتبرأ من العباسيين[5]. فسكن الإمام إليه وأنس به[6] وأحله محلاً جميلاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. واستولى عليه الشماخ حتى صار من ملازميه المخلصين[7]. وإمعاناً في المراوغة كان يغتنم مناسبة جلوس الإمام لرؤوساء قبائل البربر ووجهائهم ويتحدث بأسلوب بليغ

(١) روض القرطاس ص ٢٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٢) روض القرطاس ص ٢٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٦.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ روض القرطاس ص ٢٢ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ المغرب ص ١٢٠ وقد ورد ما يلي:. أن إدريس كان عالماً بسليمان ورياسته في الزيدية ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٩ ـ الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٦ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ روض القرطاس ص ٢٢ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ دول الإسلام ص ١٢.

(٦) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٤ ـ روض القرطاس ص ٢٢ Hamet: P. 10. ـ نبذ ص ٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٦ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٧) العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢.

Hamet: P. 10.

معدداً فضائل آل البيت مقيماً الدلائل على ذلك وعلى وجوب إمامة إدريس وأنه الإمام ولا إمام غيره. ويدعم أقواله بالحجج والبراهين القاطعة من القرآن والسنة التي كانت تعجب إدريس وتأخذ بألباب البربر[1].

والشماخ على ذلك لم يزل يرتقب الفرصة ويعمل الحيلة لقتل الإمام إدريس. ولم يجد لذلك سبيلاً لملازمة مولاه راشد له فهو قلما يفارقه لأنه كان يخاف عليه من قتل ما وقع فيه لكثرة أعداء آل البيت يومذاك[2]. ويشاء القدر ذات يوم أن يغيب راشد في بعض شؤونه[3]. فدخل سليمان على الإمام وجده وحيداً، جلس بين يديه على عادته وتحدث معه ملياً. ولما لم ير لراشد أثراً اغتنم الخلوة[4]. أخرج من جيبه قارورة طيب مسمومة[5]، كان قد زوده بها الرشيد، وقدمها إليه قائلاً: يا سيدي جعلت فداك، أني جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها. فرأيت أن الإمام أولى بها مني، فخذها تطيب بها.

---

(1) روض القرطاس ص ٢٣ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الدرر البهية ص ٦.

(2) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ جني زهرة الآس ص ١٤ ـ روض القرطاس ص ٢٣ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣.

(3) روض القرطاس ص ٢٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٤ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٨ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٣ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الدرر البهية ص ٦ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ نسب الأدرسيين ص ٢٠.

(4) روض القرطاس ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ الدرر البهية ص ٦ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(5) أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ روض القرطاس ص ٢٣ ـ جني زهرة الآس ص ١٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ ذكر نسب الإدريسين ص ٢٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢
Hamet: hist. du Mag. P. 10. Marcais: berberie P. 122.

فقد آثرتك على نفسي وهو بعض ما يجب لك عليّ[1]! ووضعها بين يديه. شكره الإمام على ذلك قائلاً: جزيت خيراً يا سليمان. تناول القارورة فتحها وشمها[2]. تنشق الإمام السم فصعد في خياشيمه وانتهى إلى دماغه فسقط مغشياً عليه[3].

أدرك الشماخ أن مراده قد تحقق، تسلل من المجلس كأنه يريد قضاء حاجة الإنسان[4]. أسرع إلى منزله وركب فرساً قد أعدها للهرب وانطلق

(١) روض القرطاس ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ وقد ورد ما يلي: هذه قارورة غالية حملتها إليك من العراق ـ المغرب ص ١٢٠ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الدرر البهية ص ٦ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣.

(٢) أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ روض القرطاس ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ نسب الأشراف ص ٢٠ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبد ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

(٣) أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ روض القرطاس ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ المغرب ص ١٢٠ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ نسب الأشراف ص ٢٠ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

وتشير المصادر المشرقية أن الشماخ دس السم للإمام إدريس في سنون فقد كان إدريس يشكو من ألم في أسنانه فوصف له الشماخ دواء وجعل فيه سماً واستن الإمام فيه فمات ـ ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص ٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ص ١٩٨ ـ النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٥٩ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٠ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٧ ـ حتى أن ابن خلدون: يذكر ذلك في العبر جـ ٤ ص ١٣. والمصادر المغربية أكثر ثقة بالنسبة للأحداث التاريخية التي حدثت في بلادهم.

(٤) روض القرطاس ص ٢٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ اللسان المعرب ص ١٢٣ ـ الدرر البهية ص ٧ نبذ ص ٣.

باتجاه الشرق يطلب النجاة[1].

اتصل خبر الإمام إدريس بمولاه فأقبل مسرعاً يريد إسعافه فوجده على الرمق الأخير يجود بنفسه[2]. وبقي إدريس في غشيته إلى المساء. وفاضت روحه إلى باريها آخر ربيع الأول ١٧٧ هـ / ١٦ تموز ٧٩٣ م[3].

بينما بعض المؤرخـون يذكرون أن الوفـاة كانـت سنـة ١٧٥هـ/ ٧٩١م[4].

---

(١) روض القرطاس ص ٢٣ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ المغرب ص ١٢٠ وقد ورد ما يلي: إن الشماخ كان له صَاحب فأعدا فرسين قبل ذلك ـ اللسان المعرب ١٢٤ ـ المعرب المبين ص ٢٢ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

(٢) أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ روض القرطاس ص ٢٣ ـ ونبذ ص ٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ المغرب ص ١٢١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

(٣) روض القرطاس ص ٢٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩. Hamet. P. 10 ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ الوفاة مستهل ربيع ثاني ١٧٧ / آب ٧٩٣ م ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ المغرب المبين ص ٢٢ ـ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣. وقد ذكر الهمداني فقتل الإمام إدريس (وهو من موالي بني العباس)

أتظـن يا إدريس أنـك مفلت كيد الخليفـة أو يقيك فرار

(وفي الطبري يفيد الفرار).

فليدرك أو تحـل ببلدة لا يهتـدي فيهـا إليك نهار

إن السيوف إذ انتصاهـا سخطه طالـت وتقصـر دونهـا الأعمار

ملك كأن المـوت يتبـع أمره حتـى يقـال تطيعـه الأقدار

(وعند الطبري وقصر دونها).

ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٩٠ ـ تاريخ الرسل جـ ٨ ص ١٩٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣.

Marcais: berberie P. 122.

(٤) أعمال الإعلام ص ١٩٤ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣.

والـذين ساقـوا أن الوفـاة كانـت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ارتكبـوا خطـأ تاريخياً إذ أن الإمام إدريس رجـع من تلمسـان في ربيع الأول ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م وحتى بلغ الخبر الرشيد واتخاد قرار بإرسال الشماخ ومسير هذا الأخير الذي يستغرق عاماً كاملاً فمعنى ذلك أن وصوله إلى المغرب يكون في نهاية ١٧٥ هـ / ٧٩١ أو في أوائل ١٧٦ هـ / ٧٩١ م وحتى تعرف جيداً علـى الإمـام إدريس واكتسب وده احتاج إلى وقت فتكون الوفاة سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م. انشغل راشد بأمر سيده فكانت فرصة استغلها الشماخ للابتعـاد عن المدينـة وافتقده راشد فلم يره بين الحاضرين فأيقن أنه الذي دس السم للإمام خاصة بعد أن جاءه خبره بأنـه شوهـد علـى أميال من المدينـة ركب في جمـع من البربر[1] يطلبون الشماخ طوال الليل. ولكن لم يلحق به إلا راشد. أدركه عند الصباح وهو يعبر وادي ملوية[2]. صاح به وجمل عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجه في رأسه ثلاث شجات أثخـنه جراحاً. كل ذلك ولا يصيب منه مقتلاً[3].

وكبا الجواد براشد[4] من العياء فمنعه ذلك من الإجهاز عليه ولـم يتمكن

---

(١) روض القرطاس ص ٢٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٣ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل.

(٢) روض القرطاس ص ٢٤ ـ أعمـال الإعـلام ص ١٩٥ ـ الاستقصـا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ص ٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ ـ روض القرطاس ص ٢٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣.

(٤) روض القرطاس ص ٢٤ ـ أعمال الإعلام ١٩٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ نبذ ص ٣.

من اللحاق به[1] . وأفلت الشماخ . ولما أصبح آمناً ضمد جراحه وتابع سيره إلى العراق . وبقيت آثار الجراح بادية على جسده[2] . وقد كافأه الرشيد على عمله هذا فولاه بريد مصر[3] . وعاد راشد إلى وليلي وأخذ في تجهيز الإمام إدريس فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطته أمام مدينـة وليلـي[4] (انظر المصدر رقم ٤) وقد دام حكمه خمس سنوات ١٧٢ ـ ١٧٧ هـ / ٧٨ ـ ٧٩٣ م .

(١) روض القرطاس ص ٢٤ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٢ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ ـ المغرب ص ١٢١ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٣ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ .

(٢) أعمال الإعلام ص ١٩٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ روض القرطاس ص ٢٤ ـ ونبذ ص ٤ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ ـ المغرب ص ١٢١ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ ـ المعرب المبين ص ٢٢ ـ نسب الأدريسيين ص ٢٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ .

(٣) الكامل جـ ٦ ص ٩٣ ـ تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٩٩ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٣ ـ المغرب ص ١٢١ ـ مختصر كتاب البلدان ص ٨٢ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٥ .

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٥٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٣ ـ روض القرطاس ص ٢٤ وقد ورد ما يلي : ودفن بقربها ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ وقد ورد ما يلي : أخـذ في جهـاز إدريس ومواراته ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ مقاتل الطالبيين ص ٤٩١ وقد ورد ما يلي : دفنـه في الناحية التي كان بها إدريس مقيماً . دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ وقد ورد ما يلي : ضريحه بزرهون ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٣ ـ نسب الإدريسيين ص ٢٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ وقد ورد ما يلي : دفنه بقلعة وليلي ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ وقد ورد ما يلي : دفـن خارج وليلـي بـالمحل المشهور به إلى الآن المعروف بالزاوية .

Marcais: berberie. P. 122.

الفَصْلُ الثَّالِث

الدّولة الإدريسيّة بعد إدريس الأول

أ ـ المرحلة الانتقالية : راشد يقوم بأمر الدولة .

ب ـ مرحلة الوصاية إدريس الثاني .

جـ ـ عهد إدريس الثاني .

د ـ عهد محمد بن إدريس .

المرحلة الانتقالية

راشد يقوم بأمر الدولة :

توفي الإمـام إدريس الأول دون وريث[1] . والدولـة الجـديدة طرية العود لم يشتد ساعدها ، فكادت تسقط مجرد أن ظهرت إلى حيز الوجود لولا أن قيض الله لها من أنقذها من السقوط المحتم . وهنا يظهر إخلاص راشد لآل النبي ـ ص ـ فهو كما أنقذ سيده وإمامه إدريس من العباسيين مرات عدة ، أنقذ الدولة الناشئة بعد وفاة مؤسسهـا . فبعـد أن فرغ من دفـن سيده جمـع رؤسـاء البربر ووجهاءهم لتنصيب حاكم ينظمها متبعاً في ذلك تعاليم الآية الكريمة : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾[2] . فوعظهم وترك لهم الخيار فيمن يقوم بأمرهم قائلاً : إن إدريس لم يترك ولداً ذكراً إلا حملا من أمته كنزة[3] وهي الآن في الشهر السابع من حملها ، وخيرهم : فإن رأيتم أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها ، فإن كان ذكراً أحسنا تربيته حتى إذا بلغ مبلغ الرجال

---

(١) الاستقصـا جـ ١ ص ١٦٠ ـ روض القرطـاس ص ٢٤ ونبـذ ص ٤ Hamet: P. 10 ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ ـ المغرب ص ١٢٢ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١ .

(٢) القرآن الكريم : سورة آل عمران آية ١٥٣ .

(٣) ورد اسم كثيرة بدل كنزة في تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٦ .

Hamet: P. 10.

بايعناه تمسكها بدعوة آل البيت وتبركاً بذرية رسول الله ـ ص ـ وإن كانت جارية نظرتم لأنفسكم. قالوا أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما رأيت. فإنك عندنا عوض إدريس تقوم بأمورنا كما كان يقوم إدريس بها وتصلي بنا وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسوله، ونصبر حتى تضع الجارية ويكون ما أشرت به، على أنها إن وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الأمر لفضلك ودينك وعلمك(١). وتضطرب المصادر التاريخية حول الوضع الاجتماعي لكنزة فيجعلونها أمة(٢) وجارية(٣) ومحظية(٤) وأماً(٥) وأم ولد(٦) ومنهم من ينسبها إلى قبيلة نفزة(٧).

يستنتج من كل ذلك أن كنزة بربرية الأصل وعلى الأرجح من قبيلة أوربة لأن استقرار الإمام إدريس كان في وليلي بين قبيلة أوربة وأنها كانت زوجة للإمام(٨). حتى ولو كانت أمة أو جارية وغير ذلك فلا بد أن الإمام قد تزوجها شرعاً، لأن لا يعقل أن يتخذ الإمام جواري ومحظيات وهو

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥ و ١٩٦ Hamet: P. 11. ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ روض القرطاس ص ٢٤ ـ نبذ ص ٤ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ الدر النفيس باب ٢ ص ٨١.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣.

(٣) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ روض القرطاس ص ٢٤ ـ جني زهرة الآس ص ١٥ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١٠ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ المغرب ص ١٢٢ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٥.

(٤) المختصر جـ ١ ص ١١ ـ في ذكر الأدارسة بالمغرب ص ٤٥٤ ـ Marcais: berberie. P. 122.

(٥) صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٨١. Laroui: P. 106

(٦) المعرب المبين ص ١٢٤ ـ شذر الذهب ص ١٣ وقد ورد ما يلي: أم ولد بنت إسحاق بن عبد الحميد.

(٧) الدرر البهية ص ٧ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧ ـ المعرب المبين ص ٢٢.

(٨) في ذكر نسب الأشراف الأدريسيين ص ٢ ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٨١ ويسميها أماً.

الذي يطبق أحكام الإسلام، فهي زوجة دون لفظ آخر.

أما بالنسبة لثقة البربر براشد فإنها لا تعود إلى صلة النسب التي تربطهم بل إلى إيمانه وإخلاصه لآل البيت وبعد الذي رأوه منه في مطاردة الشماخ قاتل الإمام إدريس.

كان راشد عند حسن ظن البربر، فقام بأمرهم، يؤمهم في الصلاة ويجلس إليهم يفصل في القضايا التي تعرضهم كما كان يفعل الإمام إدريس ولكن بلا ألقاب. وقد ظهرت حكمته في قيادة الدولة إلى شاطىء الأمان فحافظ على وجودها وصان وحدتها حتى أنها لم تعرف الفتن والاضطرابات طيلة عهده. وهو في كل ذلك ينتظر وضع كنزة. وأخيراً وضعت حملها وكان كما تمناه ذكراً[1]. أظهر راشد السرور بالمولود الجديد وأيقن أن الدولة العلوية مستمرة في الوجود. أخرجه إلى وجهاء البربر ليشاهدوا إمامهم الجديد[2]. فنظروا إليه وقالوا هذا إدريس بعينه كأنه لم يمت[3]. وتيمناً باسم والده سماه راشد إدريس[4].

(١) روض القرطاس ص ٢٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٧ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس ص ٨١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤.

Hamet: P. 11- Marcais: berberie: P. 122.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ روض القرطاس ص ٢٥ ـ نبذ ص ٤ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ اللسان المعرب ١٢٤ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية ص ٦٨ باب ٥ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ الدر النفيس ص ٨٢.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ روض القرطاس ص ٢٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٧.

Marcais: berberie. P. 122.

(٤) المغرب ص ١٢٢ ـ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٣٧ Hamet: P. 11 ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ =

مرحلة الوصاية :

ولد الإمام إدريس بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ ع ـ أمه كنزة بربرية نهار الاثنين ٣ رجب سنة ١٧٧ هـ/ ١٤ تشرين الأول ٧٩٣ م[١]. قام بأمره إلى جانب والدته كنزة مولى أبيه راشد وأبو خالد يزيد بن إلياس العبدي البربري[٢]. وقد اختاره راشد، ويبدو أن اختيار راشد لأبي خالد لقصد سياسي، فقد أصبح شيخاً كبيراً وخشي أن يأتيه الموت فجأة فيكون إدريس والحالة هذه قاصراً دون مرشد فتنهار الدولة، لذلك رأى أن يشرك إلى جانبه أبا خالد ليتدرب على ممارسة السلطة فيشرف على توجيه

= المختصر جـ ٢ ص ١١ .Marcais: berberie P. 122 ـ البيان المعرب جـ ١ ص ٢١٠ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ روض القرطاس ص ٢٥ ـ نبذ ص ٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ جني زهرة الآس ص ١٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢١٦ ـ المعرب المبين ص ٢٢ ـ ذكر نسب الأشراف الأدريسيين ص ٢٠ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ في ذكر الأدارسة ص ٤٥٤ ـ نبذ ص ٤ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ الدر النفيس ص ٨٢.

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ Hamet: P. 11 ـ روض القرطاس ص ٢٥ ـ نبذ ص ٤ ـ جامع القرويين جـ ١ ص ٤ ـ دول الإسلام ص ١٢ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ الحلل البهية ص ٩٠ لم يحدد شهر الولادة ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ لم يحدد شهر الولادة ـ الدرر البهية ص ٧ ـ الدر النفيس ص ٨٥ ـ المعرب المبين ص ٢٢ لم يحدد تاريخ الولادة ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٠ الولادة ١٣ رجب يوم الاثنين ١٧٧ هـ.
بعض المؤرخين ذكروا أن تاريخ الولادة سنة ١٧٥. فإذا عرفنا أن الإمام إدريس الأول توفي سنة ١٧٧ هـ وإدريس الثاني ولد بعد وفاة والده فكيف تكون سنة الولادة ١٧٥ هـ؟.
ومن هؤلاء المؤرخين: البكري: المغرب ص ١٢٢ ابن الخطيب: أعمال الإعلام: ص ١٩٦ ـ ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ١٢٤ ـ صبح الأعشى ص ١٨٠ ولكن القلشندي يذكر في الصفحة ١٨١ بايعوه عام ١٨٨ هـ وهو ابن ١١ سنة؟ جني زهرة الآس ص ١٥.

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ الاستقصاء ص ١٦١ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٧ ـ المغرب ص ١٢٢ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ وقد جاء ما يلي: وقام بأمر إدريس بعد وفاة راشد أبو خالد. ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ دول الإسلام ص ١٤ ـ نبذ ص ٩٢٠٥ . Hamet: P.11 .

الإمام في حال حدوث مكروه لراشد.

اهتم راشد بتربية إدريس كما يربي أبناء الأئمة، أدبه فأحسن تأديبه علمه لعلوم النظرية والعملية، فقد أقرأه القرآن[1]. وهنا ظهر ذكاء إدريس فقد حفظه وهو ابن ثماني سنوات[2]. ثم الفقه والسنة والنحو بالإضافة إلى سير الملوك وسياساتهم وحكم العرب وأمثالهم وأيام الناس[3]. ثم دربه على فنون الحرب من ركوب الخيل إلى إحكام الرماية والمبارزة[4]. فأتقن ذلك كله وهو ابن عشر سنين. وظهرت نباهته فكان نسيجاً متفرداً في العلم والدين والشجاعة[5]. ولما بلغ الحادية عشرة شرع راشد في الاستعداد لأخذ البيعة له وهي مرحلة مبكرة للاضطلاع بمهام الحكم. ولكن ذكاؤه دفع راشد إلى ذلك.

---

(١) روض القرطاس ص ٢٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ ـ شذر الذهب ص ٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس ص ٨١ ـ المعرب المبين ص ٢٢.

(٢) روض القرطاس ص ٢٥ ـ نبذ ص ٤ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جنى زهرة الآس ص ١٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٧.

(٣) أعمال الإعلام ص ١٩٧ ـ روض القرطاس ص ٢٥ ـ جنى زهرة الآس ص ١٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٤ ـ المغرب ص ١٢٢، أدبه فأحسن تأديبه ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ الدرر البهية ص ٧. ـ نبذ ص ٤ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ المعرب المبين ص ٢٢. وقد أفرد الحلبي في كتابه الدر النفيس فصلاً لكل علم من هذه العلوم في الباب الثالث: الفصل الثالث عشر في تعلمه الحديث ـ الفصل الرابع عشر تفقهه في الدين ـ الفصل الخامس عشر في تعلمه النحو ـ الفصل السادس عشر في فصاحته وبلاغته.

(٤) روض القرطاس ص ٢٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جنى زهرة الآس ص ١٦ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٨ ـ نبذ ص ٤.

(٥) أعمال الإعلام ص ١٩٧.

لكن عيون بني العباس لم تكن بغافلة عما يجري في المغرب الأقصى فقد أوعز الرشيد من جديد إلى عامل إفريقيا إبراهيم بن الأغلب بالتخلص من راشد بأية وسيلة إذ أنه القائم بدولة العلويين، وكان الرشيد يعتقد أنه بمجرد التخلص من راشد تزول الدولة الناشئة من الوجود خاصة بعد الذي ظهر منه في قيادتها بعد وفاة إدريس الأول.

كان ابن الأغلب يطمع في ولاية إفريقيا مكان محمد بن مقاتل العكي لذلك كان مستعداً لتنفيذ أية مهمة مهما كانت خطرة لإرضاء الخليفة في بغداد أملاً في الوصول إلى ما يطمح إليه. ولما لم يستطع الوصول إلى إدريس الثاني لأن والدته كانت تتولى إطعامه خوفاً عليه من السم[1]. استطاع شراء بعض البربر من خدام راشد[2] بالأموال فاستمالهم[3]. ويبدو أن هؤلاء المتآمرين لا يهمهم الولاء للعباسيين أم للعلويين، بل الذي يهمهم المال. واستطاع المتآمرون اغتيال راشد عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م[4] بالسم[5].

مات راشد ولكن الدولة لم تمت بل استمرت كما خطط لها راشد أن

(١) مختصر كتاب البلدان ص ٨٤.

(٢) أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ نبذ ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٤ ص ٨ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤.

(٣) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ نبذ ص ٥ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٤ ص ٨.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ نبذ ص ٥ ـ Hamet: P. 110.
ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ الحلل البهية ص ٩٠.
ـ بعض المؤرخين ذكروا سنة الوفاة ١٨٦ هـ / ٨٠١ م:
ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ المغرب ص ١٢٢ ـ أعمال الإعلام ص ١٩٧ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ ـ اللسان المعرب ص ١٢٤.

(٥) شذر الذهب ص ٢.

تسير فقام بأمر إدريس الثاني الوصي أبو خالد فكان أول عمل أقدم عليه دعوة البربر لمبايعة الإمام الجديد كي لا يحدث فراغ سياسي في الدولة. صحيح أن مركز الرئاسة شغر في الدولة بعد وفاة الإمام إدريس الأول، ولم يكن هناك من وصي وقام راشد بالأمر.

ولكن أبو خالد لا يستطيع أن يقلد راشد ويسد الفراغ الذي حصل بعد وفاته خاصة وأن الوصي حي يرزق. ويبدو أن شخصية راشد وتربيته كانت تضفي هيبة على الدولة، فهو تربى في بيت أحفاد النبي وعاش محنهم ومآسيهم فتمرس على ممارسة السلطة على يد أسيادها، بالإضافة إلى إيمانه ووفائه، وهي صفات قلما تتوفر لأي إنسان. وأبو خالد لا تشير المصادر التاريخية إلى صفاته. ولكن مجرد اختيار راشد له إلى جانبه للإشراف على الإمام يدل على ثقة راشد به، وحتى هذه الثقة لا تعطي لصاحبها قيادة الدولة لذلك رأى أبو خالد أن يبتعد عن ميدان السياسة ويسلم الأمر لصاحبه. وهكذا كان. فبعد بيعة الإمام إدريس الثاني صمتت المصادر ولم تعد تذكر شيئاً عنه.

عهد إدريس الثاني:

بعد توجيه الدعوة للبربر لمبايعة إدريس الثاني بالأمانة لبت القبائل الدعوة وعقدوا اجتماعاً في جامع وليلي للمبايعة. وتمت البيعة نهار الجمعة غرة ربيع الأول ١٨٨ هـ / ١٦ شباط ٨٠٤ م[1]. وبعد مقتل راشد بعشرين

(١) روض القرطاس ص ٢٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ لم يحدد الشهر ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ ـ المغرب ص ١٢٣ البيعة الجمعة ٧ ربيع الأول ١٨٧ هـ / ٨٠٣ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ١٧١ الجمعة ٧ ربيع الأول ـ اللسان المعرب ص ٢٥ الجمعة ٧ ربيع الأول ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ لم يحدد الشهر ـ شذر الذهب ص ٢ المبايعة ١٨٩ هـ؟ الحلل البهية ص ٧ يوم الجمعة ٧ ربيع الأول ـ نبذ ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٣ ص ٨ ـ البيان المغرب جـ ١ =

يوماً[1] وله من العمر إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر[2].

وقد بايعته قبائل المغرب وعلى الخصوص أوربة وصنهاجة وغمارة وزناتة[3]. وبعد أن تلقى الإمام إدريس الثاني البيعة صعد المنبر وألقى خطبة مختصرة رسم فيها سياسة دولته المستقبلية وهذا نصها: الحمد لله أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي وشر كل ذي شر، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أيها الناس: إن قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر وللمسيء الوزر. ونحن والحمد لله على قصد جميل. فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن ما تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا.

ثم دعا من تخلف من الحاضرين إلى مبايعته[5]. وقد أعجبوا

= ص ٢١٠ البيعة سنة ١٨٧ هـ / جنى زهرة الآس ص ١٦ البيعة ١٨٦ هـ. Hamet: P. 12. Marcais: berb. P. 122.

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١.
ـ الدر النفيس باب ٣ ص ٨. Laroui: P. 106.

(٢) روض القرطاس ص ٢٥ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦١ Hamet: P. 112.
ـ المعرب المبين ص ٢٣.

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٦ و ١٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٦ و ٢٧ ـ روض القرطاس ص ٢٨
ـ شذر الذهب ص ٣. Marcais: berb. P. 122.

(٤) روض القرطاس ص ٢٨ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٦ ـ الاستقصاء جـ ١ ص ١٦٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٦ ـ شذر الذهب ٢ ـ الدرر البهية ص ٧ ـ نبذ من روض ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ١٦ ص ١١١.
ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ وقد ورد ما يلي: وخطب بالناس خطبة بليغة دعاهم فيها إلى الله تعالى وإلى طاعته.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٠ ـ روض القرطاس ص ٢٨.

بفصاحته ونبله ورباطة جأشه[١] .

فلما نزل عن المنبر تسارع المتخلفون يقبلون يديه ويبايعونه[٢] . ثم وفدت عليه سائر قبائل المغرب مبايعة[٣] . واستمر الإمام طيلة عام ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م. ويستقبل الوفود البربرية المهنئة والمؤيدة[٤] حتى سمي عام ١٨٨ هـ عام الوفود وسار الإمام إدريس الثاني في الناس سيرة والده فجدد تعاليم الدين ونشر العدل وأقام السنة فاستقام أمره وملكه. وعز سلطانه فكثر أتباعه وشكل منهم جيشاً قوياً لمتابعة الفتح ودفع خطر ولاة العباسيين في إفريقيا مما دفع بالعرب من الأندلس وإفريقيا[٦] بالوفود عليه عندما بلغتهم هذه الأنباء المشجعة فاستقبل عام ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م خمسماية فارس[٧] من القيسية والأزد والخزرج وبني يحصب والصدف وغيرهم[٨] . رحب بهم

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٦ ـ روض القرطاس ص ٢٨ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٢ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ اللسان المعرب ص ١٢٥ ـ نبذ من الأنيس المطرب ص ٥ .

(٢) روض القرطاس ص ٢٨ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٦ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ وقد ورد ما يلي: وبايعه جميع القبائل. ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٦ .

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ دول الإسلام ص ١٤ ـ شذر الذهب ص ٣ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٤ ص ٨.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس ص ٢٧ .Hamet: P. 12
ـ روض القرطاس ٢٩ ـ دول الإسلام ص ١٤ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩.
ـ الدرر البهية ص ٨ ـ نبذ ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٥ ص ١١ .

(٥) نبذ ص ٥.

(٦) روض القرطاس ص ٢٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٧ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ ـ نبذ ص ٥ الدر النفيس باب ٣ فصل ٥ ص ١١.

(٧) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ روض القرطاس ص ٢٩ Marcais: Berb. P. 122 ـ الاستقصاء جـ ١ ص ١٦٢ ـ جني زهرة الآس ص ١٧ ـ دول الإسلام ص ١٤ ـ المفاخر العلية ص ٦٩ باب ٥ . Laroui: P. 107. ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٥ ص ١١ و ١٧٨ ـ نبذ ص ٥.

(٨) جني زهرة الآس ص ١٨ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ روض =

الإمام ورفع منزلتهم وجعلهم بطانته واعتز بهم وأجزل لهم العطاء خاصة وأنه كان وحيداً بين البربر(١).

يستدل من قدوم هذه الوفود رسوخ دولته واستقرارها. عندما انصرف الإمام إلى تنظيم جهاز الدولة الإداري بعد أن بقي مدة عام يقوم بأمر الناس مع من يعينه من البربر من غير وزير ولا كاتب ولا قاض. فلما وفدت عليه هذه الوفود استحدثت الوزارة لأول مرة في الدولة الأدريسية، وقد أظهر في اختيار وزرائه ذكاء ومهارة وسياسة تدل على نبوغة وبعد نظرة. فهو عربي، وقد وفدت عليه أعداد منهم فلا بد من اختيار أحدهم ليساهم في خدمة الدولة لأن العرب كانوا متفوقين حضارياً على البربر، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي(٢) وهو من فرسان العرب المشهورين في إفريقيا والأندلس(٣). هرب مع والده إلى الأندلس بعد سقوط دولة بني أمية في الشرق، واستقر هناك. ولما بويع الإمام إدريس الثاني قدم عليه مصعب مع قومه الأزد مبايعين فقربه الإمام منه وعينه وزيراً. وقد لعب دوراً بارزاً في قيادة الدولة فساهم في بناء مدينة فاس وقد أخلص للإمام إخلاصاً قل نظيره. فوثق به الإمام وزوجه

--- القرطاس ص ٢٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٥ ص ١١ ـ نبذ ص ٥.

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧. Marcais: Berb. P. 122. Laroui: P. 107. ـ روض القرطاس ص ٢٩ ـ جنى زهرة الأس ص ١٨ ـ دول الإسلام ص ١٤ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٥ ص ١١ ـ نبذ ص ٥.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ويسميه مصعب بن عيسي ـ روض القرطاس ص ٢٩ ـ جنى زهرة الأس ص ١٨ ـ بيوتات فاس الكبرى ص ١١ و ٤٧ عمير في الصفحات ١٢ و ١٣ و ١٤.

Marcais: Berb. P. 122.

(٣) روض القرطاس ص ٢٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٥ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٨.

Marcais: Berb. P. 123.

ابنته عاتكة فيما بعد[1]. وقد توفي بمدينة فاس وفيها ذريته ويدعون بني الملجوم.

ومن ناحية ثانية فهو إمام على البربر ويحكم دولة بربرية اللسان والعادات والتقاليد. ومهما كان الوزير العربي حازماً فلا يستطيع أن يحيط بأمورهم كما لو كان منهم. ولذلك اختار وزيراً بربرياً ليثبت لشعبه أنه يعمل لمصلحته، وهمه الوحيد رفاهيته وسعادته فكان بهلول بن عبدالله بن عبد الواحد المطغري[2] الوزير البربري إلى جانب عمير، فكان من أركان دولته ولكن بهلول لم يكن مخلصاً، فلقد انحرف مع قومه عن دعوة الإمام إدريس إلى العباسيين بتشجيع من إبراهيم بن الأغلب والي إفريقيا[3] الذي أغراه بالمال. وكان رد الإمام حكيماً في هذا الأمر، فقد عرض الصلح على ابن الأغلب بعدما استراب بأمر الوزير بهلول[4]، فدعا ابن الأغلب مستشاريه يحي بن الفضل صاحب البربر والقاضي ابن غانم وابن عوانة للتشاور في الأمر. فقالوا له: أصلح الله الأمير وقد علم من حضر وغاب من أمر المغرب أنه لم يظفر بمثل ظفرك ولا كان له ما كان لك، فدع ابن إدريس ما أودعك وأرض له ولك[5].

عندئذٍ كتب إلى الإمام إدريس قبول الصلح، وبذلك ضعف موقف بهلول وأعوانه.

وبعد عقد الصلح مع ابن الأغلب، أمن الإمام إدريس حدود بلاده

---

(١) بيوتات فاس الكبرى ص ١٤.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤.

(٣) المكان نفسه المكان نفسه.

(٤) المكان نفسه المكان نفسه.

(٥) تاريخ إفريقيا والمغرب ص ٢٢٥.

الشرقية ، كتب إلى بهلول محذراً وناصحاً[1] .

أبهلول قد حملت نفسك خطة ... تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك إبراهيم مع بعد داره ... فأصبحت منقاداً بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب ... وقد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ... ومناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أكمل الإمام إدريس الثاني جهازه الإداري فعين على القضاء عامر بن سعيد القيسي[2] وكان من أهل الورع والدين متفقها على مذهب الإمام مالك بن أنس[3] . وسمع من سفيان الثوري[4] . وعين على الديوان الكاتب أبا الحسن عبدالله بن مالك الخزرجي[5] . ثم خطط مدينة فاس[6] سنة ١٩٢ / ٨٠٨ م واتخذها عاصمة ملكه .

متابعة الجهاد :

لم يهمل الإمام إدريس الثاني الجهاد والفتح فقد استفاد من الفرسان

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤ .

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ . Marcais: Berb. P. 122. ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ اللسان المعرب ص ١٢٥ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٨ .

(٣) مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ / ٧١٢ ـ ٧٩٥ م الأصبحي الحميري أمام دار الهجرة واحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية مولده ووفاته بالمدينة . صنف الموطأ وله رسالة في الوعظوكتاب في المسائل ورسالة في الرد على القدرية وتفسير غريب القرآن . الإعلام جـ ٥ ص ٢٥٧ .

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق من مصر لقب بالثوري ولد سنة ٦٩ هـ / ٧١٦ وتوفي بالبصرة ١٦١ هـ / ٧٨٠ م كان إماماً عالماً في علم الحديث وهو أحد الأئمة المجتهدين ـ ابن خلكان : وفيات اعيان جـ ٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ .

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ .

ـ روض القرطاس ص ٢٧ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ نبذ ص ٤ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٩ .

(٦) بناء فاس سيبحث فيما بعد.

العرب الذين توافدوا عليه، فنظم جيشاً لمتابعة الجهاد الذي بدأ به والده الإمام إدريس الأول. ففي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٣ م غزا بلاد المصامدة من مناطق السوس الأقصى[١] فاستولى على نفيس وأغمات[٢].

ونفيس مدينة قديمة كثيرة الأنهار والثمار غزاها عقبة بن نافع الفهري عام ٦٢ هـ / واستولى عليها وبنى فيها مسجداً. أما أغمات فهي عبارة عن مدينتين أغمات وريكة وأغمات وهيلانة بينهما ثمانية أميال، وأغمات وريكة يقيم الأعيان والتجار ينزلون فيها. وفي مدينة أغمات بساتين نخيل، وتحمل إليها الخضار والفواكه من نفيس وسوقها يوم الأحد.

وبعد استيلاء الإمام إدريس الثاني على المدينتين نشر الإسلام في تلك المناطق النائية من المغرب. ثم عاد إلى فاس. وأثناء إقامته في العاصمة أنشأ داراً للسكة وضرب الدرهم الإدريسي لأول مرة عام ١٩٨ هـ/ ٨١٤ م[٣].

أقام الإمام في فاس إلى محرم سنة ١٩٩ هـ / ٨١٥ م[٤] حيث خرج لقتال الخوارج الصفرية[٥] وهم أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا فرق

(١) روض القرطاس ص ٥٠ - نبذ ص ١٠ - العبر جـ ٤ ص ١٣ Hamet: P. 12 - جني زهرة الآس ص ٢٧ - أعمال الإعلام ص ٢٠١ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ لم يحدد التاريخ - الاستقصا جـ ١ ص ٣٩ - المغرب ص ١٢٣ التاريخ محرم ١٩٧ هـ / - دول الإسلام ص ١٤ - الحلل البهية ص ٩٠ الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥.

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٩ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٩ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - جنى زهرة الآس ص ٢٧ - العبر جـ ٤ ص ١٣ - روض القرطاس ص ٥٠ نبذ ص ١٠ - دول الإسلام ص ١٤ - الحلل البهية ص ٩٠ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥.

(٣) الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٩. Laroui: 1. 107. date 301.

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٠ - جنى زهرة الآس ص ٢٧ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٩ - المغرب ص ١٢٣ - روض القرطاس ص ٥٠ - دول الإسلام ص ١٤ - نبذ ص ١٠ - الدر النفيس باب ٢ فصل ٣٥.

(٥) الملل والنحل ص ١٢٧. Hamet: P. 12. Hamet: P. 12.

الخوارج الأخرى في أمور منها أنهم لم يكفروا القاعدين عن القتال إذ كانوا موافقين في الدين والمعتقد، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. أما التقية فهي جائزة في القول دون العمل. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به كالحد كالزنا والسرقة والقذف فسمي زانياً وسارقاً وقاذفاً لا كافراً مشركاً. وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك. وأجاز الضحاك تزويج المسلمات كفار قومهم في دار التقية دون العلانية. رأى صاحبهم زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهماً واحداً في حال التقية وقال: إننا مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله. وقال الشرك شركان شرك في طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الأوثان. والكفر كفران بإنكار الربوبية. والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة ومن أهل الجحود فريضة. وقد انتشر الصفرية في المغرب مع المذاهب التي وفدت عليه من الشرق وخاصة بين قبائل نفرة وغيرها[1] . . . الذين عانوا فساداً في المغرب الأوسط. وقد أظهر الإمام إدريس الثاني في قتالهم بشجاعة نادرة أثارت دهشة أفراد جيشه فقد ذكر داوود بن القاسم بن عبدالله بن جعفر[2]: شهدت مع إدريس بن إدريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا.

فلما تقارب الجمعان نزل إدريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى. ثم ركب فرسه وقدم للقتال. فقاتلناهم قتالاً شديداً. فكان إدريس

---

(١) نفزة شعب من البربر البر يشتمل على عدة قبائل زايتمة وزهيلة ومجرد فريسة ومكلاتة وغساسة وسوماتة ولهاصة. كانت هذه القبائل متوزعة على المغربين الأدنى والأوسط: جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٠.

(٢) روض القرطاس ص ٢٦ ـ المغرب ص ١٢٣ ـ جنى زهرة الآس ص ١٧ ويذكر الأبيات فقط وقد وردت كلمة النكب في البيت الثاني بدل النصب ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ ـ الحلل البهية ص ٩١.

يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر إلى الجانب الثاني. فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع إلى رايته فوقف بإزائها. والناس يقاتلون بين يديه. فطفقت أنظر إليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم. فأعجبني ما رأيت منه من شجاعة وقوة جأشه. فالتفت نحوي وقال لي: يا داوود ما لي أراك تديم النظر إلي؟ قلت: أيها الإمام أنه أعجبني منك فعال لم أرها في غيرك. قال وما هي يا داوود؟ قلت: أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ومن طلاقة وجهك، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك. قال: ذلك من بركة جدنا رسول الله - ص - ودعائه لنا وصلاته علينا وإراثة عن أبينا علي بن أبي طالب - ع - قلت أيها الأمير أنا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك. قال ذلك في زمع إلى القتال وحزم وصرامة وهو أحسن في الحرب فلا تظنه رعباً. وأنشأ يقول:

أليس أبونا هاشم شد أزره ... وأوصى بنيه بالطعان والضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما يؤول إلى النصب

وانتهى القتال بانتصار الإمام إدريس الثاني على الخوارج وأعادهم إلى الإسلام الصحيح ومد حدود دولته إلى وادي شلف بالمغرب الأوسط[1] وتوج انتصاره بدخول مدينة تلمسان[2]، فأقام فيها ثلاث سنوات نظر في أحوالها فرمم السور واهتم بالمسجد الذي بناه والده[3] فأصلح منبره. وبعد

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ - العبر جـ ٤ ص ١٤. Hamet: P. 13. - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - الحلل البهية ص ٩٠.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٩ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٠ - جنى زهرة الآس ص ٢٧ - روض القرطاس ص ٥٠ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - العبر جـ ٤ ص ١٣ - أعمال الإعلام ص ٢٠١. Hamet: P. 12. Laroui: P. 107.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٩ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤١ - جنى زهرة الآس ص ٢٧ - روض =

أن اطمأن إلى استقرار أحوال المغرب الأوسط وأن لا خطر عليه من ارتداد الخوارج بعد تلك العمليات العسكرية المظفرة، عاد إلى عاصمته فاس واستقر فيها بعد أن عين على مدينة تلمسان أبناء عمه سليمان بن عبدالله[1].

وفاة الإمام إدريس الثاني:

كل نفس ذائقة الموت وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون. فقد توفي الإمام إدريس الثاني نهار الثاني عشر من جمادي الآخرة سنة ٢١٣ هـ / ٢٩ آب ٨٢٨ م[2] وله من العمر ست وثلاثون سنة ١٧٧ - ٢١٣ هـ / ٧١٢ - ٨٢٨ م.

وسبب وفاته أنه تناول حبة عنب فشرق بها[3]، ويعتقد أنها كانت مسمومة[4]. وكانت وفاته بمدينة فاس ودفن بمسجده مسجد الشرفا إزاء

= القرطاس ص ٥٠ - العبر جـ ٤ ص ١٣ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥ - نبذ ص ١٠. Hamet: P. 13.

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٢ - العبر جـ ٤ ص ١٤. Hamet: P. 13.

(٢) العبر جـ ٤ ص ١٤ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ - أعمال الإعلام ص ٢٠٢ - المختصر جـ ٢ ص ٣٠ - الكامل جـ ٦ ص ٤١٥: الوفاة سنة ٢١٤ هـ - صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٨٠ - المغرب ص ١٢٣ - روض القرطاس ص ٥٠ ونبذ ص ١٠: ١٢ جمادي الآخرة - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤١ الشهر ربيع الأول - جني زهرة الآس ص ٢٧: أول ربيع الأول - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - شذر الذهب ص ٣ - الحلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية ص ٧١ - الدرر البهية ص ٨ - سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥ - اللسان المعرب ص ١٢٧ - المعرب المبين ص ٢٢. Hamet: P. 14.

Laroui: P. 107.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ - أعمال الإعلام ص ٢٠٢ - المغرب ص ١٢٣ - جنى زهرة الآس ص ٢٨ - روض القرطاس ص ٥٠ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤١ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - شذر الذهب ص ٣ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧١ - الدرر البهية ص ٨ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥ - سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣ - اللسان المعرب ص ١٢٧ - نبذ ص ١٠.

(٤) الحلة السيراء ص ٤١١.

الحائط الشرقي[1] (انظر المصور رقم ٥). وقال أحد الشعراء في ذلك[2]:

منــازل آل الله آل رسوله فأحبب بهم أهلاً وأحبب بهم مغنى
مدينـة إدريس بـن إدريس التي فيهـا قبـره ثاو ومنبـره مبنى

وقال آخر[3]:

أيا فاس حيا الله أرضـا من ثرى لما اختـارت نجـل الرسـول محمد

كان الإمـام إدريس الثانـي عالمـاً بكتـاب الله قائمـاً بحـدوده راوياً للحديث جواداً كريماً حازماً فاضلاً، له عقل راجح وحلم واسع وإقدام في مهمات الأمور[4].

بلغت الدولة الإدريسية على يد الإمام إدريس الثاني أقصى اتساع لها (انظر المصدر رقم ٦). إذ امتدت من وادي شلف[5] بالمغرب الأوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء جنوباً. وقد سادها الأمن والاستقرار وانصرف الإمام إلى تنظيم شؤونها فنشر الإسلام في أصقاعها النائية التي لم يصل إليها والده الإمام إدريس الأول من قبل وطبق أحـكام الشريعة الإسلامية في أرجائها وجبى الأموال المستحقة.

(١) روض القرطـاس ص ٥٠ ـ جذوة الاقتبـاس جـ ١ ص ٤١ ـ جنـى زهـرة الآس ص ٢٨ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠ ـ الدرر البهية ص ٨ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١٠ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٨١.

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤١ ـ جني زهرة الآس ص ٢٨ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٥.

(٣) شذر الذهب ص ٢.

(٤) روض القرطاس ص ٢٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٢ و ٧٣ ـ الدرر البهية ص ٨ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٤.

(٥) وادي شلف ينبع من خلف جبال ونشريش يسير إلى الشمال Hamet: P. 15. والشمال الغربي في المغرب الأوسط، يمر ببوغاري وخميس ومليانة والأصنام. يصـب في البحـر المتوسـط شمال مستغانم وهو من اهم أودية المغرب الأوسط وأطولها وأخصبها أرضاً. قبائل المغرب ص ١١٦.

تخلف الإمام إدريس الثاني باثني عشر ولداً ذكراً هم محمد وعبدالله وعيسى وإدريس وأحمد وجعفر ويحي والقاسم وعمر وعلي وداوود وحمزة بكرهم محمد[1]. وابنة وحيدة عاتكة[2]. فقام بالأمر من بعده وبعهده منه محمد[3]، أمه حرة من أشراف نفزة[4] وتلقب بالمنتصر.

كان الإمام الجديد أسمر اللون أجعد الشعر[5].

وقد مدح أحد الشعراء أبناء الإمام إدريس الثاني: [6].

أبدى السرور ابتهاجاً كلما فخروا   أو لو طهارة أحساب إذا انتسبوا
فوق السهى رتباً من فوقها ظهروا   توارثوا المجد عن آبائهم فلهم
فاعلم بأنهم في حينه ذكروا.   إذا تضوع نشر الحمد عن عبق

التنظيم الإداري:

تسلم الإمام محمد دولة ذات إدارة مركزية موحدة. فبدأ عهده بتجزئتها

(١) روض القرطاس ص ٥١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ .Hamet: P. 15 ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ المغرب ص ١٢٣ و ١٢٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ١٦١ ـ الحلة السيراء ص ٤١١ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٨ ـ المعرب المبين ص ٣ ـ الحلل البهية ص ٩١ ـ المفاخر العلية ص ٧٦ ـ الدرر البهية ص ١٢ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية جـ ٣ ص ١٦١ . Ency do l'Islam T... P. 1062.

(٢) بيوتات فاس الكبرى ص ١٤ .

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٧١ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ . Marcais: Berberie P. 124. Laroui: P. 107. ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ ـ روض القرطاس ص ٥١ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٢ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ المختصر جـ ٢ ص ٣٠ ـ المعرب المبين ص ٢٣ ـ دول الإسلام ص ١٥ ـ شذر الذهب ص ٣ ـ الحلل البهية ص ٩١ ـ المفاخر العلية ص ٧٦ ـ اللسان المعرب ص ١٢٧ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١٠ .

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ ـ روض القرطاس ص ٥١ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١٠ .

(٥) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ ـ روض القرطاس ص ٥١ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١٠ .

(٦) جنى زهرة الآس ص ٢٨ .

إدارياً. فقد أشارت عليه جدته كنزة - أم والده إدريس - بتوزيع الأقاليم على إخوته[1]. أقطع القاسم غنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان، وعمر تيكاس وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة وداوود بلاد هوارة وتسول وتازا وما بينهما من قبائل مكناسة وغمارة ويحيي أصيلا والعرايش والبصرة. وبلاد ورغة، وعيسى سلا وشالة وآزمور وتامسنا وحمزة وليلي وأعمالها، وأحمد مدينة مكناسة وتادلا وما بينهما من بلاد فازاز، عبدالله أغمات ونفيس وجبل الصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى. وبقي الآخرون في عهدة جدتهم لصغر سنهم[2]. وأبقى تلمسان بيد ابن عمه عيسى ابن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبدالله[3].

واستمر أبناء سليمان في حكمها حتى نهاية دولة الأدارسة على يد الفاطميين واستقر الإمام محمد في العاصمة فاس يراقب أعمال إخوته وتصرفاتهم[4]، فقاموا بالمهمات على أحسن وجه، فقد ضبطوا الأعمال وحفظوا الثغور وأمنوا الطرقات، فحسنت سيرتهم في المرحلة الأولى من ولايتهم[5].

(١) المغرب ص ١٢٤ - أعمال الإعلام ص ٢٠٢ .Hamet: P. 15 - المختصر جـ ٢ ص ٣٠ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - العبر جـ ٤ ص ١٥ Laroui: P. 107 - روض القرطاس ص ٥١ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٢ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - الحلة السيراء ص ٤١١ - دول الإسلام ص ١٥ - شذر الذهب ص ٣ - الحلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية ص ٧٦ - نبذ من روض القرطاس ص ١٠ - اللسان المعرب ص ١٢٧ - المعرب المبين ص ٢٣ Ency. de l'Islam. T. 3 P. 1061. Marcais: Berb. P. 124.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٢ - المغرب ص ١٢٤ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - روض القرطاس ص ٥١ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٢ - و ١٧٣ - العبر جـ ٤ ص ١٤.

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ - الحلة السيراء ص ٤١١ - المغرب ص ١٢٤. Hamet: P. 16. Laroui: P. 107.

(٥) روض القرطاس ص ٥١ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣. Hamet: P. 16.

ولكن حالة الاستقرار التي نعم بها المغرب طيلة عهد الإمام إدريس الثاني وبداية عهد خليفته محمد لم تلبث أن انقلبت إلى فوضى واضطراب، فقد ثار على الإمام محمد أخوه عيسى صاحب شالة وتامسنا(١). إذ نكث بيعة أخيه وخلع طاعته ودعا لنفسه(٢) في مدينة آزمور(٣). عند ذلك كتب الإمام محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبتة يأمره بقمع تمرد عيسى(٤). إذ كان يحاذيه إقليمياً(٥).

أبى القاسم ذلك(٦) وكتب إلى أخيه محمد معتذراً: (٧).

سأتـرك الغـرب نهبـا وإن كنـت في الغـرب قيلا وندبا

(١) روض القرطاس ص ٥١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - أعمال الإعلام ص ٢٠٥ - المغرب ص ١٢٤ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - احلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ - نبذ من روض القرطاس ص ١٠.

(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - روض القرطاس ص ٥١ - الحلة السيراء ص ٤١١ - أعمال الإعلام ص ٢٠٦ - المغرب ص ١٢٤ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - الحلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ - نبذ من روض القرطاس ص ١٠.

(٣) المغرب ص ١٢٤ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥.

(٤) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ - المغرب ص ١٢٤ - أعمال الإعلام ص ٢٠٦ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - روض القرطاس ص ٥٢ - نبذ من روض القرطاس ص ١٠ - الحلة السيراء ص ٤١١ - دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ - الحلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ - المعرب المبين ص ٢٣.

(٥) المغرب ص ١٢٤ - الحلة السيراء ٤١١.

(٦) المغرب ص ١٢٤ - الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ Hamet: P. 16. - أعمال الإعلام ص ٢٠٦ - العبر جـ ٤ ص ١٤ - البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - روض القرطاس ص ٥٢ - نبذ من روض القرطاس ص ١٠ - الحلة السيراء ص ٤١١ - دول الإسلام بالمغرب ١٥ - الحلل البهية ص ٩١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ - المعرب المبين ص ٢٣.

(٧) الحلة السيراء ص ٤١٣ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ - هامش رقم ٢٦٧.

ووأسمو إلى الشرق في همة يعز بها ربا من أحبا
وأترك عيسى على رأيه يعالج في الغرب هما وكربا
ولو كان قلبي عن قلبه لكنت له في القرابة قلبا
وإن أحدث الدهر من ريبه شقاقا علينا وأحدث حربا
فإني أرى البعد سترا لنا يجدد شوقا لدينا وحبا
ولم نجن قطعا لأرحامنا نلاقي به آخر الدهر عتبا
وتبقى العداوة في عقبنا وأكرم به حين نعقب عقبا
وأوفق من ذلك جوب الغلاة وقطع المخرم نقبا فنقبا

وأمام اعتذار القاسم طلب الإمام محمد من أخيه عمر صاحب مدينة تيكاس وغمارة محاربة عيسى[1] امتثل عمر لأخيه[2] فجهز جيشاً كبيراً من قبائل البربر من غمارة وأوربة وصنهاجة وغيرهم. . .[3]. وأمده الإمام بألف فارس من قبائل زناتة[4]. فأوقع عمر بأخيه عيسى وهزمه واستولى على مقاطعته وكتب إلى أخيه الإمام محمد يخبره بقمع التمرد. فشكره على ذلك

---

(١) الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٣ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ ـ الحلل البهية ص ٩١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ ـ المعرب المبين ص ٢٣ ـ نبذ ص ١٠.

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ البيان المغرب جـ ١ ص ٢١١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ المعرب المبين ص ٢٣.

(٣) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ وقد ورد ما يلي: وزحف إليه بقبائل البربر ـ المغرب ص ١٢٤: وقد ورد ما يلي: وخرج يريد عيسى بعسكره. ـ الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ دول الإسلام ص ١٥ ـ المفاخر العلية جـ ٤ ص ٧٦.

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ المغرب ص ١٢٤ وقد ورد ما يلي: وكتب إلى محمد يستمده ـ الحلة السيراء ص ٤١٢ وقد ورد ما يلي، فبعث إليه من كان بمعه. دول الإسلام ص ١٥.

وكافأه بمنحه ما استولى عله[1] . ثم طلب منه إخضاع القاسم الذي امتنع عن حرب عيسى ، زحف عمر لقتاله، والتقى جيشا الأخوين بظاهـر طنجة حيث دارت بينهما معركة شديدة انتهت بهزيمة القاسم واستولى عمر على ما كان بيده من البلاد[2] . وهكذا اتسعت ولاية الأمير فصارت السواحل البحرية كلها من عمله وهي تمتد من تيكاس على ساحل البحر المتوسط مروراً بسبتة وطنجة إلى أصيلا وسلا وآزمور على ساحل المحيط الأطلسي[3] .

وأخلص لأخيه الإمام فظل يعمل بإمرته إلى أن توفي بفج الفرس من أعمال منهاجة سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م ودفن بفاس إلى جانب قبر والده[4] . وعمر هذا هو جد الحموديين الذين حكموا جنوب الأندلس أثر سقوط دولة الأمويين هناك[5].

أما القاسم فقد سار بعد هزيمته إلى ساحل الأطلسي مما يلي مدينـة

(١) الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ المعرب المبين ص ٢٣ ـ دول الإسلام ص ١٥ .

(٢) الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ ـ المفاخر العلية ص ٧٦ ـ المعرب المبين ص ٢٣ .

(٣) العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ وقد ورد ما يلي : Hamet: P. 16. وأقام عمر بن إدريس عاملاً لأخيه محمد على ما كان بيده وبد إخوته . ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ .

(٤) العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ المغرب ص ١٢٤ لم يحدد تاريخ الوفاة ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ لم يحدد تاريخ الوفاة ـ روض القرطاس ص ٥٢ لم يحدد تاريخ الوفاة ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ لم يحدد تاريخ الوفاة . ويسمى الموضع : فج الفارس ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ المعرب المبين ص ٢٣ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ ـ نبذ ص ١١ . Hamet: P. 16. Omar mourut en 835.

(٥) أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ البيان المغرب ص ٢١١ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٤ .

أصيلا فبنى هناك مسجداً بموضع بتاهدرت وأقام فيه زاهداً في الدنيا عابـداً إلى أن توفي(١).

وكذلك الإمام محمد لم يعش طويلاً فقد توفي بمدينة فاس بعد سبعة أشهر من وفاة أخيه عمر وذلك في ربيع الثاني ٢٢١ هـ نيسان ٨٣٥ م ودفن بجامعها إلى جانب أبيه وأخيه(٢).

وكانت مدة حكمه ثمانية أعوام وشهراً واحداً(٣). وخلفه في الحكم ابنه علي الملقب بحيدرة بعهد منه(٤).

وبوفاة الإمام محمد يكون قد انقضى على قيام دولة الأدارسة العلويين بالمغرب نصف قرن تقريباً ١٧٢ ـ ٢٢١ هـ / ٧٨٧ ـ ٨٣٥ م.

---

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٦ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ وبنى رباطاً بساحل أصيلا للعبادة ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٣ ـ روض القرطاس ص ٥٢ ـ الحلة السيراء ص ٤١٢ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٦ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١١ ـ المعرب المبين ص ٢٣.

(٢) روض القرطاس ص ٥٢ و ٥٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٤ .Hamet: P. 16. "date de Mort 836" ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ المغرب ص ١٢٤ لم يحدد التاريخ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٧.

(٥) روض القرطاس ص ٥٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٧ ـ المعرب المبين ص ٢٣ ـ شذر الذهب ص ٣ ـ نبذ من روض القرطاس ص ١١.

(٤) روض القرطاس ص ٥٣ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٧٤ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٠٤ ـ المغرب ص ١٢٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٧ ـ المعرب المبين ص ٢٥ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ ـ الحلل البهية ص ٩١ ـ المفاخر العلية ص ٧٦ ـ نبد من روض القرطاس ص ١١.

الفَصْلُ الرَّابِع

أ ـ الأمامة ـ الوزارة ـ القضاء .

ـ الكتابة ـ الجيش ـ الإسلام والتعريب .

ـ الكيان الدولي للمغرب .

ـ الحياة الاجتماعية ـ الحالة الاقتصادية .

ب ـ بناء مدينة فاس ـ السياسة الخارجية .

تميزت المرحلة الأولى من عهد الدولة الأدريسية ١٧٢ ـ ٢٢٣ هـ / بأنها أزهي أيام الدولة تقدماً وازدهاراً من النواحي السياسية والتنظيمية. والناحية الثقافية التي عمت أرجاء المغرب فيما بعد نثرت بذورها في ذلك العهد. لقد نظموا دولتهم واتخذوا لقب الأئمة وأحدثوا الوزارة والقضاء والكتابة واهتموا بالشؤون المالية فجبوا الأموال على وجهها الشرعي وأنفقوها على الوجه نفسه. أما الجيش فقد أولوه اهتمامهم لأنه عماد دولتهم. وبناء مدينة فاس يدل على بعد نظرهم وحسن تخطيطهم، فكانت وما زالت من أهم حواضر المغرب. وهذه أهم تنظيماتهم.

الأمامة :

بنى الأدارسة حقهم في الملك على أنهم ورثة الرسول وأحفاده، وأقنعوا أهل المغرب بهذا الحق، وكونوا دولة ثيوقراطية أساس السيادة فيها حقان إلهي وزمني، فكانوا زعماء روحيين وملوكاً زمنيين. وتلقبوا بالأئمة ولم يتلقبوا بالخلفاء لأنهم اعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة في الدين من غيره. مع أن شروط الأمامة غير المعصومة والخلافة واحدة. وقد أوردها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية وهي سبعة: العدالة على شروطها الجامعة. والعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام وسلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها، وسلامة الأعضاء من

نقص منع استيفاء الحركة وسرعة النهوض والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير الصالح والشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، وأخيراً النسب القرشي بدليل قول النبي ـ ص ـ «الأئمة من قريش»[1].

بينما يذكر ابن خلدون في مقدمته أن الشروط أربعة: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس. ويذكر أن النسب القرشي غير متفق عليه[2]. ويحدد ابن طباطبا في كتابه الفخري صفات الملك الفاضل: العدل والعقل والسياسة والوفاء بالعهد والاطلاع على غوامض أحوال المملكة ودقائق أمور الرعية ومجازاة المحسن والمسيء ومشاورة الصحابة[3].

ولفظ الإمام ورد في القرآن الكريم بمعنى الرئيس الروحي والزمني. قال الله تعالى: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات**﴾[4] وقد أطلق هذا اللقب على من يؤم الناس في الصلاة[5]. وقد أطلقه الشيعة على المعصومين من آل بيت النبي، وبعض الفرق التي تفرعت منهم أطلقته على زعماء علويين حكموا مناطق من الدولة الإسلامية كالأدارسة في المغرب والزيديين في اليمن.

وقد انعقدت إمامة الأدارسة من وجهين: اختيار أهل الحل والعقد والعهد. فالوجه الأول انعقدت على أساسه بيعة أهل المغرب للإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني. فقد اجتمع البربر في مدينة وليلي وبايعوا الإمامين بعدما تأكد لهم توفر الشروط فيهما وخاصة النسب القرشي. وقد لعب راشد مولي الإمام إدريس الأول دوراً بارزاً في هذا الأمر.

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٤ و ٥.
(٢) ابن خلدون: المقدمة ص ١٩٣.
(٣) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٤ ـ ٢٢.
(٤) القرآن الكريم: سورة الأنبياء آية رقم ٢١.
(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي جـ ٢ ص ٢٥٦.

أما الوجه الثاني فقد تم بعهد الإمام من قبل إلى من يليه من أبنائه، وهو ما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته[1]. وقد اختار الإمام إدريس الثاني ابنه محمد فعهد إليه بالإمامة من بعده على أن يلي ذلك مبايعة أهل الحل والعقد قبل مباشرته مهماته ـ وكذلك عهد الإمام محمد إلى ابنه علي بالإمامة من بعده.

كان الأدارسة أول من دخل المغرب من آل البيت. وهذا ما جعل أنظار البربر تتطلع إليهم باحترام إلى درجة التقديس. فقد ترامى إلى مسامعهم ما حل بهم من المآسي فرغبوا في مساعدتهم بمجرد السماع بذلك. فكيف وهم الآن بينهم؟ وعلى هذا الأساس قدموا للأدارسة أقصى ما يمكن إعطاؤه وملكوهم عليهم.

على أن الأدارسة كانوا عند حسن ظن أهل المغرب، فطبقوا أحكام الإسلام وتعاليمه بحذافيرها في دولتهم. كان الإمام يؤم الناس في الصلاة طيلة أيام الأسبوع وخاصة صلاة الجمعة فكان يلقي الخطبة. وكذلك صلاة العيدين «الفطر والأضحى». كان يجلس للناس بعد كل صلاة وفي أوقات محددة يحكم بينهم ويعالج مشاكلهم، يعظهم ويثقفهم ويعلمهم القرآن وأحكام الإسلام واللغة العربية بتواضع لم يشهده أهل المغرب من قبل، مما زاد من محبتهم لآل البيت وتعلقهم بهم.

كان الأئمة يغتنمون كل مناسبة يفد عليهم قادم من المشرق إلى الطلب منه لإلقاء ندوات حول الإسلام وتعاليمه وفضل آل البيت، وكما فعل بعض هؤلاء الوافدين وخاصة الشماخ. فكانت ندوات ثقافية أفادت السكان كثيراً.

أما من الناحية الاجتماعية فقد ضرب الأئمة المثل لرعاياهم وذلك بمبادرتهم إلى تفقد أحوال الناس الصحية والمعاشية. كان يعود المرضى يواسيهم،

(١) الأحكام السلطانية ص ٨.

وكذلك الفقراء والأيتام والأرامل اللواتي فقدت أزواجهن في الحرب. كان بمثابة الأب لهؤلاء المساكين، يقدم لهم العطايا والهبات وكل أنواع المساعدة بالسر والعلانية ليخفف عنهم الألم ويقوي عزائمهم. ولم ينس الإمام سائر المواطنين كان يقوم بزيارة سكان العاصمة كلما سنحت الفرص وكذلك سكان المناطق فكان يركب في جمع من أعوانه وحاشيته يرتاد المناطق للاطلاع على أحوالها فيصلح أمور الناس ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم. كان الإمام يحضر حفلات الزفاف وحضوره كان يضفي السرور والبهجة على تلك الحفلات. وبلغ من تواضعه أنه زوج ابنته عاتكة إلى وزيره عمير بن مصعب الأزدي. كان يشارك في تشييع الموتى ويواسي المصابين ويخفف عنهم الآلام.

هذه الأعمال جعلت سكان المغرب يرفعون أئمتهم الأدارسة إلى مستوى القديسين فنسبوا إليهم المعجزات حتى بعد وفاتهم. ولا تزال مقاماتهم مقدسة تزار في وليلي وفاس للتبرك والدعاء وطلب الحاجات حتى اليوم.

الوزارة: (١)

نظم الأئمة الأدارسة جهازهم الإداري منذ أن حلوا أرض المغرب وذلك لتنظيم أمور الدولة الناشئة لخدمة المجتمع الذي رحب بهم والذي كانوا يجهلون عاداته وتقاليده لاختلاف البيئة. وبما أن الإمام لا يقدر على

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٢١ - ٢٨ - الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف الباب ١٦ ص ٨٦: في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم.
جواتيان: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية الفصل الرابع «خاص بالوزارة».
بيوتات فاس الكبرى ص ١٤.

مباشرة الأمور جميعها بنفسه فلا بد له من اللجوء إلى من يساعده ليكون «أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل[1]، فكان الوزير.

وكلمة وزير معروفة قبل الإسلام ورد ذكرها في القرآن الكريم على لسان النبي موسى ـ ع ـ **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري﴾**[2]. هذا بالنسبة للأنبياء فكيف بغيرهم؟

يقول ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:

«وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين أحدهما عن الوزر وهو الحمل فكان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل. وهذا قول ابن قتيبة. والثاني أنها من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك. وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه الخليفة أو السلطان ويلتجىء إلى رأيه وهو قول ابن أعاق الزجاج». وذكر ابن طباطبا في كتابه الفخري[4]: «قال أهل اللغة الوزر الملجأ والمعتصم والوزر الثقل. فالوزير إما مأخوذ من الوزر فيكون معناه أنه يحمل الثقل، أو يكون مأخوذاً من الوَزَر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ إلى رأيه وتدبيره».

يستنتج من كل ذلك أن الكلمة تدل على معان مختلفة. المعنى الأول الوزر وهو الثقل لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله. والمعنى الثاني الوزر أي الملجأ. قال الله تعالى: **﴿كلا لا وزر﴾**[5] أي لا ملجأ أما

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٢١.

(٢) القرآن الكريم: سورة طه آية رقم ٢٩. وفي سورة الفرقان رقم ١٥ آية رقم ٣٤ **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً﴾**.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص ٢٢٩.

(٤) ابن طباطبا الفخري ص ٣٦.

(٥) القرآن الكريم: سورة القيامة رقم ٧٤ آية ١٠.

المعنى الثالث فمأخوذ من الأزر أي الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالنسبة للظهر[1].

ويشترط في الوزير شروط لا بد من توفرها فيه ليتمكن من القيام بمهامه الكبيرة. وهذه الشروط هي العدالة والعلم وسلامة الحواس والأعضاء والرأي والشجاعة، وأن يكون من أهل الكفاية فيما يوكل إليه من أمري الحرب والخراج[2]. يقول أحمد الحلبي في كتابه الدر النفيس عن صفات الوزير:[3] «أن يكون صادقاً في لسانه عدلاً في دينه مأموناً على أخباره كريماً في أخلاقه كاملاً في مروءته بصيراً بأمور المسلمين رحيم القلب راجح العقل سليم الصدر عالي الهمة بطلاً شجاعاً مقداماً في المهمات ذا رأي راجح لا يستفزه الغضب إلا عن الإشهاد واسع الحلم يرحم الرعية لا يرضى بارتكاب الدنية ويشترط أن تكون بطانة الوزير من أهل الأمانة والبصيرة.

ويذكر ابن طباطبا في الفخري:[4] «الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة».

في السنوات الأولى لقيام دولة الأدارسة لم يتلقب الوزراء بهذا اللقب بل كانوا أقرب إلى المستشارين منهم إلى الوزراء. كان راشد مولى الإمام إدريس الأول نعم الناصح لسيده. وإلى جانب راشد كان أبو خالد العبدي البربري.

أما الإمام إدريس الثاني فقد اتخذ إلى جانبه وزيرين لمساعدته في

(١) الأحكام السلطانية ٢٣.

(٢) الأحكام السلطانية ص ٥ و ٢١.

(٣) الحلبي: الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٩.

(٤) الفخري ص ١٣٥.

تدبير أمور دولته خاصة وأنه كان صغير السن ، أسند الوزارة إلى عمير بن مصعب الأزدي العربي وإلى بهلول بن عبد الواحد المطغري البربري ولقب كلا منهما بالوزير.

لقد كانت الوزارة في عهد الأدارسة وزارة تنفيذ[1] . فالوزراء لا يستطيعون مباشرة أعمالهم إلا بأمر من الإمام وكذلك تنفيذ المهمات ، كان يجري تحت إشرافه كي لا يستبد الوزراء بأمور الدولة كما يحدث في وزارة التفويض . وقد ساق الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية :[2] «والفرق بين الوزارتين بحسب الفرق بينهما في النظرين وذلك من أربعة وجوه :

أولاً : يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .

ثانياً : يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتفويض الولاة وليس لوزير التنفيذ .

ثالثاً : يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وبتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

رابعاً : يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في أموال بيت المال يقبض ما يستحق له ويدفع ما يجب فيه وليس ذلك لوزير التنفيذ .

الكتابة : يعرف ابن خلدون في مقدمته الكتابة[3] .

«صناعة شريفة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان . وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتادي بها الأغراض إلى البلاد البعيدة ويطلع

---

(١) الأحكام السلطانية ص ٢١ ـ ٢٨ وقد ورد في هذا الفصل أحكام وزارة التنفيذ والتفويض .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٧ .

بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم . «ويضيف كذلك» هي انتقال من الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات»[1] .

ونتيجة لكثرة أعمال الإمام أصبح من الضروري تعيين موظفين يعاونونه للإشراف على إدارة شؤون البلاد فكان الكاتب من أعوان الإمام المقربين فهو بمثابة خزانة أسراره ومرآة أحواله ولسانه الذي يخاطب به الأصدقاء والأعداء والقريب والبعيد، فهو أقرب إلى الإمام من الوزير، ولقد تعددت مهامه[2] من كتابة الرسائل وإذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية إلى الأمراء، وختمها بخاتم الإمام وكذلك مراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية، كما كان يجلس في مجلس القضاء للنظر في المظالم وختم الأحكام بخاتم الإمام.

أما الشروط الواجب توفرها في صاحب هذه الرتبة فهي كثيرة وأحسنها ما صدر عن عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب وأوردها ابن خلدون في مقدمته[3] : «أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم . . . فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة، بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها . . . موقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصرهم التي يبصرون . . . وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وفعال الفضل المذكورة المعدودة منكم . أيها الكتاب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٩ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ ٢ ص ٤٦٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٨ .

إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج في نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات الأمور أن يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً في موضع الحكم مقداماً في موضع الإقدام محجماً في موضع الأحجام مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف، كتوماً للأسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتي من النوازل يصنع الأمور في مواضعها والطوارق في أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه . . . تنافسوا يا معشر الكتاب في صفوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فإنه حيلة كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم . . . وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الأمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات. وإياكم والكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير أضنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم . . .

وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل مجمدة فلا يصفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها من هو دونه. وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء وهو لكم أفسد منه لهم . . . ».

ولقد اشتهر في صدر الدولة الإدريسية الكاتب أبو الحسن عبدالله بن مالك الأنصاري الخزرجي. [1]كان من العرب الوافدين على الإمام إدريس

(١) روض القرطاس ص ٢٧ و ٣٢ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٩.

الثاني ، وضع نفسه لخدمة الدولة ، فاتخذه الإمام كاتباً له . كان أبو الحسن يتمتع بثقافة عالية فاقت ثقافة غيره في المغرب عليماً فهيماً بليغاً ، قام بالأمر خير قيام . ومن المهمات التي كلفه بها الإمام إدريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من أصحابه[1] .

القضاء :

لم يعرف العرب في الجاهلية التشريع الوضعي الصادر عن الدولة لعدم وجود الدولة ، لذلك كان تشريعهم مبنياً على العرف والعادة يستند على الرأي العام في القبيلة وعلى سلطة رئيسها المعنوية وأحياناً على قوة الأفراد وفقاً لقاعدة الحق للقوة[2] . ولم يدونوا تشريعهم في قانون مكتوب على غرار ما فعلت الأمم القديمة كالرومان مثلاً ، لذلك كان درس تشريعهم عسيراً . وكان أثر ذلك افتقار عرب الجاهلية إلى قضاء حقيقي يملك الفصل في الخصومات ويؤمن احترام الحقوق وإيصالها إلى أصحابها ويضع حداً لاستباحتها فكان القضاء العشائري يقوم مقام القضاء المنظم يتولاه رئيس القبيلة بصورة تلائم حياتهم الفطرية[3] . ولكنهم عرفوا القضاء التحكيمي إذ كان من عاداتهم أن يلجأ المتنازعون أفراداً وجماعات إلى التحكيم لأجل فصل المنازعات . وينعقد باتفاقهم ويعين فيه موضوع الخلاف واسم الحكيم .

والتحكيم اختياري متروك إلى رضى المتنازعين . ولم يكن قرار التحكيم ملزماً قانوناً بل يخضع تنفيذه إلى سلطة الحكيم الأدبية ، فكان بعض الحكماء يأخذون العهود والمواثيق تأكيداً لقبول المتخاصمين بحكمهم .

---

(١) روض القرطاس ص ٣٢ ـ نبذ ص ٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦ . ـ جنى زهرة الآس ص ١٩ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ .

(٢) صبحي المحمصاني ، الأوضاع التشريعية في الدول العربية ماضيها وحاضرها ص ١٨ و ١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٢.

ولما جاء الإسلام أصبح القرآن مصدر التشريع الأساسي خاصة الآيات المدنية وهي تتعلق غالباً بالمسائل التشريعية وقد نزلت آيات متفرقة حسب مقتضيات حوادث المجتمع الإسلامي وتسمى هذه الحوادث بأسباب النزول، وإلى جانب القرآن الذي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي كانت السنة هي تشمل أقوال النبي ـ ص ـ وأفعاله وتقاريره المستنتجة من سكوته عن أمور حصلت بعلمه ورضاه، فكان النبي قاضي الإسلام الأول وفقيهه يحكم بما ينزله الله عليه من الوحي. وبعد أن اتسعت البلاد التي دخلت تحت سيادة الدولة الإسلامية اختلط العرب بغيرهم من الشعوب والأمم، دعت الحالة الجديدة إلى إدخال نظام تشريعي لفض المنازعات التي تنشأ بين رعايا الدولة، وقضى هذا النظام الجديد بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة لحل المشاكل وتطبيق الأحكام. ولم يكن يتقلد القضاء إلا من تكاملت فيه شروط سبعة[1] وذلك لإقامة العدل في المجتمع.

أما في المغرب فقد بقيت الدولة الإدريسية بدون قاض، لأن الإمام إدريس الأول يجلس للناس يحكم بينهم. ولم تكن مشاكلهم معقدة تتطلب جهداً لحلها. وفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م وفدت على الإمام إدريس الثاني الوفود من الأندلس وإفريقيا، فاختار منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي[2] وعينه على القضاء. كان عامر رجلاً صالحاً ورعا فقيها سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروي عنهما كثيراً. خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم جاز المضيق قاصداً المغرب، وهناك اتصل بالإمام إدريس الثاني حيث قلده القضاء.

(١) أورد الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية ص ٦١ ـ ٦٣ الشروط التي يجب توفرها في القاضي.

(٢) روض القرطاس ص ٢٩ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٣ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٥ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٨ ـ اللسان المعرب ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ نبذ ص ٥.

كان عامر يحكم وفق المذهب المالكي الذي انتشر في المغرب والأندلس في وقت واحد هو نهاية القرن الثاني الهجري . وكان الإمام مالك حجازياً يعتمد على الحديث بحكم بيئته العامرة بالمحدثين الذين تلقوا الحديث عن الصحابة . وورثوا من السنة ما لم يتح لغيرهم من أهل الأمصار الإسلامية الأخرى[١] بالإضافة إلى باقي الأدلة الشرعية وعلى دليل خاص عرف باسم المصالح المرسلة أي المصالح المستثناة من الأحكام العامة بداعي المصلحة والضرورة[٢] .

ومما يثير الاستغراب أن الأدارسة كانوا علويين شيعة والقضاء في دولتهم على المذهب المالكي ، لقد كان الأئمة الأدارسة يعتبرون أنفسهم أئمة المسلمين بصرف النظر عن هوياتهم المذهبية إذ كانوا يؤمنون بالإسلام بدون مذاهب ويطبقون أحكام الشريعة وفق القرآن وسنة جدهم النبي محمد ـ ص ـ. والمذاهب ظهرت في العصر العباسي وهي لا تخالف جوهر الدين فلا مانع ـ من وجهة نظرهم ـ تطبيق الفقهاء في دولتهم مذهب الإمام مالك خاصة وأن هناك عاملاً مشتركاً يجمع بين الفريقين . فقد أيد مالك ثورتهم ضد العباسيين سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م . واعترافهم بالمذهب المالكي يحرر بلادهم من نفوذ العباسيين الأدبي إذ أن هؤلاء قد اعتمدوا مذهب أبي حنيفة وكذلك يدعم استقلالهم السياسي . وربما يعود ذلك لتشابه البيئتين المغربية والحجازية لأن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب .

وقد حمل مذهب مالك إلى المغرب أكثر من ثلاثين رجلاً من أتباعه ولم تكن لهم الفتية حتى جاء أسد بن فرات حوالي سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م ، وقد أسند إليه زيادة الله الأغلبي قضاء إفريقيا فرحل إلى المشرق ولقي مالكاً[٣] ،

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي جـ٢ ص ٣٣٣.

(٢) الأوضاع التشريعية ص ١١١ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ص ١٧٢ وما بعدها

وفي سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ قدم سحنون إلى القيروان. واستطاعت المالكية أن تصيب مذهب أبي حنيفة بالصميم «ولا تمر الليالي والأيام حتى تنمحي كتب أبي حنيفة من إفريقيا محاها الله بسحنون»[١].

الجيش :

وهو من المؤسسات التي حظيت باهتمام الأئمة. لقد بدأ الأدارسة بتنظيم جيشهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب. فقد استطاع الإمام إدريس الأول بعبقريته وحسن قيادته أن يوحد القبائل البربرية ويؤلف قلوبهم وأن يجهز منهم جيشاً[٢] استطاع بواسطته أن يستولي على المغرب. لقد كان الجيش في تلك المرحلة بربرياً صرفاً ـ باستثناء قائده الإمام الذي كان عربياً ـ وقد غلبت عليه ظاهرة التطوع.

وفي عهد الإمام إدريس الثاني اتسعت دائرة التجنيد وتعددت جنسيات المتطوعين بانضمام الفرسان العرب الوافدين من إفريقيا والأندلس إلى صفوفه[٣] وكذلك الفرس القادمين من العراق[٤]. كانوا على مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية، وأكثرهم شارك في المعارك الدائرة في الأندلس ضد الإسبان وفي المشرق ضد الروم البيزنطيين، فاكتسبوا مهارة قتالية جديدة زادت من كفاءة الجيش الإدريسي في المغرب ورفعت من معنوياته.

---

(١) المالكي: رياض النفوس ص ١٦٥.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الإعلام ص ١٩١ ـ جني زهرة الآس ص ١٢ ـ روض القرطاس ص ٢٠ ونبذ ص ٢ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٧ ـ الدرر البهية ص ٥ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١٠.

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ ٢٨ ـ روض القرطاس ص ٢٩ ونبذ ص ٥ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧١ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٢٨ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩.

(٤) روض القرطاس ص ٣٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦.

وقد قسم الأئمة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة الثقيلة . أما في المعارك فكان يخضع للنظام العسكري السائد في الجيوش الإسلامية ، فكان يتألف من ميمنة وميسرة وهما الجناحان وقلب . كان الجناحان يتألفان عادة من الفرسان . أما القلب فكان من صفوف ، الصف الأول ويحمل مقاتلوه الرماح لصد هجمات الفرسان . أما الصفوف الباقية فكانت تضم بقية المشاة . وخلف الجميع حملة الأسلحة الثقيلة .

أما الأسلحة التي تزود بها الجيش فاختلفت باختلاف عناصره . كان سلاح المشاة الدروع والسيوف والقسي والسهام والأقواس الطويلة والأطر والخناجر ويرتدون أردية صوفية خشنة بمثابة الدروع متدلية إلى ما تحت الركبة والسراويل والنعال . أما الفرسان فكان سلاحهم السيوف والرماح والدرق اللمطية ويلبسون الدروع والخوذ الحديدية .

وفي حصار المدن استخدم الأدارسة الأسلحة الثقيلة كالمنجنيق الذي استعمل لدك الأسوار ، وكذلك الدبابات فكان الجنود يتقدمون بداخلها إلى الأسوار لنقبها دون أن تصيبهم نبال العدو وسهامه .

وعلى رأس الجيش كان الإمام الذي يسير في المقدمة خلافاً للتقاليد العسكرية التي تقول بأن يبقى القائد في مؤخرة الصفوف لأن في حياته حياة جيشه وكذلك في موته موت الجيش ، ضارباً لهم المثل الأعلى في القيادة والشجاعة - قتال الإمام إدريس الثاني للخوارج مثلاً - حتى أنه كان يثير دهشة جنوده أثناء اشتداد حدة المعارك[1] .

لقد امتاز الجيش الإدريسي في مراحله الأولى بالنشاط والخفة وسرعة الحركة والصبر على تحمل المشاق وبذل النفس رخيصة لتحقيق الأهداف

---

(١) المغرب ص ١٢٣ - روض القرطاس ص ٢٦ - الاستقصا ص ١٦٩ - ١٧٠ جـ ١ الحلل البهية ص ٩١ - جنى زهرة الآس ص ٢٧ .

التي آمن بها بفضل هذا الجيش امتدت دولة الأدارسة من وادي شلف في المغرب الأوسط إلى الصحراء، وقد صان حدودها حتى أنه لم يتجرأ طامع فيها على مهاجمتها، فكان بالمرصاد لتحركات الأغالبة الذين أحجموا خوفاً منه عن مهاجمتها، ولم يقف الأمير عند حماية الدولة وتوسيعها بل قام بدور مهم في حفظ وحدة البلاد الداخلية، فقد قضى على الخوارج الذين قسموا البلاد إلى إمارات مستقلة، وكذلك قضى على التمرد الذي قاده عيسى، شقيق الإمام محمد ـ في شالة، ذلك التمرد الذي كاد يقضي على الدولة وهي في ذروتها، وحفظ الأمن الداخلي أثناء السلم، فكان يتعقب المجرمين وقطاع الطرق ويوفر الأمن للمواطنين، كما حدث في عهد الإمام إدريس الثاني عندما هدد أحد قطاع الطرق ويدعى علون «المارة في غياض فاس، قبل وأثناء بنائها، فقد اتخذ الخارج على القانون من عين هناك مركزاً للسلب والنهب، فأرسل إليه الإمام إدريس الثاني فرقة من الجيش قبضت عليه وساقته مكبلاً وأحضرته إلى الإمام الذي أمر بقتله وصلبه على شجرة في المكان الذي اتخذه مركزاً لعدوانه ليكون عبرة لغيره[1]. وهكذا ساد الأمن والهدوء أرجاء الدولة.

ولم يكن جيشاً للحرب فقط بل كان للبناء أيضاً، فقد استخدمه الإمام إدريس الثاني لبناء مدينة فاس، وخاصة حفر الأسوار وتعميرها وتشييد دور الحكم والثكنات الخاصة به بالإضافة إلى بناء المساجد في كافة أرجاء المغرب خاصة في فاس وتلمسان. كما كان هذا الجيش يقوم ببناء الحصون والقلاع في داخل البلاد وعلى الحدود لمراقبة تحركات القبائل وكذلك تحركات الأعداء في الخارج. هذا بالإضافة إلى مشاركة المواطنين في حفر الترع والأقنية لري الأراضي.

(١) روض القرطاس ٣٩ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣١ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦.

ولكن رغم كل ذلك اعتمد الأدارسة على نسبهم أكثر من اعتمادهم على تنظيم جيش قوي دائم نظامي، إذ غلب عليه طابع التطوع، فكان أفراده ينصرفون بعد كل معركة إلى عائلاتهم لأخذ قسط من الراحة، وبذلك كانوا يفقدون كفاءاتهم العسكرية شيئاً فشيئاً ويعتادون على الحياة الهنيئة. كما كان أكثرهم بلا رواتب بل المتطوع يأخذ ما يحصل عليه (من الغنائم والأسلاب. ولم تظهر عوارض الضعف عليه في المراحل الأولى إذ كانت شخصية الإمام تسد هذا الضعف. اضف إلى ذلك أن الأعداء كانوا على ٠، جة عالية من الضعف مما شغلهم عن مهاجمة دولة الأدارسة. ولكن ذلك إلى انهيارها عندما هاجمها أعداؤها الأقوياء من فاطميين في إفريقيا يين في الأندلس.

سلام:

من مآثر الدولة الإدريسية في عصرها الذهبي أنها نشرت الإسلام بالمغرب الأقصى، وقد أكمل الأدارسة ما بدأ به الفاتحون الأوائل، فقد رافقت حملات الفتح العربي بعثات تبشيرية تدعو إلى الإسلام وتبني المساجد - مسجد نفيس - وتقيم الربط - رباط شاكر على المحيط الأطلسي - قد اقترنت أسماء أولئك الفاتحين والمبشرين بصفات الأولياء فقيل سيدي عقبة. ولكن هذه الجهود لم تقض على الديانات الأخرى فبقيت قائمة إلى جانب الإسلام الذي أصبح له نفوذ ومكانة في نفوس المغاربة، فكانت مرحلة تمهيدية سهلت الطريق أمام الأدارسة لنشر الإسلام، فقد ركزوا جهودهم واعتبروا أعمالهم العسكرية الجهاد في سبيل الله، فنشروا الإسلام في كافة أرجاء المغرب في مرحلة قصيرة جداً (١٧٢ - ١٩٧ هـ) (٧٨٨ - ٨١٢ م) إذا ما قيست بالنسبة لمرحلة الفتح التي امتدت أكثر من قرن. ولم يبق في عهدهم مكان لديانة أخرى في المغرب.

التعريب :

رافقت نشر الإسلام عملية تعريب المغرب. فقد كان بلا هوية ثقافية ولا لغة مكتوبة. فلما دخل الإسلام تلك البلاد كان لا بد للبربر من تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً** ﴾ وفهم تفسيره وتعلم الحديث بالإضافة إلى إقامة الصلاة. هذه الناحية الدينية أسهمت مساهمة فعالة في نشر اللغة العربية وصبغت البلاد بالصبغة العربية.

وبعد فتح الأندلس اندفعت القبائل إلى الاستيطان فيه، كان المغرب الممر الوحيد الذي تجتازه هذه القبائل المهاجرة. وقد تركت هذه العمليات من الهجرة بصماتها الثقافية والحضارية حيث حلت، فاستفاد المغرب منها قدر الإمكان.

ورغم ذلك لم يتم تعريب البلاد ثقافة ولغة لأن هذه المحاولات اقتضتها ظروف الفتح وعملية انتقال القبائل العربية، ولم تكن هادفة إلى تعريب المغرب. ومع ذلك كانت محاولات مشجعة غرست في نفوس السكان بذور الثقافة العربية إذ شعروا أنهم بحاجة إلى لغة الدولة العالمية للمساهمة في نهضتها خاصة بعدما ساهموا بوجودها السياسي والعسكري في فتح الأندلس. ولما قدم الأدارسة إلى المغرب وجدوا أن الطريق ممهدة أمامهم لإكمال عملية التعريب فتابعوا الطريق. فبعد أن رسخت الدولة أقدامها وأضحى لها كيانها المستقل وفدت عليها القبائل العربية من الشرق والغرب على حد سواء للإقامة فيها. كان الوافدون على مستوى ثقافي وحضاري أضفوا على الدولة الطابع العربي الصرف لغة وثقافة وعلوماً فكان منهم الوزراء والكتاب والقضاة. وهذا ما شجع المغاربة على محاكاة أرباب الدولة فانكبوا على التزود من الثقافة العربية ليساهموا في حضارة الدولة التي قامت بينهم وعلى أكتافهم وليكون لهم دور في إدارة شؤونها،

وقد شجع الأئمة هذه الظاهرة بجلوسهم للبربر والتحدث إليهم باللغة العربية وإقامة المدارس في المساجد التي أسسوها، فكانت منائر للعلم والعبادة. ولم يمض قرن من الزمان على قيام الدولة إلا وكانت أعداد غفيرة من العلماء أتقنت اللغة العربية وانطلقت للعمل في أرجاء المغرب في ميادين الثقافة. وكذلك بناء مدينة فاس، فقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء فكانت دار علم وفقه وحديث بالعربية منذ تأسيسها. وكان فقهاؤها يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب[1]، وقد أورد إسماعيل بن الأحمر في كتابه بيوتات فاس الكبرى أسماء كثير من العلماء والأدباء الذين أنجبتهم مدينة فاس. وقد جاء في دعاء الإمام إدريس الثاني عند البدء ببناء مدينة فاس «اللهم اجعلها دار علم وفقه»[2]...

وهكذا قررت دولة الأدارسة مصير المغرب ديانة وثقافة منذ قيامها إلى الآن.

الكيان الدولي:

تمتع المغرب لأول مرة في تاريخه القديم بمكانة دولية فبعد أن كان مجرد ولايات تابعة للأجنبي وإمارات مبعثرة في أطراف الصحراء لا يشعر بوجودها أحد منحه الأدارسة الوحدة والاستقلال.

من ناحية الوحدة قضى الأدارسة على الإمارات والولايات ذات الكيانات الهزيلة، وأخضعوا لقبائل البربرية الشديدة البأس والتي كانت متمردة على كل حكم مركزي، فإذا بها تخضع لأول مرة لحكومة فاس المركزية، وقد وضعت القبائل قواتها بتصرف الأئمة وأضحت عوناً لهم في

(١) روض القرطاس ص ٣٦.

(٢) روض القرطاس ص ٣٦ جنى زهرة الآس ص ٢٢ و ٢٣ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٦ - سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧١.

حروبها بعد أن كانت عدواً للفاتحين الأوائل. وبفضل هذه القوات الجديدة استطاع الأدارسة القضاء على الخوارج الذين أسسوا إمارات لهم تدين ببدع لا أساس لها في الإسلام. ومدوا حدود الدولة من وادي شلف إلى أطراف الصحراء. وبذلك حقق الأدارسة وحدة المغرب الأقصى الجغرافية ونظموا فيه قواعد الحكم المركزي ورسخوا أسسه.

من ناحية الاستقلال، أكمل الأدارسة ما بدأه الفاتحون الأوائل فقد قضى الفتح الإسلامي على النفوذ الأجنبي، وربط المغرب بالعالم الإسلامي. فلما جاء الأدارسة وطدوا دعام هذا الاستقلال وعززوه من الناحية السياسية وذلك بقطع الصلة عن نفوذ الخلافة في المشرق. وحتى الصلة الروحية التي كانت تربط العالم الإسلامي بالخلافة العباسية والتي لم يتجرأ حاكم مسلم قبلهم على قطعها، أقدم الأدارسة على خطوة هي الأولى من نوعها في تاريخ الدولة الإسلامية، إذ قطعوا هذه الصل ونادوا بأنفسهم أئمة معتمدين على نسبهم الشريف وكفاءاتهم وأنهم أصحاب الحق في قيادة المسلمين. وبفضل الوحدة والاستقلال جعلوا من المغرب كياناً إسلامياً عربياً خلافاً لبعض الكيانات التي انفصلت عن الدولة العباسية، إذا احتفظت بالإسلام ديناً ونأت عن العرب لغة وثقافة. وشعر سكان المغرب الأقصى بكيانهم السياسي وأصبحوا في ظل حكم الأدارسة قوة عالمية يحسب لها حساب بين الدول المجاورة. وقد هددت ممتلكات الدولة العباسية في إفريقيا، وقد وقفت خلافة بغداد ـ وهي في أوج قوتها ـ عاجزة عن إرسال جنودها لقتالهم، وأضحى المغرب قبلة أنظار المسلمين وملجأ المضطهدين فقصدوه من الشرق والغرب للاستقرار فيه. وما ذلك إلا بفضل ذلك الكيان الدولي الذي حققه الأدارسة للمغرب.

الحياة الاجتماعية:

ترك الأدارسة آثاراً مهمة في كيان المجتمع المغربي وأحدثوا تطورات

واضحة في مواقف قواه الاجماعية، ذلك لأن فكر الأئمة قوامه المساواة بين كافة العناصر والأجناس دون تفرقة أو تمييز عملاً بالحديث الشريف: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» وقيام دولة الأدارسة العلويين على هذا المبدأ أحدث انقلاباً في موازين القوى الاجتماعية بالمغرب الأقصى إذ وقف البربر لأول مرة على قدم المساواة مع العرب الفاتحين في تولي مناصب الوزارة في الدولة فكأن أبو خالد يزيد بن الياس العبدي البربري وبهلول بن عبد الواحد المطغري وزيرين لإمام إدريس الثاني.

لقد كان المجتمع المغربي قبيل قدوم الأدارسة مجتمعاً متمايزاً غير متجانس كانت قواه وعناصره في صراع عنصري وقبلي، فالعرب تمتعوا بوضع ممتاز باحتكارهم شؤون الحكم وهيمنتم على السلطة، ومع ذلك دب الشقاق والصراع على الزعامة بين العرب القيسية واليمنية مما أضعف العنصر العربي عموماً في أواخر العصر الأموي. أما البربر سكان البلاد الأصليين فعلى الرغم من أنهم يمثلون السواد الأعظم من السكان لم يكن لهم وزن كبير في الحياة السياسية رغم مساهماتهم في الفتوحات العسكرية ولا سيما الأندلس، وبالإضافة لما كان بينهم وبين العرب من عداء عنصري مستحكم فلم يسلموا من آفة الخصومات القبلية مثل الصراع بين البرنس والبتر وهو صراع قديم استمر طيلة العصر الإسلامي.

إلى جانب العرب والبربر ضمت البلاد أقليات من السودان واليهود ولم يكن لتلك الأقليات كبير وزن في الحياة السياسية. فالسودان كانوا يجلبون من أواسط إفريقيا عن طريق الغزوات العربية لأطراف بلادهم، أو كرقيق عن طريق التجارة، وقد اختلطوا بالبربر واعتنقوا الإسلام على أمل رفع مستواهم الاجتماعي. ولكن بعض ولاة بني أمية اضطهدوهم وعاملوهم معاملة الموالي.

وكانت ببلاد المغرب أعداد من اليهود هاجرت إليها منذ العصر الروماني

بعد استعبادهم في إسبانيا في القرن السابع الميلادي، كان المغرب الأقصى - لعوامل جغرافية - الملاذ الذي لجأ إليه اليهود وشكلوا أقلية لها دور في الحياة الاقتصادية، وإذا كانوا قد تمتعوا بالحرية الدينية بعد الفتح الإسلامي باعتبارهم أهل ذمة فقد نالهم نصيب من ظلم ولاة بني أمية.

ونتيجة التعصب الولاة للعرب فقد اندلعت ثورات البربر في المغرب، تلك الثورات التي كانت تشكل صراعاً بين العرب والبربر بسبب تلك السياسة التعصبية ولهذا حرص ثوار البربر على الفتك بالعرب خاصة في معركة الأشراف، فقد قتل في تلك المعركة «حماة العرب وفرسانها وأبطالها»[1]. مما دفع بالخليفة هشام بن عبد الملك إلى إعلان سياسة عنصرية ضد البربر: «والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي»[2].

وقد أدت معركة الأشراف إلى إضعاف شوكة العرب وزادت من حدة العداء بينهم وبين البربر. ولم يفيد سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م على يدالعباسيين شيئاً بالنسبة للبربر، إذ نافس الجند الخراسانيون العرب على مكان الصدارة. وبقي المغرب الأقصى في حالة اضطراب وضياع حتى قدوم الأدارسة عليه سنة ١٧٢ هـ / إذ استطاع الأئمة توحيد المجتمع المغربي بفضل مبادىء الإسلام، فقد اجتمعوا بتر وبرانس على مبادىء الإسلام التي تدعو إلى العدل والمساواة، واختفت إلى حين نزعة التناحر والخصومة بين عناصر البربر واشتركوا جنباً إلى جنب في جيش الأئمة للجهاد

(١) معركة الأشراف حدثت سنة ١٢٢ هـ / بين ميسرة المطغري وعبيدالله بن الحجاب قرب مدينة طنجة ودعيت معركة الأشراف لكثرة القتلى العرب فيها. البيان المغرب جـ ١ ص ٥٤ الاستقصا ص ١٠٩.

(٢) البيان المغرب ص ٥٤ - القيرواني ص ١٥٩ - الاستقصا جـ ١ ص ١٠٩ يشير فقط إلى غضبة هشام.

وللقضاء على الخوارج الذين بثوا الرعب في المجتمع المغربي. وقد أدى قيام دولة الأدارسة إلى إعطاء البربر - العنصر الأساسي للسكان - دورهم في الحياة السياسية إلى جانب الناحية العسكرية فشعروا أن الدولة منهم ولهم لذلك انصهروا في بوتقتها لإعلاء شأنها وحقق الأئمة للمغرب الأقصى الانصهار الأثني وأصبح مجتمعاً متجانساً شعاره خدمة الإنسان المغربي وتحقيق الرفاهية له.

وقيام دولة الإدارية كان له آثاره الاجتماعية في حياة سكان المغرب الأقصى فقد تحول فحص سايس من غابات وغياض وآجام للوحوش والزواحف، وحصن يأوي إليه اللصوص لقطع الطرق وسلب السابلة، إلى مدينة آهلة بالسكان مزدانة بالعمارات والأغراس، تلك كانت مدينة فاس حاضرة المغرب الأقصى وأهم مدنه. وقد جذبت المدينة الجديدة وبتشجيع من الإمام إدريس الثاني بانيها القبائل من أوربة وفروعها وزناته الضاربة في تلك البقاع ومصمودة وهجروا مواطنهم في الأرياف واستقروا بها. ولا شك أن هجرة هذه القبائل وتحولها من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضارة والاستقرار أدى بها إلى أن تغير الكثير من مظاهر حياتها الاجتماعية في عاداتها وتقاليدها. واختلطت بعناصر وافدة من الأندلس وإفريقيا والعراق فأدى هذا الاختلاط إلى اقتباس الكثير من عادات تلك الشعوب المتقدمة حضارياً وبذلك يكون الأئمة قد ساهموا في تحضير قبائل البربر في المغرب الأقصى.

ومن آثار الأدارسة المهمة في المغرب بروز دور المرأة في المجتمع الغربي ويجب ألا ننسى دور كنزة زوجة الإمام إدريس الأول ووالدة الإمام إدريس الثاني - فقد اهتمت بتربية ابنها ورعته وبقيت إلى جانبه طوال حياته تقدم له النصح وتوجهه لما فيه خير الرعية وخيره. فكانت المرشدة والملهمة في تخطيط سياسة الدولة حتى في عهد أحفادها أبناء إدريس الثاني. فكانت

المثال الأعلى لنساء المغرب اللواتي تتطلعن إلى تقليدها في تربية أبنائهن خاصة وأن كنزة كانت بربرية الأصل.

وهكذا نقل الأدارسة المجتمع المغربي من مجتمع قبلي بدائي يعيش حياة الفطرة إلى مجتمع حضاري في كثير من عاداته وتقاليده.

الحالة الاقتصادية

أحدثت ثورات البربر آثاراً سيئة في أحوال المغرب الاقتصادية إذ تمخض عنها خراب وركود وكساد في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة نتيجة تخريب المزارع وإحراق الأشجار، فقد أمرت الكاهنة أثناء ثورتها أنصارها «بقطع الشجر وهدم الحصون ما بين طرابلس وطنجة وكانت ظلاً واحداً كثيرة الخيرات[1]» فخربوا ذلك كله مما دفع بسكانه أن يهاجروا إلى الأندلس بعد أن فقدوا موارد رزقهم[2]. وزادت الحالة الاقتصادية سوءاً سياسة بعض عمال بني أمية في المغرب، فقد أرهقوا السكان بالمغارم والجبايات وحفلوا بإشباع نهم خلفاء دمشق، وأهملوا سبل الإصلاح الاقتصادي مما دفع بالسكان إلى اعتناق مذهب الخوارج، وثاروا آملين بالخلاص من جور عمال الأمويين وسوء سياساتهم الاقتصادية[3]: واستنزفت هذه الثورات جهود الولاة وموارد البلاد المالية، فقد أنفقوا الكثير من الأموال على إعداد الجيوش ومضاعفة الأعطيات لمواجهة تلك الثورات التي زادت الحالة الاقتصادية تدهوراً، إذ استمرت قرابة نصف قرن أسفرت

(١) ذكر ابن عذارى أن الكاهنة خاطبت أنصارها قائلة «إنما العرب إنما يطلبون من إفريقيا المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقيا كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر» البيان المغرب جـ ١ ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٠٦ «وكثر في أموال البربر فأجمعوا الانتفاض».

عن تهديم المدن والأسوار مما جشم الولاة عناء ترميمها فضلاً عن ذلك فقد أزهقت أعداداً من الأرواح فحرمت البلاد من الأيدي المنتجة، فخربت المزارع وكسدت التجارة وتهددت الطرق بالأخطار وأدى ذلك كله إلى حدوث الأزمات والمجاعات فأكل الناس الكلاب والجلود[1]. وليس أدل على ذلك من استعانة ولاة المغرب بأموال مصر لمواجهة خطر الخوارج. فكانت ترد إليهم إعانة مقدارها مئة ألف درهم[2]. ومع ذلك لم يكن بوسعهم القيام بأعباء الحكم والنهوض بأحوال البلاد الاقتصادية. واقتصرت جهودهم على النواحي العسكرية كبناء الأسوار وإقامة الحصون والقلاع[3]. ولم تسمح لهم الظروف بالاهتمام بالنواحي الاقتصادية إلا بعد إخماد ثورات الخوارج في العصر العباسي على يد الوالي محمد بن الأشعث[4] غير أن هذا الاهتمام كان فردياً انتهى بذهاب صاحبه.

إذن كان التدهور الاقتصادي يعود إلى الاضطراب السياسي ممثلاً في جشع الولاة وثورات البربر والخوارج، فلما انحسرت تلك الثورات عن المغرب الأقصى بقيام دولة الأدارسة المستقلة قدر للبلاد أن تشهد ازدهاراً اقتصادياً ملموساً في كافة النواحي الاقتصادية. فقد اهتم الأدارسة بالزراعة وقد توفرت لدولتهم المياه الغزيرة الدائمة الجريان (بحثت مياه المغرب في التمهيد) بالإضافة إلى الأمطار. وقد عني الأدارسة بالاستفادة من هذه المياه. فشقوا القنوات واهتموا بزراعة الحبوب وخاصة القمح. وقلما كان يخلو سهل من زراعته[5] ويجود بشكل خاص في التربة الحمراء (سهل سايس بين فاس ومكناس) وسهل الشاوية على الساحل بين الرباط والدار

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١١٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٦٣.

(٣) البيان المغرب جـ ١ ص ٧٢.

(٤) المكان نفسه «وأخصبت بلاد إفريقيا».

(٥) صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٥ ـ المغرب العربي ص ١٠٠

البيضاء وفي أحواض الأنهار. وبلغ ثمن وسق القمح بمدينة فاس درهمين إلى ثلاثة دراهم[١] ـ وتقل زراعته كلما اتجهنا نحو الصحراء حيث يحل مكانه الشعير الذي يكتفي بالقليل من الماء، وينمو في الأرض الخفيفة ولهذا كان الغذاء الأساسي لإبناء الصحراء. بالإضافة إلى الذرة التي تنمو حول مجاري الأنهار وفي الواحات وكانت غذاء أكثر المغاربة. ويزرع الأرز بكميات قليلة في بعض المناطق وخاصة في المناطق الحارة المروية، وقد وصل إلى المغرب من آسيا[٢].

وشجع الأدارسة زراعة النباتات الصناعية، ففي جوار مدينة البصرة يزرع القطن وكذلك في أحواز طنجة ووادي سبو شرق فاس وسجلماسة[٣] والكتان ما بين تاهرت وفاس[٤].

والبصرة التي اشتهرت به[٥]. ويزرع قصب السكر في إقليم الصحراء خاصة في سجلماسة وتارودانت وإقليم أغمات[٦] ووادي درعة[٧]، وكذلك القنب[٨].

واهتم الأئمة الأدارسة بالأشجار المثمرة خاصة العنب وعمت زراعته أرجاء المغرب بين فاس وسبتة وسجلماسة[٩]. وقد ذكر بعض المؤرخين أن

---

(١) روض القرطاس ص ٩٦ ـ والوسق مكيال في الربع الأول من القرن الثاني الهجري التاسع الميلادي.
(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٥.
(٣) صورة الأرض ص ٨١.
(٤) المصدر السابق ص ٨٤.
(٥) المغرب ص ١١٠.
(٦) صورة الأرض ص ٩٠.
(٧) المغرب ص ١٦١ ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٤.
(٨) صورة الأرض ص ٩٠.
(٩) المغرب ص ١١٤ و ١٤٨ ـ صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٦.

الإمام إدريس الثاني توفي بحبة عنب شرق بها[1] .

ومن الأشجار المثمرة التي تشجع الأدارسة زراعتها الزيتون[2] وخاصة ما بين فاس ومكناس حتى أن الأخيرة نسبت إليه فقيل «مكناس الزيتون»[3] . وكذلك النخيل فقد جلبت أغراسه من العراق مع بداية الفتح الإسلامي وانتشرت زراعته في سائر أنحاء المغرب في الساحل والداخل والصحراء[4] . وتعد سجلماسة أهم مناطق زراعته [5] حتى أن ابن بطوطة شبهها بمدينة البصرة العراقية [6] ، وفي مدينة أغمات [7] ، وأزكى التي كانت تحيط بها آلاف الأشجار من النخيل وأجود أنواعه إيرار [8] .

وعرفت الصحراء نوعاً من الثمر يدعى الفرتي وهو شبيه بالإجاص شديد الحلاوة[9] .

واهتم الأئمة الأدارسة بالصناعة وعملوا على تطويرها مغتنمين فرصة وجود عدد من الحرفيين العرب الوافدين من الأندلس والمشرق ، وكذلك اليهود والفرس[10]. ووفرة المناجم وخاصة مناجم درعة[3] .

وكلمة صناعة يختلف مدلولها التاريخي في ذلك العصر عن عصرنا

---

(١) المغرب ص ١٢٣ ـ روض القرطاس ص ٥٠ ـ سلوة الأنفاس ج ١ ص ٨١.
(٢) صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٧٥ .
(٣) الدر النفيس باب فصل ٨ (وليلي وسط أغراس الزيتون) ـ الدرر البهية ص ٨٩.
(٤) المغرب ص ١٦٢ .
(٥) المصدر السابق ص ١٦٣ .
(٦) رحلة ابن بطوطة ص ٦٥٨.
(٧) المغرب ص ١٧٣ .
(٨) رحلة ابن بطوطة ص ٦٥٨.
(٩) رحلة ابن بطوطة ص ٦٦٣.
(١٠) سأتطرق في الجزء الخاص بمدينة فاس إلى العناصر التي قطنتها.
(١١) مختصر كتاب البلدان ص ٨٠.

الحاضر، فكانت صناعة تتناسب مع التطور التاريخي وهي حلقة من حلقات التطور الصناعي العام، لقد كانت صناعة محلية لإنتاج ما يحتاجه الإنسان المغربي في حياته اليومية لسير عمله. وأهم الصناعات المغربية صناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب إلى عصر الزيتون. ويذكر البكري «أن غذاء السكان كان الزيت والعسل واللبن والزبيب»[1]...

كانت المطاحن قائمة على مجاري الأنهار وخاصة في منطقة فاس. أما معاصر الزيتون فكانت منتشرة في كل بقعة عامرة بأشجاره. واستندت إلى صناعة الزيت صناعة الصابون خاصة في مدينة مكناس. ولم يقتصر استخراج الزيت على الزيتون بل تعداه إلى ثمر الغرتي والهرجان وذلك بعصر قشره واستعمل في طهي الطعام وإنارة السرج ليلاً. كان الزيت يستخرج من الهرجان بترك الثمر حتى يذبل ثم يوضع على النار فيستخرج منه دهن طعمه يشبه طعم القمح يستعمل كدواء يسخن الكلي ويدر البول[2]. وكذلك من ثمر الهلجان الذي ينمو في بلاد السوس، وكان السكان يعجنون ثمره ثم يطحنونه ويستخرجون منه دهن يستغنون به عن الزيت[3]. وصنعوا السكر من القصب في البصرة على الساحل وتارودانت في الصحراء، واهتدوا إلى صناعة مشروبات من اللبن والعسل يستعمل كدواء. وازدهرت في المغرب في ذلك العهد صناعة النسيج. وكان السكان يهتمون بهندامهم لأنهم كانوا يعتبرون اللباس من أهم مظاهر المكانة الاجتماعية، فنسجوا الملابس من المواد الأولية المحلية كالقطن والكتان والصوف، منها زي شعبي يسمى السفاري[4] وكذلك التلمساني[5].

(١) المغرب ص ١١٧.

(٢) المغرب ص ١٦١.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٣.

(٤) السفاري نسيج من الحرير والصوف والقطن.

(٥) التلمساني نسيج من الحرير والصوف وقد اشتهرت به مدينة تلمسان فنسب إليها.

كان النول الآلة الوحيدة المستعملة في النسيج. كان على جانب من التطور يتلائم مع تلك المرحلة. وإلى جانبه أنوال بدائية لصنع العباءات ذات القبعة وهي اللباس الشعبي كانت تستخدم الصوف الخشن.

كانت المرأة العنصر الأساسي في صناعة النسيج، ويقوم بالصباغ فنيون استخدموا مواد معدنية خاصة. واشتهرت فاس بزركشة المنسوجات وصبغها باللونين القرمزي والأرجواني.[1] وصنعت سجلماسة أثواباً بلغ ثمن الواحد منها عشرين مثقالاً[2]. وصنعوا من الجلود سرج الخيل والدواب والحقائب وجلدوا الكتب. ومن منتوجاتهم الأدوات المنزلية والقدور النحاسية والخزفية والبسط والحصر.

وفي مجتمع قبلي معرض دائماً للغزو الداخلي وللعدوان الخارجي. ازدهرت صناعة الأسلحة للدفاع عن النفس، فأتقنوا إنتاج الدرق والمزاريق والسيوف والأطاس[3] والخناجر والأقواس الطويلة والألبسة الصوفية الخشنة التي كانت بمثابة الدروع.

إن ازدهار التجارة يرتكز على تقدم عنصري الاقتصاد الزراعة والصناعة وعلى توفير الأمن والاستقرار. كان دور الأئمة بارزاً في هذا الميدان إذ أنعشوا الزراعة وشجعوا الصناعة وعملوا على تطويرها ـ كما مر سابقاً ـ وركزوا جهودهم على توفير الأمن للقوافل العابرة لبلادهم فكانوا يجهزون الحملات العسكرية للقضاء على قطاع الطرق ـ حادثة علون ـ ولمنع السلب والاعتداء على التجار وضبطوا الثغور واهتموا بموانىء البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

(١) معجم البلدان ص ٤.

(٢) المغرب ص ١٣٧.

(٣) الأطاس سلاح شبيه بالخنجر.

وبالرغم من علاقات الأدارسة السيئة مع جيرانهم الأغالبة والخوارج في إفريقيا والأمويين في الأندلس. فإن الصلة التجارية ظلت قائمة مع سائر دول المغرب فضلاً عن المشرق وبلاد السودان. فقد كانت القوافل تنتقل من المشرق إلى مصر ومنها إلى برقة فالقيروان حيث دولة الأغالبة حتى ترد فاس وهناك تكون محطتها الأخيرة فتفرغ بضائعها وتحمل منتجات المغرب عائدة من حيث أتت. كذلك كانت الطريق البحرية بين المغرب والأندلس غاصة بالسفن التجارية التابعة لدول المنطقة الغربية فكانت موانىء مليلة وسبتة وطنجة على البحر المتوسط وأصيلا والعرائش وسلا وآزمور على المحيط الأطلسي صلة الوصل مع موانىء شاطبة وتدمير وبلنسية وإشبيلية وقادس. إذ كانت السفن تتبادل نقل البضائع المغربية والأندلسية. أما عن التجارة مع بلاد السودان فقد شكلت جزءاً مهماً من نشاطهم الاقتصادي، فبلاد السودان تقع جنوب المغرب تفصلها عنه سلاسل جبلية تتخللها بعض المفاوز ونطاق الصحراء الكبرى، فكانت مدن المغرب الأقصى - مدينة نفيس - حلقة الاتصال مع بلاد السودان الغربي. وقد تطورت العلاقات التجارية بين الأدارسة وشعوب تلك البلاد. ساعد على ذلك عدم قيام حروب بين الفريقين.

ولا تخلو هذه الطرق من الصعوبات الطبيعية وغيرها، فتحرك الرمال في الصحراء يقضي على معالمها وتصبح القوافل العابرة لها في وضع سيء. وربما أدى بها ذلك إلى الهلاك. ومن هنا تولدت الحاجة إلى من يرشدها إلى الطريق الصحيح. وأثناء الفتن والحروب كان اللصوص وقطاع الطرق[1] يغتنمون الفرص فيعترضون سبلها ويعتدون عليها سواء بسلبها البضائع أو

(١) يذكر ابن خلدون: «إن معاش المعتزين أهل الأنجاع والأظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة» العبر جـ ٦ ص ٨٩.

بفرض غرامات مالية ولتجنب هذه الصعاب اكترى التجار الكشاف المغربي - وهو من أبناء المنطقة المشهورين بالشدة والبأس - بمبلغ من المال يتلاءم مع حجم القافلة لحمايتها. ومهمته كذلك حمل الرسائل من التجار إلى أصدقائهم في المدن والأسواق ليعلمهم بقرب موعد وصول القافلة، فيستعد هؤلاء للعمليات التجارية.

كانت القافلة تضم عشرين جملاً إلى ثلاثين، وربما ارتفع العدد إلى الخمسين كان مسيرها بعد صلاة العصر وأثناء الليل وترتاح أكثر النهار وتقيم في الأماكن الخصبة عدة أيام.

حملت هذه القوافل إلى المغرب المصنوعات الحديدية والنحاسية والزجاجية والقرنفل والبخور والتوابل والمنسوجات والمعادن الثمينة وخاصة الذهب وخشب الأبنوس والعاج والجلود[1].

كانت تجري العمليات التجارية غالباً بالمقايضة، وكانت تقام أسواق أسبوعية للتبادل التجاري تتركز في بعض المدن منها أسواق أودغشت[2] حيث كان يجتمع فيها خلق كثير فلا يكاد المرء يسمع صوت صاحبه لكثرة اللغط. وسوق أغمات[3] نهار الأحد يتمون بها الناس من كافة البضائع. وسوق فاس يومي الخميس[4] والأحد[5] وسوق جبل عين الشمس يوم الجمعة[6] وسوق أصيلا يوم الجمعة وعيد الأضحى ويوم عاشوراء[7] يردها

(1) مختصر كتاب البلدان ص ٨٧ - الاصطخري: المسالك والممالك ص ٣٥.

(2) المغرب ص ١٥٣.

(3) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(4) المغرب ص ١٠٨ ولا يزال مكان سوق الخميس إلى اليوم حيث تقوم هناك قرية بهذا الاسم «سوق الخميس» غرب فاس.

(5) المصدر السابق ص ١١٦.

(6) المصدر السابق ١٠٩

(7) المصدر السابق ص ١١١ و ١١٢.

التجار من كافة أرجاء المغرب الأقصى والبلاد المجاورة ولا سيما الأندلس وسوق وليلي يوم الأربعاء[1] .

هذه الأسواق دعمت الصداقة بين جميع الفرقاء، فكان رعايا البلدان يختلطون ويتبادلون الآراء فكانت مناسبات لنشر الإسلام بين سكان السودان الغربي بشكل خاص. وعادت هذه السياسة السمحاء من جانب الأئمة على المغرب الأقصى بأطيب الثمار من التجارة إذ امتلأ المغرب بالبضائع الأجنبية وحقق السكان ثراء وليس أدل على هذا الازدهار وعلى استقلالية دولة الأدارسة من صك النقود من الذهب عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م.

مالية الدولة:

بعد تأسيس مدينة فاس ونجاح حملته في بلاد السوس الأقصى، استقرت دولة الإمام إدريس الثاني، رأى أن يدعم هذا الاستقرار بتنظيم شؤونها المالية. لقد كانت الدولة تستعمل حتى ذلك الوقت ـ بالرغم من مضي أكثر من ربع قرن على تأسيسها ـ الدنانير والدراهم الإسلامية المضروبة في المشرق. قطع الإمام إدريس الثاني هذه الصلة المادية وأنشأ داراً للسكة في مدينة فاس وضرب الدرهم الإدريسي لأول مرة عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م[2] وبذلك حقق لدولته استقلالها الاقتصادي وعزز مكانتها الدولية. كان وزن الدرهم يعادل نصف دينار في عرف أهل المغرب[3]. ثم ضرب الإمام

(١) الدرر البهية ص ٨٩.

(٢) الاستقصا جـ١ ص ١٧١ لم يحدد تاريخ الضرب ـ الدر النفيس باب فصل ٣٤ ـ دول الإسلام بالمغرب ص ١٥ لم يحدد تاريخ الغرب.

(٣) أورد أحمد الحلبي في كتاب الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٤ المعلومات التالية:

عن الدرهم والدينار، الدينار فيه من الحبوب ستة وتسعون حبة وهي أربع وعشرون نوايا والنواة أربع حبوب. ونصف الدينار ثمانية وأربعون حبة وهي اثنا عشرة نواية وهذا هو درهم الإمام إدريس. الدينار اثنا عشر درهماً والخروبة نصف ثمن النواية والدرهم نوايتان وهي ثمان حبوب. الدينار أربع وعشرون حبة وهي ست نوايا. ثمن الدينار اثنا عشرة حبة أي ثلاث نوايات درهم الإمام إدريس موافق لما جاء في القاموس. الرطل ١٢ أوقية والأوقية استار =

محمد بن إدريس درهمه سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠[١].

موارد الدولة :

أما موارد الدولة فكانت من الجزية وزكاة الأموال والغنائم[٢] والجزاء[٣] والمكوس.

الجزية :

هي مبلغ من المال فرض على أهل الكتاب بنص ورد في القرآن الكريم. ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾[٤] وتجب على الرجال الأحرار العقلاء الذين يجب عليهم الجهاد لو كانوا مسلمين[٥] وتؤخذ مرة في السنة، ومقدارها موكول إلى اجتهاد الولاة من الطرفين[٦]. ويشترط في عقدها شرطان مستحق ومستحب[٧].

= وثلث الأستار ٤ مثاقيل. المثقال درهم وثلاثة أسباع ١٧. الدرهم ست دوانق الدانق قيراطان القيراط طوجان والطوج حبتان. الحبة ثمن الدرهم وهو جزء من ٤٨ فيكون درهم الإمام إدريس نقص منه قسبان وخمس الحبة. وزن الدرهم الإسلامي خمسون حبة و ٥٢ من الحبة من شعير متوسط غير مقشور. قال ولي الدين العراقي الشافعي: الدينار الإسلامي ٧٢ نعيلة. الدرهم الإسلامي ٥٠٢ سقيدة فيبقى ٢١٥ وهو الدينار الشرعي. ونقص درهم الإمام محمد عن درهم أبيه نواية. «للتعمق راجع كتاب الأحكام السلطانية ص ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠». الفصل المتعلق بالدرهم الإسلامي.

(١) الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٤ - انظر المصور رقم ٧.

(٢) سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣.

(٣) جني زهرة الآس ص ٢٦ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢.

(٤) القرآن الكريم سورة التوبة آية رقم ٢٩.

(٥) الأحكام السلطانية ص ١٣٧.

(٦) الأحكام السلطانية ص ١٣٨.

(٧) المصدر السابق ص ١٣٨ و ١٣٩.

وقد أخذ الأئمة الأدارسة الجزية من اليهود الذين استوطنوا مدينة فاس بعد تأسيسها! وكانوا قد وفدوا من الأندلس مقدارها ثلاثون ألف دينار سنوياً[1].

زكاة الأموال: [2]

هي صدقة تجب على المسلم في ماله ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم** ﴾ وقد تشدد الأئمة الأدارسة في أخذها لأن الله سبحانه وتعالى قرنها بالصلاة ﴿ **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾. وقد أخذوها من الأموال المرصدة للنماء إما بنفسها أو بالعمل فيها. وكانت نوعين ظاهرة وباطنة. فالظاهرة لا يمكن إخفاؤها وهي الزرع والثمر والمواشي. والباطنة ما أمكن إخفاؤها وهي الذهب والفضة. وقد جبوا الزكاة من الأموال الظاهرة كاملة وكانوا يحضون الناس على إخراج الزكاة من الأموال الباطنة لأنهم لا يستطيعون تحديدها. وليس لولي الصدقات نظراً في زكاة تلك الأموال وأصحابها أحق بإخراجها طوعاً[3].

الفيء والغنائم:

الفيء هو كل مال وصل من المشركين أو كانوا سبب وصوله إلى المسلمين عفواً من غير قتال. ومال الغنائم هو ما أصابه المسلمون من أهل الشرك قهراً، ويشمل على أربعة أقسام: الأسرى والسبي والأراضي والأموال. وقد نفذ الأئمة أحكام القرآن سواء في أخذها أم في توزيعها.

---

(١) روض القرطاس ص ٤٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٩ ويذكر أن مقدار الجزية ثلاثة آلاف فقط.

(٢) للتعمق راجع كتاب الماردي: الأحكام السلطانية ص ١٠٨ ـ ١١٥ وكتاب المستطرف للأبشيهي ص ٨.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٠٨.

(٤) المصدر السابق ١٢١ ـ ١٣٥ للتعمق.

الجزاء[1] :

مبلغ من المال يؤديه المرء جزاء بنائه على أرض لا يملكها وكانت بمدينة فاس أحياء مفروض الجزاء على جميع بناياتها.

أوجه الاتفاق :

طبق الأئمة الأدارسة قاعدة التخصص في إنفاق موارد الدولة وفقاً لأحكام القرآن وخاصة في الزكاة والفيء والغنائم. بالنسبة للزكاة كان الأئمة يصرفون أموالها إلى مستحقيها المذكورين في الآية الكريمة[2] : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين فيها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾. ويذكر الكتاني في سلوة الأنفاس «إن أموال الزكاة كانت تصرف إلى مستحقيها من الضعفاء والأرامل والأيتام»[3]. أما الفيء والغنائم فكانت تقسم إلى خمسة أقسام متساوية الخمس الأول ينفق وفق أحكام الآية الكريمة ﴿ **واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾[4] والأخماس الأربعة الباقية فخصصها الأئمة رواتب للجيش وللعتاد الحربي.

أما الأموال التي كانت تدخل بيت المال فكانت توضع بتصرف الإمام إذ لم يكن هناك من فرق بين المالية العامة ومالية الإمام، فكان ينفقها على مصلحة الدولة العليا وفق ما يراه مناسباً. فخصص قسماً منها رواتب للوزراء والقضاة وصغار الموظفين الذين تولوا الجهاز الإداري البسيط.

---

(١) جنى زهرة الآس ص ٢٦ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢.
(٢) القرآن الكريم سورة التوبة آية رقم ٦٠.
(٣) سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣.
(٤) القرآن الكريم سورة الأنفال آية رقم ٤١.

وقد حظيت المشاريع العامة بمبالغ خصصها الإمام لهذه الغاية وخاصة بناء مدينة فاس الذي تم بعد محاولتين فاشلتين، وكذلك بناء المساجد في فاس وتلمسان بالإضافة إلى شق الترع والمجاري المائية التي تتناول مياهها من الأنهر الكبيرة كأبي رقراق وأم الربيع وسبو وملوية وغيرها . . . لإرواء الأراضي العطشى في سبيل زيادة الإنتاج. هذا عدا الهبات والمنح التي كان الأئمة يغدقونها على العلماء والفقهاء والوافدين، وكذلك إقامة الأبنية والمساكن للمرضى خارج مدينة فاس. وقد اطلع السكان على المشاريع البناءة التي تنفق عليها الأموال التي يؤدونها فاطمأنوا إلى أن ما يدفعونه يعود عليهم بالخير العميم فأقبلوا على دفع ما يتوجب عليهم برضى وقناعة، وبذلك كان الأئمة الأدارسة المثل الأعلى للحاكم المسلم المؤمن في المغرب الإسلامي.

بناء مدينة فاس[1]:

بعد أن تلقى الإمام إدريس الثاني البيعة عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م استقام له الأمر، فكثر الوافدون عليه من الأندلس وإفريقيا حتى ضاقت بهم مدينة وليلي ذات البناء القديم والتخطيط البسيط الذي مضى عليه مئات السنين ولا يؤهلها لأن تكون حاضرة للمغرب، رأى الإمام أن يهب دولته عاصمة جديدة ذات طابع عربي يسكنها مع حاشيته وجنوده وتستوعب الوافدين وتتناسب مع المكانة الدولية التي بدأ المغرب يتمتع بها في عهده وتنافس عواصم الشرق كبغداد والقيروان . . .

خرج الإمام مع هيئة الدولة لانتقاء المكان المناسب[2] عام ١٩٠ هـ /

(١) ياقوت: معجم البلدان م ٤ ص ٢٣٠ ومراصد الاطلاع في معرفة الأمكنة والبقاع ص ٢٩٩ - صورة الأرض ص ٨٩ - صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٥٣ - المغرب ص ١١٥.

(٢) جنى زهرة الآس ص ١٨ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤ - أعمال الإعلام ص ١٩٨ - صبح =

٨٠٥ م[١] وصل إلى جبل زالغ (انظر المصور رقم ٨) أعجبه ارتفاعه وطيب تربته[٢]، فقرر أن يبني مدينة هناك[٣]. اختط مدينة بسنده مما يلي الجوف وشرع في البناء[٤].

بنى بعض الدور ونحو الثلث من السور[٥]. وذات ليلة حدث ما لم يكن متوقعاً، فقد هطلت الأمطار بغزارة وأتى سيل من أعالي الجبل[٦] فهدم أكثر البناء وألقي بالأنقاض في نهر سبو[٧] فكف الإمام إدريس عندئذٍ عن البناء[٨]. وعاد إلى وليلي[٩].

وفي شهر محرم سنة ١٩١ هـ / تشرين الثاني ٨٠٦ م[١٠]خرج الإمام ثانية يرتاد موضعاً لبناء عاصمته[٢] الحلم الذي راوده، فانتهى إلى حمة

= الأعشى جـ ٥ ص ١٨١ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ المعرب المبين ص ٢٣ ـ تاريخ دول الإسلام ص ١٤ ـ شذر الذهب ص ٣ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩ ـ الدرر البهية ص ٨ ـ نبذ من روض القرطاس ص ٥.

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧.

(٢) جنى زهرة الآس ص ١٨ ـ روض القرطاس ص ٢٩
ويقع جبل زالغ شمالي مدينة فاس يبلغ ارتفاعه حوالي ٩٩٠ م. ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ هامش رقم ٣٤.

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٨.

(٤) روض القرطاس ص ٢٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩.

(٥) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤ ـ ويذكر ابن أبي زرع في روض القرطاس ص ٢٩ ونبذ من روض القرطاس ص ٥ وابن القاضي في جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ أن الإمام إدريس بنى جزءاً من سورها.

(٦) روض القرطاس ص ٢٩.

(٧) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤.

(٨) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٧ ـ روض القرطاس ص ٣٠ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩.

(٩) نبذ من روض القرطاس ص ٥.

(١٠) روض القرطاس ص ٣٠ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٨.

(١١) روض القرطاس ص ٣٠ ـ جنى زهرة الآس ص ١٨ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٦٩.

خولان في وادي نهر سبو[1]. أعجبه موضع الحمة لقربه من الماء[2] ولكن بعد أن تفحص المكان جيداً عدل عن البناء بعد أن تبين له أن المياه تصل إلى المكان شتاء، فخاف على الناس من الهلاك[3] وعاد إلى وليلي[4].

هاتان المحاولتان، وإن لم يكتب لهما النجاح لم تثن الإمام عن عزمه بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي[5] يرتاد موضعاً للمدينة المنشودة. سار عمير مع جماعة من قومه[6]، اخترق النواحي المجاورة لوليلي حتى وصل إلى فحص سايس[7] أعجبه المكان لكثرة مياهه واعتدال هوائه (المصور رقم ٩) ومروجه الخضراء[8]. نزل هناك على عين غزيرة المياه توضأ وصلى الظهر[9]، ثم دعا الله أن يهون عليه مطلبه ويحقق قصده[10]. وقد نسبت العين إليه فسميت عين عمير منذ ذلك الحين[11] ثم سار وحده في فحص سايس حتى وصل إلى منبع النهر[12] فرأى ينابيع تزيد على الستين تجري مياهها في

---

(١) جنى زهرة الآس ص ١٨ ـ روض القرطاس ص ٣٠ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.
وحمة خولان تعرف الآن بحمة سيدي حرازم تبعد ١٥ كلم إلى الجنوب الشرقي من فاس، تنبع منها مياه غنية بالغاز الكاربوني تبلغ حرارتها ٣٥ درجة.

(٢) روض القرطاس ص ٣٠ ـ جني زهرة الآس ص ١٨.

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٨ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.

(٤) روض القرطاس ص ٣٠ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.

(٥) جنى زهرة الآس ص ١٨ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٨.

(٦) روض القرطاس ص ٣٠ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٥ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦.

(٧) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٨ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠ ـ فحص سايس هو السهل الممتد بين فاس ومكناس.

(٨) روض القرطاس ص ٣٠ ـ جنى زهرة الآس ص ٤٨.

(٩) روض القرطاس ص ٣٠ ـ جنى زهرة الآس ص ١٨.

(١٠) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٩ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.

(١١) اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٥.

(١٢) جني زهرة الآس ص ١٩ ـ روض القرطاس ص ٣١ ـ المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.

السهل، وتحيط بها غابات من شجر الطرفاء والطخش والعرعر والكلخ[1].

تفحص المكان، شرب من الماء فاستطابه، نظر إلى الأرض التي حوله فأعجبته[2] فقال: «هذا ماء عذب وهواء معتدل وهو أقل ضرراً وأكثر نفعاً وحوله من المزارع أكثر مما حول نهر سبو»[3]، ثم سار مع ميل الماء حتى وصل إلى مكان بين جبلين كثير الأشجار والينابيع. رأى في المكان خيام شعر تقيم فيها قبائل بربرية من زناته[4] (زواغة وبني يزغتن)[5]. ومن زواغة تحدر بنو الخير[6]. رجع الوزير عمير إلى وليلي وأخبر الإمام بالأرض التي استحسنها[7].

خرج الإمام بنفسه ليطلع على المكان ويتفحصه، أعجبه، استقدم السكان المقيمين هناك وكانوا في قتال بينهم[8] بسبب تباين أديانهم، فمنهم المسلمون والنصارى واليهود والمجوس[9]. كان بنو يزغتن ينصبون مضاربهم في المكان الذي دعي فيما بعد بعدوة الأندلس[10]. كانوا مجوساً

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٩ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٥.

(٢) جنى زهرة الآس ص ١٩ - روض القرطاس ص ٣١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠.

(٣) جنى زهرة الآس ص ١٩ وقد ورد ما يلي: ماء عذب وطعم معتدل ومحل كثير المنفعة لأجل ما جاوره من الأشجار حوله من المزارع.

(٤) جنى زهرة الآس ص ١٩ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٢٩ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠ وقد ورد ما يلي: يسكن المكان قوم من زنانة يعرفون بزواغة ويسمون بني الخير. بينما ورد في الاستقصا جـ ١ ص ١٦٥ أن زواغة قبيلة بربرية يتفرع منها بنو الخير... وبني يزغتن يتفرعون من زنانة ويسميهم ابن خلدون في العبر جـ ٤ ص ١٣ بني بوغش.

(٥) روض القرطاس ص ٣١ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧٠ - اللسان المعرب ص ١٢٦.

(٦) العبر جـ ٤ ص ١٣ - الاستقصا جـ ٠ ص ٦٥.

(٧) جنى زهرة الآس ص ١٩.

(٨) روض القرطاس ص ٣١ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦. وقد ورد في الاستقصا أن سبب القتال في تلك المرحلة خلاف على حدود الأرض.

(٩) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠ - العبر جـ ٤ ص ١٧ - الحلل البهية ص ٩٠.

(٤) روض القرطاس ص ٧١.

وبيت نارهم بالشيبوبة[1] . وبنو الخير الزواغيين يقيمون بعدوة الأندلس[2] ، حضروا بين يديه أصلح بينهم فأسلموا[3] ، ثم اشترى منهم الغيضة مكان المدينة ، اشترى أولاً موضع عدوة الأندلس من بني يزغتن بألفين وخمسماية درهم ، ثم موضع عدوة القرويين من بني الخير الزواغيين بثلاثة آلاف وخمسماية درهم[4] وكتب العقد بشراء الأرض الكاتب الفقيه أبو الحسن عبدالله بن مالك الخزرجي الأنصاري[5] وذلك سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ م[6] .

وبعد أن تمت عملية شراء الأرض نزلها الإمام إدريس وضرب قبابه بالموضوع المعروف بجرواوة[7] ، أحاطه بسياج من الخشب والقصب[8] خطط المدينة ، ثم رفع يديه نحو السماء وقال : «اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها سنتك وحدودك ، واجعل أهلها متمسكين بالسنة

(١) روض القرطاس ص ٣١ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ والمكان ما زال معروفاً بهذا الاسم حتى اليوم ويقع بين الحدادين وقنطرة ما بين المدن : جذوة الاقتباس ص ٣٠ رقم ٤٣ .

(٢) روض القرطاس ص ٣١ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠.

(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦ ـ العبر جـ ٤ ص ١٣ .

(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠ ـ شذر الذهب ص ٣ ـ الحلل البهية ص ٩٠ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ جنى زهرة الآس ص ١٩ وقد ورد ما يلي بعث إليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم .

(٥) روض القرطاس ص ٣٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٩ .

(٦) روض القرطاس ص ٣٢ ونبذ ص ٦ ـ جنى زهرة الآس ص ١٩ .

(٧) روض القرطاس ص ٣٢ ـ جنى زهرة الآس ص ١٩ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦ : الاسم كرواوة ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠ : الاسم كرواوة . ـ المفاخر العلية ص ٧١ ـ الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٦ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ روض القرطاس ص ٣٢ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٠ وقد ورد ما يلي :

اكروا ، ومعناه باللهجة البربرية الحائط وباللغة العربية السياج ومنه جاءت كلمة كرواوة (جرواوة) أي المكان المحاط بسياج من قصب وما زالت حومة كرواوة التي ضرب بها الإمام إدريس الثاني قبابة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم (هامش رقم ٤٤) .

(٨) جنى زهرة الآس ص ١٩ هامش رقم ٥٥ .

والجماعة ما أبقيتها. بسم الله الرحمن الرحيم **﴿والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾**[1].

ثم شرع في البناء نهار الخميس غرة ربيع الأول سنة ١٩٢ / هـ ٤ كانون الأول ٨٠٨ م[2] أخذ المعول وبدأ بحفر أساس السور ثم تبعته العمال بعد ذلك[3].

ابتدأ ببناء السور من جهة القبلة فتح باباً سماه باب القبلة[4] وتلاه بباب آخر بين الفوارة وزيتون ابن عطية سماه باب الغوارة[5] ويؤدي إلى سجلماسة. ثم مر بالسور على المخفية فإلى الوادي الكبير ثم إلى برزخ وفتح هناك باباً سماه باب المخفية[6] ثم سار بالسور إلى الشيبوبة ففتح باب

---

(١) جنى زهرة الآس ص ٢٢ و ٢٣ - روض القرطاس ص ٣٦ - سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣ - المفاخر العلية باب ٥ ص ٧١ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٦ وقد وردت كلمة ما أبقيتهم بدل كلمة ما أبقيتها.

(٢) جنى زهرة الآس ص ٢٤ - جامع القرويين جـ ١ ص ٤٤.

(٣) جنى زهرة الآس ص ٢٣ وقد جاء ما يلي: «وفي هذه الأثناء مر بالإمام إدريس راهب من النصارى وقد نيف على مئة وخمسين عاماً يقيم في صومعة قريبة من تلك الجهات. فوقف الإمام إدريس وسلم عليه. ثم قال له: أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين؟ قال / أريد أن أختط مدينة لسكناي وسكني ولدي من بعدي يعبد الله تعالى بها ويتلى كتابه وتقام حدوده. فقال له: أيها الأمير إن لك عندي بشرى. قال: وما هي أيها الراهب؟ قال له: أخبرني راهب كان قبلي في هذا الدير هلك مند مئة سنة أنه يوجد في كتب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى ساف ضربت منذ ألف سنة وأنه يجددها ويحي أثرها ويقيم دارسها رجل من آل البيت (بيت النبوة) يسمى إدريس ويكون لها شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الإسلام قائماً فيها إلى يوم القيامة. فقال إدريس: الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل بيت النبوة وأنا بانيها إن شاء الله تعالى. فكان ذلك مما قوى من عزمه على بنائه.

(٤) جنى زهرة الآس ص ٢٤.

(٥) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٤.

(٦) جنى زهرة الآس ص ٢٤ - روض القرطاس ص ٤٠ ولم يسم الباب.

الشيبوبة[1]. وتابع بناء السور فترك في منطقة رأس حجر الفرج باب أبي سفيان[2] (المصور رقم ١٠). ومنه كان طريق الريف. وفي جرواوة فتح باب الكنيسة[3] إلى جهة الشرق وعرف فيما بعد بباب الخوخة[4].

وخصص الإمام المكان الواقع خارج باب الكنيسة لإقامة المرضى حيث الهواء الغربي الذي يهب كثيراً على المنطقة، يحمل روائحهم وجرايتهم بعيداً فلا يصل إلى سكان المدينة شيء من ذلك. وليكون تصريف الماء الناجم عن غسلهم خارج البلد[5]. وقد استمر الإمام ببناء السور حتى وصل إلى باب القبلة.

وبعد أن أتم بناء السور انصرف لبناء الجامع فأقامه قرب رحبة البير دعاه بجامع الأشياخ[6] وأقام به الخطبة[7].

استمر الإمام إدريس مقيماً بجرواوة. وقد سميت هذه العدوة باسم عدوة الأندلسيين وذلك لنزول العرب الوافدين إلى المغرب فيها. وكانوا يقدرون بثمانية آلاف أسرة[8] سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م. فلما استقروا فيها شرعوا بالبناء في كافة الاتجاهات من ناحية الكدان ومصمودة إلى الغوارة وحارة الكنيف والرميلة.

---

(١) جنى زهرة الآس ص ٢٤.

(٢) جنى زهرة الآس ص ٢٤ ويعرف الآن بباب بوجيدة.

(٣) روض القرطاس ص ٤٠.

(٤) جنى زهرة الآس ص ٢٤.

(٥) روض القرطاس ص ٤٠ و٤١ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٦) جنى زهرة الآس ص ٢٥ ـ روض القرطاس ص ٣٨ ـ جامع القرويين جـ ١ ص ٤٤ ـ اللسان المعرب ص ١٢٦ ـ ويعرف الآن بجامع الأنوار ومكانه بحومة جرواوة عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة. وكان الجامع يتألف من ست بلاطات.

(٧) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢ ـ روض القرطاس ص ٣٨ نبذ ص ٧.

(٨) روض القرطاس ص ٤٧ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٨ ولم يحدد العدد.

أما العدوة الثانية فقد أسسها الإمام إدريس الثاني بعد مرور عام على تأسيس العدوة الأولى وذلك نهار الجمعة غرة ربيع الثاني ١٩٣ هـ / ٢٢ كانون الثاني ٨٠٩ م[١]. كان موضعها غياضاً كثيفة من الأشجار. تخرج منه ينابيع كثيرة، فأعجبه ما رأى من جمالها وخصبها ما جعله يتخلى عن عدوة الأندلسيين وينتقل إليها فنزل بالقرمدة[٢] وبدأ ببناء الجامع المعروف الآن بجامع الشرفا[٣] (انظر المصورات رقم ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦). وأقام فيه الخطبة ثم شرع في بناء داره المعروفة بدار القيطون[٤] بجانب المسجد. وتبع ذلك بناء القيسارية على محاذاة المسجد[٥] كذلك وأدار الأسواق حوله من كل جانب[٦] وأمر الناس بالبناء والغرس بقوله «من ابتنى موضعاً وغرسه قبل تمام السور فهو له هبة ابتغاء لوجه الله تعالى[٧] «فتسارع الناس إلى البناء بعد أن حدد لهم الإمام أماكن مرور السور فكان الرجل يختط» موضع منزله، ثم يقطع الخشب منه ويستعمله في البناء ولا يحتاج بذلك لأحد[٨]».

وفي هذه الأثناء قدم على الإمام إدريس جماعة من الفرس من العراق[٩] فأنزلهم بناحية (عين علون) وكانت غيضة من الأشجار يأوي إليها

(١) روض القرطاس ص ٣٨ - جنى زهرة الآس ص ٢٥ - العبر جـ ٤ ص ١٣ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٦ - اللسان المعرب ص ١٢٦ - جامع القرويين جـ ١ ص ٤٤.

(٢) جنى زهرة الآس ص ٢٥ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦.

(٣) روض القرطاس ص ٣٨ - أعمال الإعلام ص ٢٠١ - العبر جـ ٤ ص ١٣ - جامع القرويين ص ٤٤ - شذر الذهب ص ٣ - الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٦ - ومساحة الجامع ثلاث بلاطات.

(٤) جنى زهرة الآس ص ٢٥ - العبر جـ ٤ ص ١٣ وقد ورد ما يلي وبنى فيها مساكنه - اللسان المعرب ص ١٢٦.

(٥) روض القرطاس ص ٣٨.

(٦) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦.

(٧) روض القرطاس ص ٣٩ - جنى زهرة الآس ص ٢٦ - اللسان المعرب ص ١٢٦.

(٨) روض القرطاس ص ٣٩ - جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢.

(٩) روض القرطاس ص ٣٩ - الاستقصا جـ ١ ص ١٦٦.

رجل أسود يقطع الطريق ويهدد المارة يدعى علون[1]. وكان الناس قبل بناء المدينة يتجنبون المرور فيها خوفاً من علون المذكور[2] فلما علم الإمام بأمره أرسل فرقة من الجيش لاعتقاله، قبض الجنود عليه وحملوه مكبلاً إليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على العين ليكون عبرة لغيره. وقد نسبت إليه منذ ذلك الحين ثم شرع ببناء سور المدينة الجديدة، بدأ به من رأس عقبة عين علون حيث ترك هناك باباً سماه باب إفريقيا فكان أول باب بالمدينة[3] ثم فتح باباً آخر في عقبة الصقر سماه باب حصن سعدون[4]. وفي أول إغلان باب الفرس[5] وفي منطقة الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين فتح باب الفصيل وهو الباب الذي يؤدي إلى العدوة الأولى[6]. وبعد أن جاز الوادي خمس مسافات فتح باب الفرج[7]. ثم جاز النهر عائداً إلى العدوة، وعلى مقربة من عيون ابن اللصاد فتح باب الحديد[8] (انظر المصور رقم ١٧) ثم سار بالسور حتى وصل إلى باب إفريقيا، فجاءت العدوة متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين لها ستة أبواب[9]. وقد أطلق على هذه المدينة اسم عدوة القرويين لأن أول من نزلها مع الإمام إدريس الثاني ثلاثماية عائلة قادمة من القيروان فنسبت إليهم[10](انظر المصور رقم ١٨).

---

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٢ و ٣٣ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٥.
(٢) جنى زهرة الآس ص ٢٥ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٣.
(٣) روض القرطاس ص ٣٩ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٥.
(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٧٣ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٥ ويسميه باب القوس.
(٥) روض القرطاس ص ٣٩ ـ جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٣.
(٦) جنى زهرة الآس ص ٢٥.
(٧) جنى زهرة الآس ص ٢٥.
(٨)
(٩) روض القرطاس ص ٤٠.
(١٠) جذوة الاقتباس جـ ١ ص٣٨ ـ الاستقصا جـ ١ ص١٦٦ ـ ١٦٧ ـ جنى زهرة الآس ص ٢٦ عدد العائلات غير محدد.

وهكذا جاءت المدينة مؤلفة من عدوتين حصينتين مسورتين (انظر المصور رقم ١٩) منيعة مرتفعة يفصل بينهما نهر الوادي الكبير الذي يدخل عدوة القرويين من ناحية باب الحديد بواسطة شباك مزرد ويخرج منها من موضع الرميلة بواسطة بابين كبيرين على شكل شبابيك من خشب الأرز مزودة بسلاسل حديدية[١] ويجري بين العدوتين. وبقيت مدينة فاس منفصلة حتى دخلها يوسف بن تاشفين أمير الرابطين نهار الخميس ٢ جمادي الآخرة سنة ٤٦٢ هـ / ١٨ آذار ١٠٧٠ م فهدم الأسوار الفاصلة وصيرها مصراً واحداً. (انظر المصور رقم ٢٠).

وسمى الإمام مدينته الجديدة باسم «فاس». وقد تعددت الروايات بالنسبة للتسمية، منها أن الإمام لما شرع في حفر أساس السور كان يحفر بواسطة فأس. ولكثرة ترديد كلمة فأس أطلق على المدينة اسم فاس بدون همزة[٢].

ورواية ثانية تقول أنه لما شرع في حفر الأساس من جهة القبلة عثر على فأس كبير طوله أربعة أشبار وسعته شبر واحد ووزنه ستون رطلاً فسميت به[٣].

ورواية ثالثة تذكر أنه لما أتم الإمام البناء قيل له: بم تسميها؟ قال باسم المدينة التي كانت مكانها والتي أخبرني عنها الراهب بأنها كانت تسمى «ساف» ولكني أقلب اسمها الأول وأسميها بمقلوبه. فجاء منه اسم فاس[٥].

(١) روض القرطاس ص ٤٢.
(٢) جنى زهرة الآس ص ٤١.
(٣) روض القرطاس ص ٤٥ ـ اللسان المعرب ص ١٢٧.
(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٦.
(٥) روض القرطاس ص ٤٥.

ولما فرغ الإمام من بناء المدينة أنزل بها القبائل كل قبيلة بناحية فنزل العرب القيسية في عدوة القرويين من باب إفريقيا إلى باب الحديد ونزل الأزد على حدهم إلى ناحية باب الحديد واليحصبيون والفرس على حدهم إلى ناحية باب إفريقيا[1]. ونزل العرب القادمون من القيروان في الناحية المخصصة لهم. ووفدت على فاس جماعة من اليهود رغبت بالإقامة في المدينة الجديدة، فأنزلهم الإمام إدريس ناحية أغلان إلى باب حصن سعدون[2].

وفي عدوة الأندلسيين، فبالإضافة إلى الأندلسيين الذين أنزلهم الإمام الأماكن التي أعدها لهم[3]، فقد نزل بها قبائل البربر: صنهاجة ولواتة ومصمودة كل قبيلة في المكان المخصص لها[4]. وقصد المدينة الناس من كل أنحاء المغرب للاستقرار بها. وأمر الإمام القاطنين في المدينة بزيادة البناء وباستغلال الأرض فغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه في نهر سبو - بأنواع الأشجار المختلفة كالكروم والزيتون[5]...

أما الإمام دريس الثاني فقد نزل بعدوة القرويين مع حاشيته ومواليه وكذلك أصحاب الحرف من صناع وتجار[6] وأنزل جيشه بعدوة الأندلسيين وجعل بها مواشيه من الخيل والبقر والإبل والغنم وكلف ثقاته بالإشراف عليها[7].

(١) روض القرطاس ص ٤٥ - ٤٦.
(٢) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٩.
(٣) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٧.
(٤) روض القرطاس ص ٤٦.
(٥) جني زهرة الآس ص ٢٦.
(٦) روض القرطاس ص ٤٦ - تاريخ دول الإسلام بالمغرب ص ١٤.
(٧) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٣٩.

ولما حضرته أول صلاة جمعة في مدينته الجديدة صعد الإمام إدريس المنبر وخطب في الناس قائلاً: «اللهم أنك تعلم أنـي ما أردت ببنـاء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة. وإنما أردت أن تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمـد ـ ص ـ ما بقيت الدنيا»[1]. وكانت الخطبة تقام بجامعي الشرفا والأشياخ مداورة إلى آخر أيام الأدارسة[2]. وقد تمتعت مدينة فاس بميزات قلما توفـرت لمدينـة مغربية. منها غزارة المياه، ففيها نهرها المعروف باسم نهر الجوهر[3] الذي يتناول مياهه من ستين نبعاً على مسافة ستة أميال منها، بعض هذه الينابيع يقع إلى القبلة وبعضها إلى الشرق ويجري في بسيط من الأرض محـرج حتـى يدخلهـا فيتشعـب في داخلهـا إلـى جداول تذهـب إلـى المساجـد والـدور والحمامات. ثم تتجمع هذه الجداول بعد خروجها من المدينة في مجـرى واحد يصب في[4] وادي سبو على ميلين منها. ولهذا[5] النهر صفات يضفيها منها صفاؤه وعذوبة مائه وبرودتها صيفاً وسخانتهـا شتـاء ويعيش في المـاء أنواع من الحوت كاللبيس والبـوري والسلبـاخ والبوقـة[6] ممـا يوفـر غذاء لسكانها. هذا بالإضافة إلى العديد من الينابيع والعيون الجارية[7] وبفضلها

---

(١) جنى زهرة الآس ص ٢٦ ـ الاستقصا جـ ١ ص ١٦٧ ـ سلوة الأنفاس جـ ١ ص ٧٣ ـ شذر الذهب ص ٣.

(٢) الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٧.

(٣) جنى زهرة الآس ص ٣٤ ويسمى بالجوهر نسبة إلى صدف ثمين يعيش فيه يقوم مقام الجوهر، جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٣ ويسمى اليوم وادي فاس.

(٤) جنى زهرة الآس ص ٣٤.

ويسمى بالجوهر نسبة إلى صدف ثمين يعيش فيه يقوم مكان الجوهر، جذوة الالتباس جـ ١ ص ٤٣ ويسمى اليوم وادي فاس.

(٥) جنى زهرة الآس ص ٣٤.

(٦) روض القرطاس ص ٣٤.

(٧) جنى زهرة الآس ص ٣٥.

طاب الثرى وزكت الأشجار وكثرت الخيرات[1] . وقد اشتهرت المدينة بطيب ثمارها مثل الرمان والسفري والتين السفرى والسبتي والعنب والخوخ والجوز والعناب والأترش والسفرجل وسائر الفواكه الخريفية وتأتي من عدوة القرويين . وتختص عدوة الأندلسيين بالتفاح بأنواعه الطرابلسي والليوبي والطلي والكلي وأصناف الكمثري والمشمش والبرقوق والتوت[2] . هذا وتزدان المدينة بالورود والرياحين وسائر أعشاب[3] الأدوية النافعة[4] . إلى جانب المياه العذبة تمتعت المدينة بالعيون الساخنة التي تنبع بالقرب منها كحمة خولان[5] وحمة وشتاتة وحمة أبي يعقوب[6] .

وتمتاز المدينة بقربها من وادي سبو الذي تنبعث مياهه من مغارة في بلاد فازاز[7] وتسير فيه القوارب والسفن الصغيرة إلى البحر[8]. وتعيش في مياهه الحيتان مثل الشولي والقرب والتابل[9] .

وتزودها الجبال المحيطة بها بالخشب وخاصة خشب الأرز المقطوع من جبال بني يازخة البعيدة عنها ثلاثين كيلو متراً (ميلاً) وكان يصل إليها يومياً

---

(١) روض القرطاس ص ٤٤.
(٢) جنى زهرة الآس ص ٣٦.
(٣) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٤.
(٤) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٤.
وتقع هذه الحمة خلف جبل زالغ غير بعيدة عن باب وشتاتة ومياهها غنية بمادة الكبريت.
(٥) جنى زهرة الآس ص ٣٦.
(٦) وحمة أبي يعقوب تقع إلى الشمال الغربي من فاس على بعد ٥ كيلو مترات مياهها ساخنة وغنية بالكبريت.
(٧) جنى زهرة الآس ص ٣٦.
(٨) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٧.
(٩) جنى زهرة الآس ص ٣٧.

منه أحمال كثيرة تستخدم لسقف البيوت. وميزة خشب الأرز أنه يعمّر كثيراً في الأماكن الجافة فلا يسوس. عدا عن الحطب[1] الذي يجلب إليها خاصة من جبل بني بهلول فكان يدخلها كل يوم أحمال من خشب البلوط وفحمه[2]. وكذلك من جبل زالغ الذي يحضنها من الشمال. وبذلك تتوفر للمدينة الأخشاب اللازمة للبناء والوقود.

وتمتاز المدينة بوجود معدن الملح قربها. وتنتشر الملاحات بين مجشر الشاطىء ووادي مكس على مسافة ثمانية عشر ميلاً[3] وكذلك الكلس والصلصال والرمال وأنواع الحجارة وكلها مواد للبناء.

سياسة الأدارسة الخارجية

تأثرت سياسة الأدارسة الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الديني وظروفها السياسية. لقد قامت في المغرب الأقصى على إنقاض الخلافة العباسية وعلى حساب نفوذ الخوارج الصفرية، فلم يكن هناك مناص من عداء أئمة فاس لخلافاء بغداد وولاتهم في المغرب وللخوارج بعد أن اقتطعوا منهم الأجزاء الشمالية الغربية (منطقة تلمسان) بالإضافة إلى العداء التقليدي بينهم وبين أمويي الأندلس. وعلى هذا يمكن القول بأن سياسة الأئمة قامت في جوهرها على عداء جيرانها ذلك العداء الذي حتم عليها أن تظل مستعدة دائماً للدفاع عن حدودها.

العلاقات مع العباسيين:

لا يخفى ما كان بين الأدارسة العلويين وبين العباسيين من عداء سياسي بدأ صامتاً في عهد الأمويين وقد أدى ذلك العداء إلى ثورات

---

(١) جذوة الاقتباس جـ ١ ص ٤٨.

(٢) روض القرطاس ص ٣٦.

(٣) جنى زهرة الآس ص ٣٥.

قام بها العلويون ضد الخلفاء العباسيين (وقد أشرت إلى هذه الثورات في الفصل الأول) وقد انتهت بالفشل وحاول العباسيون استئصال شأفة العلويين الذين قادوا تلك الثورات وشاءت الظروف أن ينجو من بطش خلفاء بغداد إدريس بن عبدالله العلوي حيث رحل إلى المغرب. وهناك أسس دولة معتمداً على نسبة الشريف. وقد حاول الرشيد العباسي القضاء على دولة العلويين الناشئة خاصة بعد أن امتدت حدودها إلى المغرب الأوسط وضمت مدينة تلمسان التي تعتبر باب إفريقيا الغربي. ولكن بعد العراق حال دون إرسال الجيوش، عندئذ عمد الرشيد إلى التآمر فأرسل أحد أتباعه (الشماخ) الذي استطاع بدهائه إغتيال الإمام إدريس الأول بالسم. ثم اتبع العباسيون عملهم هذا باغتيال راشد مولى الإمام إدريس. ومع هذا لم يستطيعوا القضاء على دولة الأدارسة وهم في أوج عزهم وقوتهم. عند ذلك عزموا على التآمر المباشر وكلفوا ولاتهم في إفريقية القيام بهذه المهمة. وبلغ العداء بين الفريقين أن قطع الأدراسة كل صلة سياسية ودينية بالخلافة في العراق، إذ أعلنوا استقلالهم مجرد أن ثبتوا أقدامهم في المغرب في وقت لم يتجرأ حاكم مسلم على إعلان ذلك، ونادوا بأنفسهم أئمة، وعينوا وهم علويون قاضياً مالكياً هو عامر بن محمد بن سعيد القيسي تولى القضاء في فاس بعد أن اعتمد العباسيون الفقه الحنفي. وهكذا استمرت العلاقات العدائية حتى سقوط الدولة نهائياً ولم تشهد أي نوع من التقارب.

العلاقات مع الأغالبة:

من الطبيعي أن تكون علاقات الأدارسة ببني الأغلب امتداداً لعلاقات بغداد بفاس فدولة الأغالبة التي قامت بإفريقيا سنة ١٨٤ هـ/ ، ،ـ م كانت تدين بالولاء السياسي والتبعية الأسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي. فكانت تمثل رمز نفوذ الخلافة الوحيد في بلاد المغرب وقاعدتها لاسترداد سلطانها المفقود في تلك الجهات. ولا غرو فقد

سمح الرشيد بقيام دولة الأغالبة حرصاً على استمرار نفوذه في إفريقيا من ناحية واسترداد هذا النفوذ في الأجزاء التي سلخت عنه من ناحية أخرى لو استطاع الأغالبة إلى ذلك سبيلاً، ومن ثم قامت سياستهم الخارجية على معاداة أعداء الخلافة ومصادقة أصدقائها. فكان على بني الأغلب مناهضة أئمة فاس جرياً على سنة الخلافة وتنفيذاً لمشيئتها. ولقد فرضت الظروف الجغرافية والسياسية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلاً عدائياً ولكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال وتجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو :ولة بني رستم الخارجية.

لقد حالت هذه الدولة الأخيرة دون الصدام المباشر وانصرف الأغالبة عن مشاكل المغرب إلى التوسع في البحر المتوسط.

غير أن ذلك ليس دليلاً على الود المتبادل بين الدولتين. إذ لجأ الأغالبة كعادة أسيادهم خلفاء بغداد إلى التآمر مستخدمين بعض أعوان الإمام إدريس الثاني وخاصة وزيره البربري بهلول بن عبدالله بن عبد الواحد المطغري فقد انحرف بهلول مع قومه عن دعوة العلويين إلى العباسيين بتأثير من إبراهيم بن الأغلب الذي أغراه بالمال. وكانت معالجة الإمام إدريس لهذه المشكلة حكيماً إذ عرض الصلح على ابن الأغلب لقطع الطريق على الوزير المتآمر[1].

وكانت النتيجة قبول الصلح الذي تم الفريقين وأمن كل منهما الآخر وبهذا ضعف موقف بهلول وأتباعه وكان تحذيراً لكل من يحاول أن يقلد بهلول. وكف الأغالبة عن التآمر. وسادت علاقات عادية بين الأدارسة والأغالبة لا يمكن أن توصف لا بالودية ولا بالعدائية.

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ١٦٤ ـ العبر جـ ٤ ص ١٤.

العلاقات مع الخوارج :

مـع بنـي مدرار[1] قامـت دولـة الأدارسـة بالمغـرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م على حساب نفـوذ الخـوارج الصفـرية . وكان هؤلاء قد اقتطعـوا تلك تلك الجهـات عن نفـوذ الخلافـة الأموية وولاتهـا بالقيروان منـذ ثورة ميسرة المطغري سنـة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م. فلما نجح الإمام إدريس الأول في إقامة دولة ذوى شأن الصفرية فيها وتعرضوا للبطش والاضطهاد من جانب أئمة المغرب الأدارسـة . وزاد من حدة هذا العداء الخلاف المذهبي فالأدارسـة شيعـة وبنـو مدرار خوارج ولا يخفـى العداء التقليدي بين المذهبين .

لم يمنع وجود حاجز طبيعي بين الدولتين دون إمكانية غزو إحداهـا للأخرى فثمة طريق ممهد يبدأ من فاس إلى صفرو فقلعة مهدي فتادلة فوادي الصفا يمر عبر الجبل الكبير إلى الجنوب حيث توجد مدينة سجلماسة . وكانت القوافل ترتاد هذا الطريق فتخرج من باب الغوارة بفاس إلى مدينة سجلماسة وعزم إدريس الأول وخلفاؤه على استئصال شأفة الصفرية ولكن صراعهم مع الأغالبة حال دون ذلك واكتفوا بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم فضلاً عن اقتطاع بعض أطراف الدولة المدرارية .

أما بنو مدرار فلم يكن بوسعهم الشروع في تدبير غزو بلاد الأدارسة خاصة في عهدي إدريس الأول والثاني . وحين أتيح لهم القيام بهذا الدور فيما بعد في عهد اليسع بن مدرار دهمهم الخطر الفاطمي الذي قضى على بني مدرار والأدارسة معاً . وقد اتخذ العداء السياسي مع بني مدرار مظاهر من الفعل ورد الفعل كان الأدارسة يمسكون فيها بزمام المبادرة . ففي منتصف

---

(١) أسس بنو مدرار دولة خارجية في الصحراء جنوب المغرب وبنوا عاصمة لهم هناك سموها سجلماسة سنة ١٤٠ هـ .

رجب سنة ١٧٣ هـ/ ٧٩٠ م توجه الإمام إدريس الأول على رأس حملة إلى تلمسان (أشرت إلى هذه الحملة في الفصل الثاني) وأخضع أهلها دون عناء وأقام بها حتى سنة ١٧٤ هـ/ ٧٩١ م وطد نفوذه فيها وعاد إلى وليلي، وهكذا استولى على معاقل الخوارج الصفرية في بلاد المغرب الأقصى ما عدا مدينة سجلماسة. غير أن اغتياله المفاجىء على يد العباسيين شجع صفرية تلمسان على الثورة وظلوا خارجين على الأدارسة حتى سنة ١٩٧ هـ/ ٨١٣ م حين جهز الإمام إدريس الثاني حملة لمحو آثار الخوارج الصفرية واستمر يحاربهم طيلة ثلاث سنوات إلى أن أذعنوا لطاعته (أشرت في الفصل الثالث إلى حملة إدريس الثاني على تلمسان). ولم يستطع صفرية سجلماسة مد العون لمساعدة إخوانهم في تلمسان ويعزى ذلك استحالة الاتصال بين سجلماسة وتلمسان إلاّ عبر الأراضي الأدريسية إذ أن الطريق يمر من سجلماسة إلى درعة وإغمات وتادلا وفاس ومنها إلى تلمسان.

وعول خلفاء إدريس الثاني على اقتطاع الأجزاء المجاورة لدولتهم والتابعة لبني مدرار فتمكن عبدالله بن إدريس الذي تولى إغمات والسوس الأقصى وبلاد نفيس من مد نفوذه إلى صهناجة الضاربة حول سجلماسة واستولى على بعض الحصون التابعة التابعة لبني مدرار[1]. كما أقطع يحيى بن إدريس بلدة تامدلت ـ قرب درعة ـ منهم. وهكذا غلب طابع العداء على العلاقات السياسية بين سجلماسة وفاس.

العلاقات مع بني رستم الأباضيين:

اتسمت العلاقات بين الأدارسة وبني رستم بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسياسية. فالأدارسة شيعة أسسوا

(١) قيام دولة المرابطين ص ٧١ ـ الخوارج في المغرب ص ١٩٥.

بالمغرب الأقصى دولة ذات طابع حضاري عادت كلا من الخوارج والأمويين أما بنو رستم فكانوا خوارج أباضية ودولتهم غلب عليها الطابع البدوي ونتيجة لصراعهم مع العباسيين أقاموا علاقات ود وصداقة مع أمويي الأندلس. والأدارسة مدفوعين بهذه الخصومة المذهبية والتباين الاجتماعي والعداء السياسي عولوا على الإغارة على أملاك دولة بني رستم واقتطاع أجزاء منها. بينما ركن الرستميون إلى المسالمة لقصور قوتهم فلم يكن بوسعهم مناجزة جيرانهم الأقوياء. لم يكن ثمة ما يحول دون احتكاك الأدارسة بجيرانهم الرستميين خاصة وأن دولتهم ارتبطت في قيامها وتوسعها بخوارج المغربين الأقصى الأوسط فغالبية القبائل التي بايعت إدريس الأول كانت على مذهب الخوارج مثل زناتة وزواغة ولماية ولواتة وسدراته ونفزة (أشرت في الفصل الثاني إلى القبائل التي بايعت إدريس الأول بالإمامة) وهذه القبائل أباضية المذهب رحبت بادريس ودخلت في طاعته وظلت بعض بطونها على مذهبها وولائها لبني رستم فكان على إدريس وخلفائه أن يدخلوا في صراع مع بني رستم ذا ما أرادوا التوسع شرقاً لضم هذه البطون واستئصال شأفة الخوارج في منطقة تلمسان. ونجح الأدارسة في الاستيلاء على تلمسان سنة ١٧٣ هـ/ ٨١٣ م ولكن بعد وفاة الإمام إدريس الأول استطاع عبد الوهاب الرستمي من أن يبث الفوضى ويحرض إصهاره من بني يفرن على الثورة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة تلمسان. ونجح بنو يفرن بثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثاني سنة ١٩٧ هـ/ ٨١٣ م. وبعد ذلك دأب الإمام إدريس الثاني على إثارة العناصر الناقمة ضد عبد الوهاب الرستمي فقد كان وراء تمرد الواصليين ضد عبد الوهاب سنة ١٩٥ هـ/ ٨١١ م[١] وأغلب الظن أن

(١) الخوارج في المغرب ص ١٩٧.

ثورات هوارة على الرستميين لم تخل من تحريض الأدارسة فموطنها الأصلي كان داخل دولة الأدارسة حيث اتخذت جبل ينجان معقلاً وملاذاً حين تعرضت لبطش عبد الوهاب الرستمي. ومن المرجح أن تكون حركتها التي انتهت باستيلاء زعيمها محمد بن مسالة على السلطة في تاهرت كان بمساعدة الأدارسة.

ومن المحقق أن تلك المؤامرات التي أمعن الأدارسة في نسجها لم تقابل بأية مبادرة رد فعل من قبل بني رستم للرد عليها ذ لم يكن بوسعهم مجاراة الأدارسة في تدبير المكائد وأحداث الشقاق فعزفوا نهائياً عن محاولة استرداد نفوذهم المفقود في الأقاليم الشمالية والساحلية.

وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السياسية مع الأدارسة بطابع العداء وأسفر الصراع بين الدولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة الرستميين.

(١٠) الخوارج في الغرب ص ١٩٧.

الخاتمة

بعد جهد متواصل استغرق وقتاً غير قصير ذللت خلاله عقبات كأداء اعترضت سبيلي حتى انفتح أمامي باب ولجته فلملمت خيوطاً أرثها الدهر غزلتها من جديد خيطاً متيناً رافقت فيه حياة إدريس الأول وواصلت مسيري معه إلى العهد الذهبي من حياة الدولة الأدريسية. وها أنا أعرض الجديد الذي توصلت إليه؛

لاحقت رحلة إدريس بن عبدالله من المشرق إلى المغرب سلاحه الإيمان وزاده التقوى ورصيده نسبه الشريف. فكان أول رجل من أهل بيت النبي - ص - يدخل المغرب الأقصى. وتقصيت كل تحركاته التي حببت إليه المغاربة. وربطت بين أخلاقه والوضع الاجتماعي للبربر الذين قاسوا الأمرين من ظلم الولاة. وقد وحد الظلم بين الوافد وأصحاب البلاد فكان التعاون قوياً بين الفريقين.

ثم درست ظاهرة جديدة هي إنقياد المسلمين من غير العرب لأهل البيت أكثر من العرب الذين كان منهم النبي. لقد اعتبر المغاربة قدوم إدريس الأول عليهم منة من الله خاصة وأنه لم يسبقه صهيل خيل ولا قرقعة سلاح كما كان رواد الفتح الأوائل. لذلك أمروه عليهم بايعوه بالإمارة تطوعوا جنداً في جيشه وضعوا طاقاتهم المادية والبشرية بتصرفه ساعدوه على تأسيس دولة حملت اسمه وكرست ذريته أئمة وحكاماً إلى اليوم. كان عطاؤهم بلا حدود

صادراً عن إيمان وتقدير واحترام وبلغ من وفائهم لحفيد الرسول أن انتظروا زوجه الحامل حتى تضع إدريس الثاني. وكما أعطوا الأب منحوا الابن.

وكشفت عبقرية العلويين في قيادة شعوبهم مستلهمين في ذلك مبادىء الإسلام وسيرة جدهم النبي محمد وكيف كان وفاؤهم لعطاء المغاربة كبيراً تجلى في الأمور التالية:

أولاً: تحقيق وحدة المغرب الأقصى الجغرافية والانصهار الأتني فقد وحد الأدارسة المغرب بالقضاء على الدويلات الهزيلة والكيانات المصطنعة وأخضعوه لحكومة مركزية واحدة وكذلك جعلوا من المجتمع المغربي الذي كان يتألف من شعوب وقبائل مختلفة الأجناس والعروق متجانساً منسجماً مع بعضه شعاره خدمة الإسلام.

ثانياً: نشر الإسلام والقضاء على الخوارج عمل أحفاد الرسول على نشر الإسلام الصحيح في دولتهم مطبقين مضمون الآية الكريمة: ﴿ **وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾. فتسارع البربر الذين أغرتهم مبادىء الخوارج الهدامة للعودة إلى الصراط المستقيم. وقضوا كذلك على بقايا الوثنية والمجوسية التي عجز الفاتحون الأوائل عن استئصالها.

ثالثاً: إعطاء الكفاءات دورها في الحكم فقد أعطوا مراكز الدولة المهمة للأفضل حلماً وعلماً فكانت النخبة العربية إلى جانب نظيرتها البربرية تكون أركان الحكم. وهذا أعان على إقامة مفهوم جديد للدولة بتعاون العرب والبربر لإعلاء شأن المغرب.

رابعاً: التعريب تطبيقاً للآية الكريمة: ﴿ **إنا جعلنا قرآناً عربياً** ﴾. عمل الأدارسة على نشر اللغة العربية في دولتهم لقراءة القرآن وتفسيره والتفقه في العلوم الدينية إذ لا يفهم الإسلام على حقيقته إلاّ من خلال اللغة العربية. فكان التعريب نواة النهضة الفكرية والدينية التي عمت المغرب فيما بعد.

خامساً؛ إدخال النظم الحضارية إلى المغرب. أدخل الأئمة إلى دولتهم الناشئة النظم الحضارية التي عمت الدولة الإسلامية العالمية وظل المغرب بعيداً عنها لعوامل جغرافية فأحدثوا الوزارة والقضاء والكتابة ونظموا المالية. وتنظيم المالية زاد من ثقة المغاربة بحكامهم فقد تبين لهم ما يدفعونه من أموال يعود إليهم بشكل مشاريع إنمائية وعمرانية خلافاً لما كان يجري على أيدي الولاة من ظلم وطمع وجشع نفّر الناس وباعدهم عن الإسلام.

سادساً؛ تحضير القبائل. سعى الأدارسة جادين لنقل المغاربة من ظاهرة البداوة التي كانت مسيطرة عليهم إلى رحاب الحضارة الإسلامية التي عمت الدولة العالمية. فعملوا على تنظيم القبائل ونقلها من حياة البداوة القائمة على الغزو والفرقة إلى حياة الاستقرار في المدن التي أنشأوها وخاصة فاس التي نزلت في بعض أحيائها قبائل بربرية منها صهناجة ومصموده ولواته وأوربة... واتخذت المنازل الحجرية بدل الخيام وامتهنت مهن المدن من زراعة وصناعة وتجارة إلى جانب تربية الماشية التي لم تهجرها دفعة واحدة. وهكذا عملت دولة الأدارسة على تحويل المغرب من أرياف إلى مدن متحضرة.

سابعاً؛ الحياة الثقافية. وبفضل الاستقرار الذي منحه الأدارسة للمغرب أضحى قبلة أنظار المسلمين فقصدوه من الشرق والغرب وكانوا على درجة عالية من الثقافة. وأدى ذلك إلى الاهتمام بالعلوم والآداب التي شجعها الأئمة بتقربهم من المثقفين عرباً وبربراً. وتلي تلك المرحلة التأسيسية مرحلة إقامة المعاهد الثقافية والشرعية وفي مقدمتها جامعة القرويين في فاس. تعد أقدم جامعة ما تزال قائمة في العالم إذ تم إنشاؤها. في القرن الثاني الهجري/ التاسع الميلادي مما جعل من مدينة الأدارسة مركز الإشعاع الشرعي والفكري والثقافي والفني حتى بعد زوال دولتهم سياسياً إذ بقيت وفية لذكرى مؤسسيها الأوائل الذين أرادوها دار علم وفقه.

وهنا وجدتني أمام الشبه الكبير بين دولة الإسلام الأولى التي أقامها جدهم النبي محمد ﷺ في الحجاز بعد أن وحّد شمل القبائل العربية المشتتة وجعل منها أمة واحدة قوية غيرت مجرى التاريخ وبين الأدارسة الذين ساروا على هدى جدهم فلملموا شمل القبائل البربرية البدوية وجعلوا منها دولة قوية حققت لأول مرة وحدة المغرب الأقصى.

وهكذا كانت مرحلة النصف قرن من عمر الدولة هذه عصرها الذهبي بفضل ما قامت به من سياسة وثقافة وتنظيم وعمران بقي أثره قائماً إلى الآن.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال العبد الفقير المعترف بالتقصير أسير ذنوبه ورهين تقصيره
خديم الجناب العلا النبوي الواقف بفناء البيت العلوي الحسني
المتصف بالذلة والافتقار والخضوع والانكسار الحري بستر الحسنى
الحلبي الشافعي أخطر الله بباله اشعار الحبيب بفضله وجوده وكرمه
انه سميع مجيب

الحمد لله الذي أنزل على نبيه الكتاب نورا وقربا فقال لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وملكهم
من جماح القلوب أرسانها في الغيوب بغيبة لهم شوقا وحبا وسوغ لهم كؤوس
الصفا بدون نزاع حكمها وأدار لهم شرابا بجاه وأتبه يريد ينظرون به إليه
وجعل تسبيحهم إياه دأبا تسبيح بتسبيح الصائد وليجمع لهم هنالك من النعم
ثمرات الوصال تجتنى وكشف لهم عن أسرار الجمال بحضرات الجلال بشاهد ودون
مانع زلفى ومزج طينتهم بطينة الحبيب فروض القرب الإلهي للحبيب فجاءوا الله الا حربا
ورفع لهم الدرجات من ثبات الخواطر ليتضرعوا مع الحبيب أدبا وأجلسهم على أسرة القرب
ونثر عليهم جواهر الترحيب وجعل شوق أرواحهم لدينه رحبا أوقع بهم بيانا إذ جعلهم
لأهل الأرض أمانا وفرق لهم في القلوب رعبا بهم أنزل الأمطار وبهم أذهب الأكدار وبهم
أزهر لنا عيشا وأزال جدبا وجعلهم ثاني الثقلين وأوجب التمسك بهم في الثقلين. إلى
الدوام مع الكتاب حبا وجعل مودة أهل البيت باعثا بتعظيم الجناب تجزى
العقبى وجعلهم بضعة الرسول فينا لنعلم أن فينا رسول الله بيننا لنقر عينا ونطيب
نفسا ونفرح قلبا وشرف زمننا بوجودهم وأسعدنا بشهودهم وملأنا بعقودهم
معلوم رغبا وحلى ألسنتنا بذكرهم وأسمعنا بشكرهم فما أسعد لسانا بشكرهم رطبا
غفر لهم في المعقول إذ شفعهم فيمن اتخذ عندهم ودا إذ كله بر ومنحهم الشفاعة
نجيبا جعلهم أبواب الخيرات معا نيه ولقضاء الحوائج سحائب وبهم يستسقى
سماء الرحمات صبا وقدر أن محبتهم كانت أبا لا ختما لأهل قلوبهم والرعاية
يكونون لمن أدام محبتهم قلبا ولبا يسقون من عين السلسبيل ويزجون
لديكم بالزنجبيل ويحلون في أنواع النعيم حبا ويكونون في الجنان
مقامهم المسك والكافور والزعفران ويضعون عليه تيجان العقيان ويلبسون من أفخر
حلل الجنة الحسان ولبس الخير والعيان هنالك يتنعمون أبدا وبرضى

ويرددون

من محبيهم الأحمدين يغرضون على الحسين الغيثي اذ لم حوا في المجاز نحبا. وتعين لهم
لهم ما اجلوا من محبيهم وان اذنبوا وجاروا الذين هم يا من المحسن خطبا وكرب نسبا
سرى حبهم في الأبدان سريان الزلال في المنصات وباثر لهم في الأرواح جزنا تنفتق عن
شمايلهم الأزهار وتنجست عن كمايمهم نسمات الأسحار وتمايلت لجبرهم أغصان الرياض تعجبا
تبارك من جعلهم حكماء على الأمة المحمدية رحماء، واعز لقاءهم القلوب المراض في
حبا وكعبا لنورهم الشفاه ترتيلا وانزل في شانهم الماثر يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا بمقدارهم كل مقدار سمى وارتقى مما
تكلفته الصنائع بحبهم وارمق العيون الطوالع سعدهم ولم يزل الخاصم للعيون
نصبا بحبيب معاليهم بتلاوة العجم ومن داء معاليهم بنشر وبحي كما طاع
معتنمون المعارج سريا شعر قد كشفت لمحبتك نور وصل ومد نعتمزهن جميلا
شعبتي لم تزل يزيد شرفا لتشاهم والعجب بالتيه عربا واطلن الى نحو ركمال
انقطعت من النزاهة ضنا لم يزل بانتحم لغلبه ونسبر بابرز الكمال حبا وكعبا
عترة المصطفى الى كل قلب مقذوف الحب لم تزل الراحة لم تطب لهم النفوس الا لم
تعرفهم ورضاكم زيد احسن كم زادني تعزز من هذه العترة حبا ولم يعمق
دون مرضاتهم عينا ولم يرضع جنبا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تمتين
ترتشف لهم شربا وتعبير جبينه وشيبه في ابرايهم حقبا واشهد ان محمدا عبده ورسوله
الذي انعم كل عمرا وجبر عاوفيا وكسيا رحبا صلى الله عليه وعلى اله الذين اعطى نهم الا
وعجبا سادتنا انتم المنى وسنا العين انتم بسوى حبكم وكرمكم ما تحلى في العجم
ولساني يحركم وكلامي يترجم في عز لمن حبكم مثله ما له مغرم
اذ رضيع الهوى بكم ليس بالروح يهيم عترة المصطفى وعلى الى ام للسفر نبتسم
حاول السفر مرجا وابن العظم منتج فلم نبنا اتنا بكم غير لست المنزم
واشرنا وانتم بالاشارات أعلى امدا ابغي ويفرق مشكوك اهل البيت السامية مرضاتي
الحي منهم والميت المحب بر ياحيه افكارهم انعام النور السامي فلو بحبيبهم
بهاطا في الشرون احرمي مبر الحى المنادي بعظيم بكل شعب وحي للطلب
للدار العالية القرار لمسا ولعنا بيت طيب النعر المحمدي والمروج لحبيب الاحرى عليهم
به نعيب القاسمة ولم تزل النعوت الرفيعة بكل جميل ما لعنة ما متحكمنا نحب الثناء يغمر

ثم سفر
تصحيح

يقول عليهم في الثناء وذلك وقد تشرف من أنواع بين ذلك والآن وسميته الجوهر اليعربي وذو صيانة تلقى
بعضهم عن بعض في كل عصر أخبار مقيدة وذلك مما تلقى الخبر الشريف من نشر الذي فيه أن شيئا نذكره
ويسر ذكره نشره تثبيت بحكم ذلك لمن يسمع ذلك منهم الرضى في ذلك أبيات شعرية لمن الفضل على القرب تأملها
مقترنا بنور الشمس وضحيها والقمر إذا تلاها فإني أرى لها على حقا لا أمنعه من أهل ذلك في نفسي
في إنشائه على حسبي من غير فيما تأتي به من ذلك من زواج متعددا الحبو الخنتوه وما في ذلك رضى
ومتعلق ثنائنا وعمرو وجهه لسمو بذلك قلبه سكن وما فيه ذلك إذا ذكر وبين
كتب سلفنا بهذا التقريب الصحيح فيما نعرفه مما في التنبيه في أبيات في الفعال للمبتدئ
إنه انشرحت بنشرها سنبينه ولذا أصبحنا دون رفعه ومن قولي

ولقد صبا ثغر بنعمى الفضا ... ما بين من ... الصبر والقطام

معنى تشتمل بالنزاهة والفضا وشبهت ميراثه وجميع ما اشتملت عليه والشهيد في ذلك بالسعي
بين الفضا والعرف للجميع وغير الله علم تلقى أنه مع علم الملوك أخبار صحيحة في
إذا مبدأ من هذا الكتاب ومن هذا المقام وما لك بالأرض بعتوع من لدن فيه إن شاء الله عن
الشهيد من العبد على فرد ومنتشر ونعتنم الحرية وأما قال وأعلم أنه مدح على أن محمد
المصطفى صلى الله عليه وسلم نور مبين ما نال كل شيء ... وأن الأنوار بعضهم لبعض
ظاهر منتشر وكامل ونوره ابتدا بقدر ما صلى الله عليه وسلم كما علم بها نور ابتداء نور كما روي
القاضي عياض في الشفاء أنه قال كانت نور ابين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام
بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الحديث فلذلك سميتها بالدرة
النعيمية والنور بشر في قتامه ذوق إلى ... إذ بين معك الشهر إنه من القصور لهد
بالفضول ... ومن نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ... ورسول والشمل على
معنى مدح على أن بعثه أحوال قبل العرض ... على ما عليهم من علماء العلم مبين والمذهبي
والحق مبين أن استثني اليهم في تقنيع هذا الكتاب والتعريب بهم حسب الطاقة لتشفيع لذلك
والعمل في ذلك ونسب ذلك إلى مبين عبد الله الكامل الذي آدم عليه السلام وجمع خمسة
عشر فصلا الفصل الأول في ... نسبه من آدم عليه السلام إلى النبي عليهما السلام ونظمه
باختصار مبين الفصل الثاني في ذكر عبد الله بن عبد المطلب أب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عبد المطلب
وذكر ... عبد الله ... ذكر جملة من الفصل الثالث في ذكر ... ونحو ذلك في
الفصل الرابع في ذكر ... كعب ولؤي وغالب وفهر ومالك والنضر وكنانة ونحو ذلك الفصل الخامس

صحيح في الدرر ...

في ذكر هود وكفر قوم عاد ومضى من امر العاد الفصل السادس في ذكر صالح وعن ثمود وادريس

ولد ... وجمل وغير الفصل السابع في ذكر اسماعيل عليه السلام وكونه

هو الذبيح على الصحيح وذكر اولاده الفصل الثامن في ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام وذكر

امتنانه الفصل التاسع في ذكر تارح وناحور وساروغ وارغو وفالغ وعابر وشالخ

وارفخشد الفصل العاشر في ذكر سام وذكر نوح عليه السلام الفصل الحادي عشر في ذكر

لامك ومتوشلخ واخنوخ عليه السلام ويرد ومهليل وقينان وانوش الفصل الثاني عشر

في ذكر شيث وآدم عليهما السلام وذكر كون آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل التوحيد

الفصل الثالث عشر في ذكر معجزات وخصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم الفصل

الرابع عشر في ذكر امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الفصل الخامس عشر في ذكر

ابني الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب وذكر حسن المثنى وعبد الله الكامل رضي الله عنهم اجمعين

الباب الثاني في ذكر ادريس بن عبد الله

وفيه تسعة عشر فصلا الفصل الاول في بيان نسبه رضي الله عنه الفصل

الثاني في ذكر نشأته ونسبه رضي الله عنه الفصل الثالث

في ملكه وكرمه رضي الله عنه الفصل الرابع في صفته وحسن صورته الفصل

الخامس في ... وشجاعته وعلمه الفصل السادس في ذكر ... المغرب

الفصل السابع في ... وذكر ... وتقسيمه وذكر ... المغرب

الفصل الثامن في ذكر ... وكونه ... الى ...

الى ... الفصل التاسع في ذكر ...

ابن عبد الله ... الى المغرب الفصل العاشر في ... المغرب ...

الفصل الحادي عشر في ذكر بيعة اهل المغرب لادريس بن ادريس رضي الله عنه وذكر ...

وذكر ... الفصل الثاني عشر في ... الفصل الثالث

عشر في ذكر استقلاله وملكه وعظم شوكته الفصل الرابع عشر في ...

ابن ... الفصل الخامس عشر في ذكر كون ادريس بن عبد الله

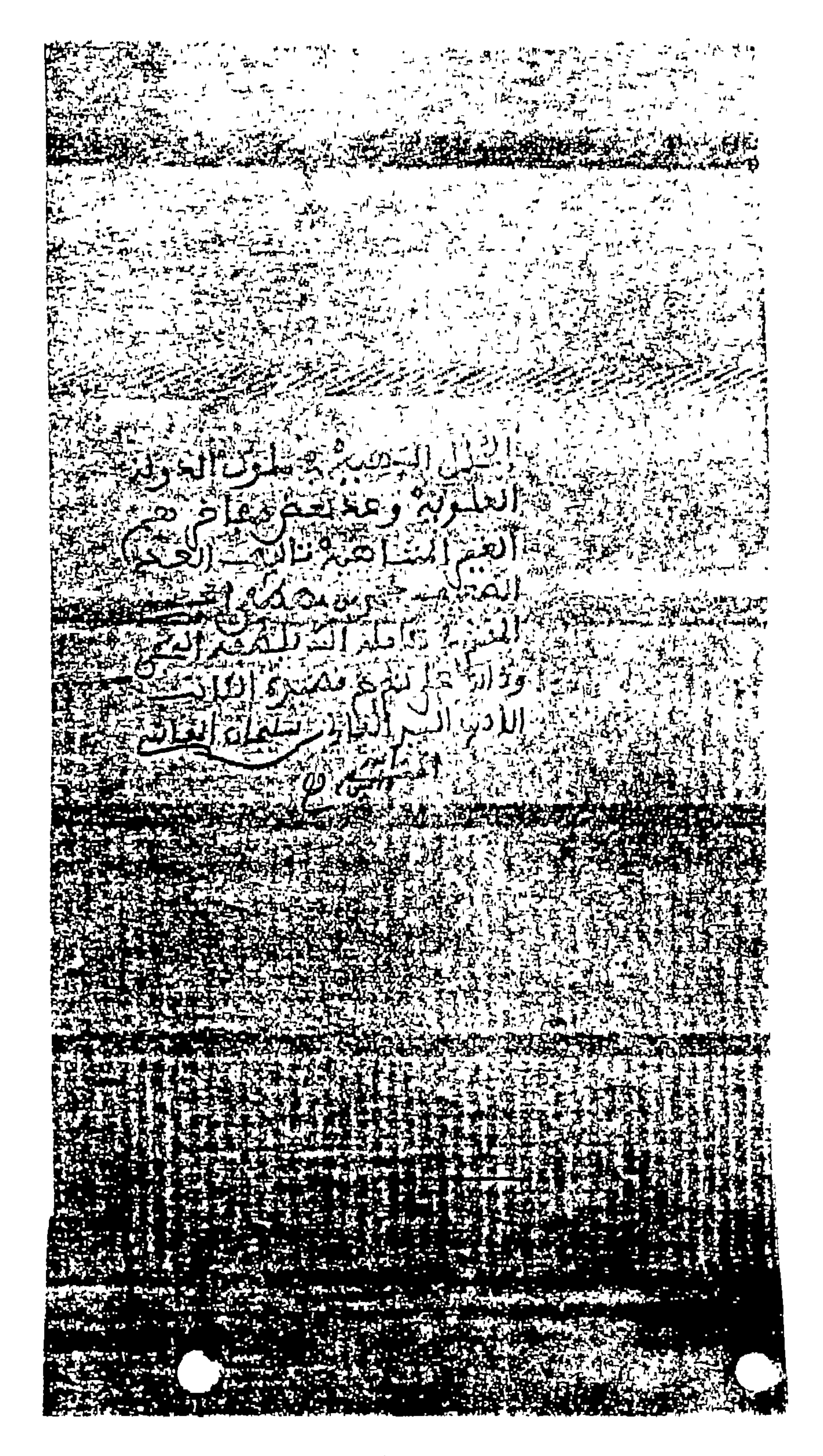
مات مقتولا ...

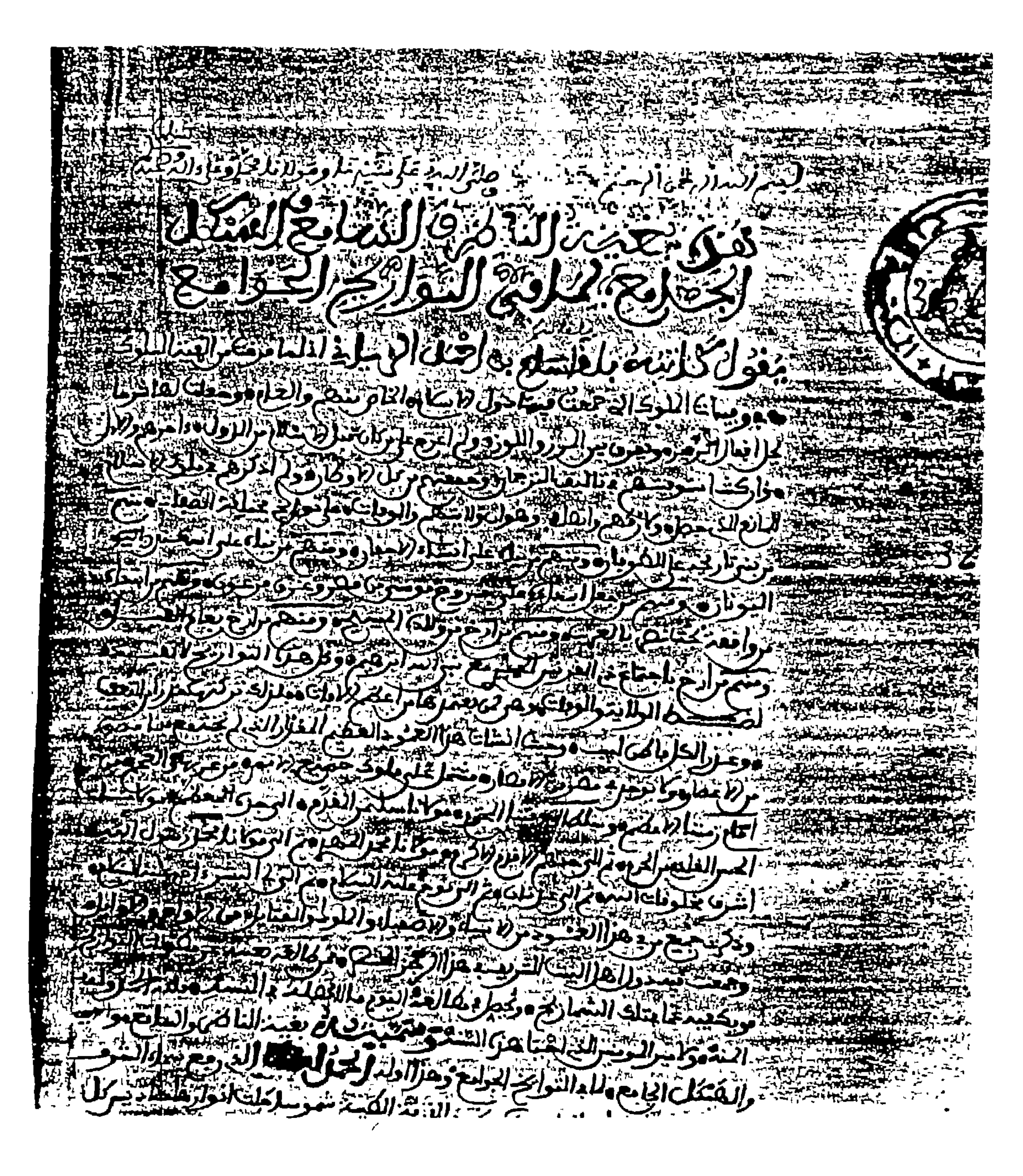
... الفصل السادس عشر في ذكر نسب ... بالله تعالى ...

اسماعيل ... الفصل السابع عشر في ذكر ... ادريس بن

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله الذي جعل رتبة الملوك أعلى الرتب، وشيد في [illegible]
نسب [illegible] ورقاهم [illegible] ساعيه، وأنزلهم منازل الشرف [illegible]
عالية، حيث خصهم بالخلافة وأرجحية العقول [illegible]
[illegible] جل جلاله بقوله الكريم إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والشكر له على
ما اختاره لهذا [illegible] من أمل جامع [illegible]
[illegible] لما كان من [illegible] والمفاخر [illegible]
[illegible] العقول [illegible]
[illegible] لهذه الأمة المحمدية [illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible] والعلانية [illegible]
سيدنا محمد [illegible] عبد الله من [illegible]
أخبار [illegible]
[illegible] المطهرين [illegible]
[illegible]
[illegible] الدولة العلوية [illegible]


الظل الوريف في ملوك الدولة
العلوية وعد بعض مفاخرهم
الغير المتناهية تأليف العلامة



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

هذه بغية الناظر [illegible] الذابح والمستقبل الجامع [illegible] النوازح الجوامع

فان ما يؤذن بتحلي الاجيال وكمال صفاتهم وبحسن رسوخ معاليهم وطول صلابته • لاتصال الاهل
الكتابة الشريفة • والعمل بواجب ما يعين لهم من المعروف والتعريف • وعلى تخريج البيع •
وصونها من حاجة الربيع • فان يرتع بعده رابع • اجمل [illegible] او [illegible] وهم
منه وبعد واضح مخطوط • هذه القلية التي اجريت اسم [illegible] والى [illegible]
[illegible] اهل التب الكريم منه محروس • واهل التمالح • وهو دواوين الاجداد الذين يعرف
لهم من سبق • فيجب على موائد الامل • وعلى الاعمال • ان يعرفوا هواء العروض واليوقات
المضوبين • وبلغهم بعطيته الكريمة بسلسلة الصفية • [illegible]
[illegible] من عطايا • ونفلة واحبهم [illegible] والطريق الى [illegible]
[illegible] سكناتك وشعائك

فــــــوائد

• جراني الهنا الزاد لا اسر • ثم صار بنا على جري السير •
• بحر والدر [illegible] • وبلغ [illegible] •
• من جوى الشمس وضوء القمر • [illegible] •
• من طلعة ابن المجتوا • [illegible] •
• اولاده منها جميعا كانوا • وانتشروا في الارض واستكانوا •
• وبلغوا ابن الجمير والولد • كذا وابن بعير العا في العدد •
• اكبرهم قابل وهو الوارع • وهابل كان له منازع •
• يتلوهما يمنون كان عليه له • وعنق وعزيات وكاسل •
• وشيث القيم بالدين القويم • وغيرهم من البنين [illegible] •
• فليس لنا الذي هم [illegible] • والهم ملك وافريق •
• وحال العوادين ابيهم وانتموا • للنار والقور كلا عبدوا •
• واذ [illegible] بايل [illegible] • وقهر الكل على [illegible] •
• [illegible] والجور [illegible] • واستنوا [illegible] •
• وعنق وكاسل وعزيات • حلوا [illegible] •
• وغلبوا النيل من الجنوب • وزرعوا [illegible] •
• فلوكم عشر وجاء للكفر ثمان • فغرق الكل بكل ما هناك •
• ثم ملوك قابيل محسنة • امرهم حلت عليه المحنة •

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

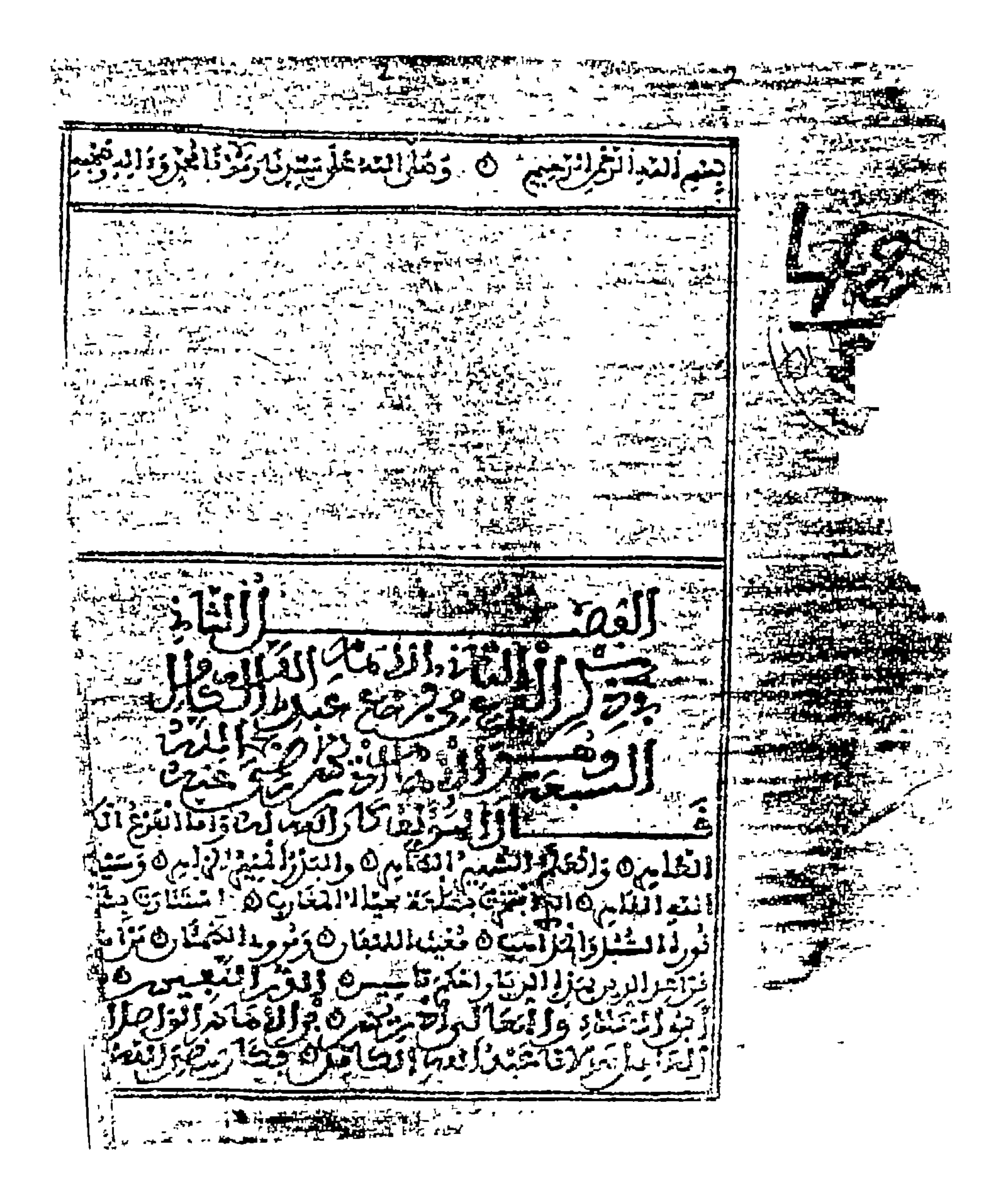
المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية

الحمد لله الذي جعل الملوك نعمة على جميع المسلمين ونصرة
لأركان الإسلام ودفعا لبغي المعتدين وحماية لمن كان له من المستضعفين
وقمع شوكة الكفرة والعادين فنحمده على نعمه التي لا تحصى
ويعجز عن عدها من العالمين ونشكره جل وعلا على منته ونسأله
أن يجعلنا من الشاكرين ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له الملك الغني العزيز والعفو ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
المفضل على أهل الأرض والسماء بمزايا فاقت وبقدر تام للأنبياء
الذين اتصفوا بالنبوة والذي بين الأنبياء والمرسلين بهم المخصوص
بالتفضيل الأكبر والحظ الأوفر في العلم والحكم الذي أمرت
ثم بعده بنصب الخلفاء وجعلت نصبهم من الواجب المفروض ليحملوا — ليكحوا
عن الناس بعد النبوة ويرعوا أمرا من أمتنا بالعرض صلى الله عليه وسلم
وعلى آله الذين وجبت لهم بالقربة منه غاية التعظيم والإجلال
وعلى أصحابه الذين نصروا دينه وما تلوا الكتاب من تنزيل — عليه
صلاة وسلاما ننال ببركتهما غفران ما ارتكبناه من قبيح الأفعال
ومن ما يشل عقلنا بفعل الكبير المتعال وبعد فلما

منافعه شعبت في كل مكرمة
وكأنما هي في أنف العلا شمم
جمع

كانت دولة هاته الإيالة الشريفة العلوية أشرف دولة لأهل الإسلام
وأنظمهم للفضائل والفواضل ما لا تحيط به الأقلام، جمع الله لها
بين الشرف في الأنساب والكرم في الأحساب وملاءمة بسوابق العلم
وحوائج الآداب، وجعلها قريبة للقريب ومشيرة له بالإحسان
بمراعاة أهل الحق والنسبة أهل الصلاح، ومرهبة للعدو على من دار
قلبه ولو كان من الأقارب والأخوان ومشيدة معالم الأمور بالعدل
والفضل، ولو جمعت مفاخرها ما وسعتها دواوين، أبقاها الله تعالى
متصلة لها الإقبال، ومنصورة مرعية لها الأعلام، وناضلة لها
الأحكام وأعلنة في اعتلاء بها السيوف والأقلام، أردت أن أظهر منها
بتقييد بعض مفاخرها في كتاب وإن لزمني من خدمها في الاستظلال
بظلال ذلك الجناب، ومسميه أنموذج الثقات والدرر السنية
في الدولة الحسنية العلوية، وتشتمل على مقدمة أبواب الأول فيما نبئ من ملك
الأخبار وفي مرسم تاريخ الثاني في بعض أخبار أول الزمان
إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالث في الخلفاء الراشدين
وفي دولة بني أمية ودولة بني العباس الرابع في فتح الأندلس
وفي الكلام على الدولتين في الدولة الإدريسية وما بعدها
من الدول التي الدولة السعدية على سبيل الإجمال الخامس في
الدولة السعدية الشريفة السابع في نسب هذه الدولة الشريفة
وفيما قيل في فضلها وما علمته الآن في محاسنها وغير ذلك
وفيما تفرع من ملوك هذه الدولة الشريفة الناصرية

ثم أقرأه أجمعها أنها زهرة من خبر
وأزالت محاسنها المحنة من الكدر
أردت



بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني

الجزء الثاني من [illegible] النبوية الشريف

الجليل الخطير [illegible] الفقه والنسب

فيه [illegible] الأخبار وقبائل العرب

[illegible]

[illegible] البركة

الأفضل [illegible]

الله عز وجل [illegible] الأوصاف المحمودة التي [illegible]

العناية [illegible] الله [illegible]

النبوة [illegible]

[illegible] الشفيع والرسول

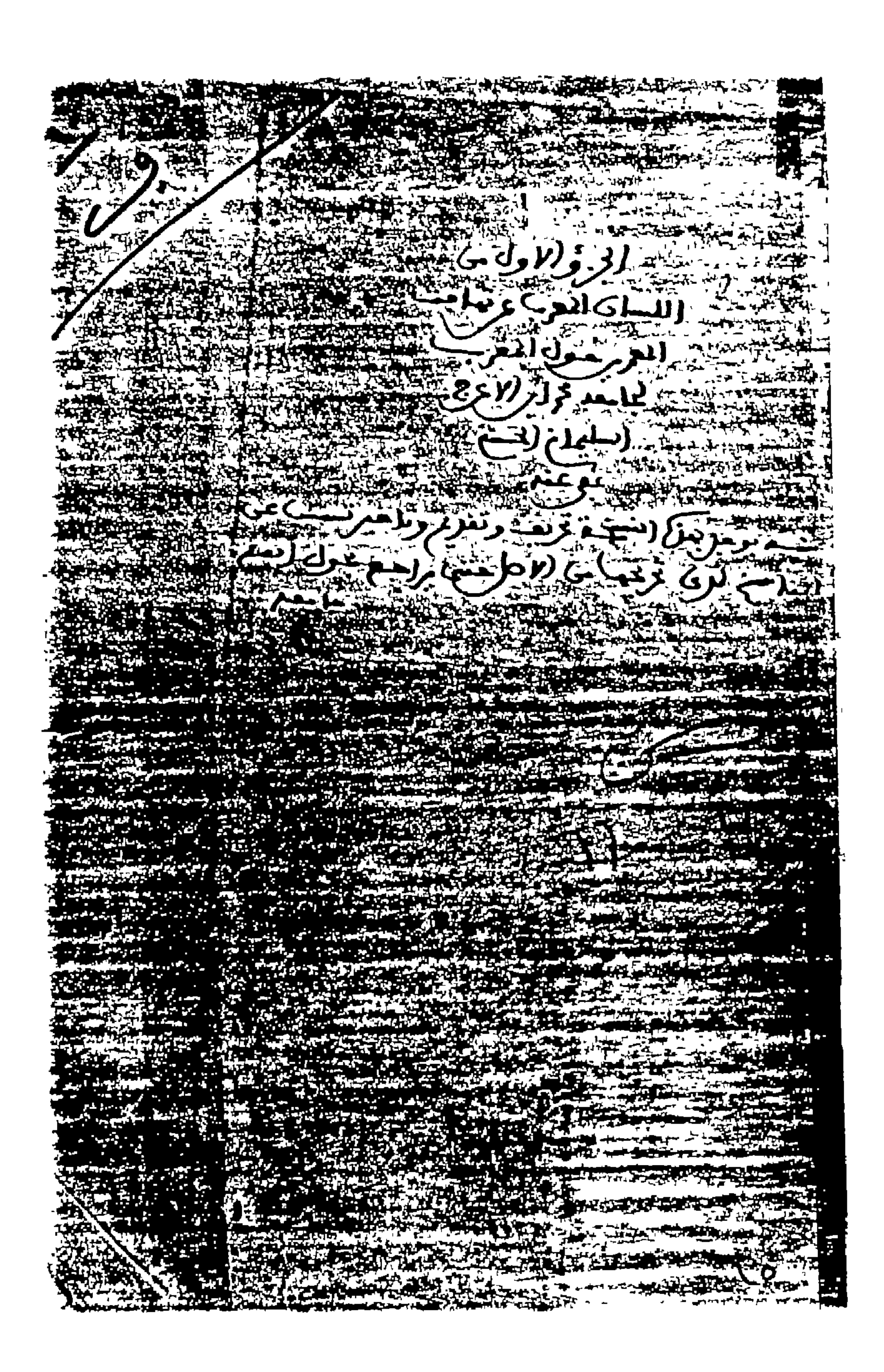
صلى الله عليه وعلى

آله وأصحابه

أجمعين

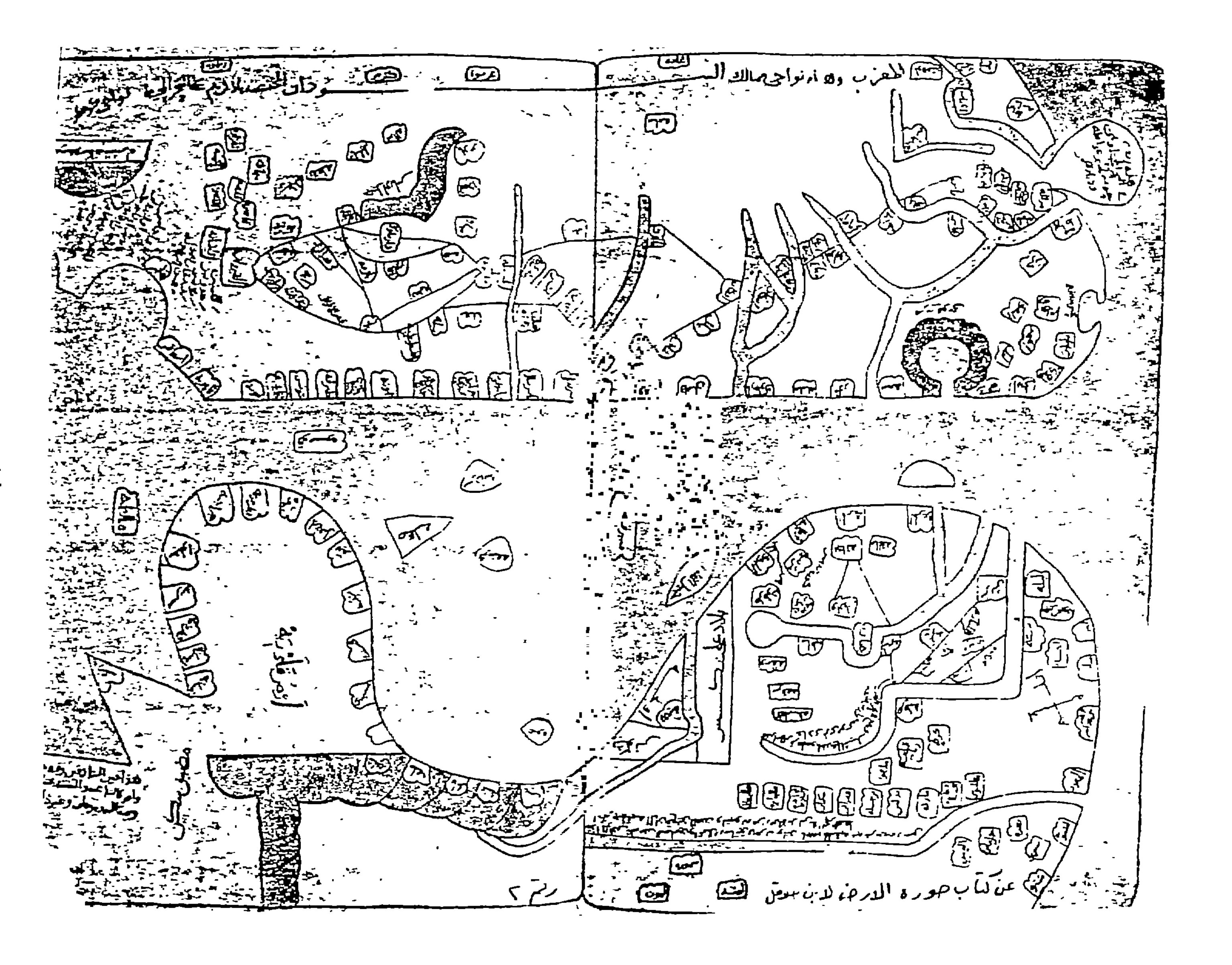
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي [illegible] نعمه [illegible] على الخلق فمنهم شقي
وسعيد والحمد لله [illegible] والشكر له [illegible] النعم [illegible]
[illegible] الصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل [illegible]
وعلى آله وأصحابه الفضلاء على كل [illegible] وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] ومنه الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الكلمة [illegible]


الجزء الأول من
اللسان المعرب عن تهافت
الغريب حول المغرب
لجامعه محمد بن الأعرج
السليماني الحسني
عفي عنه

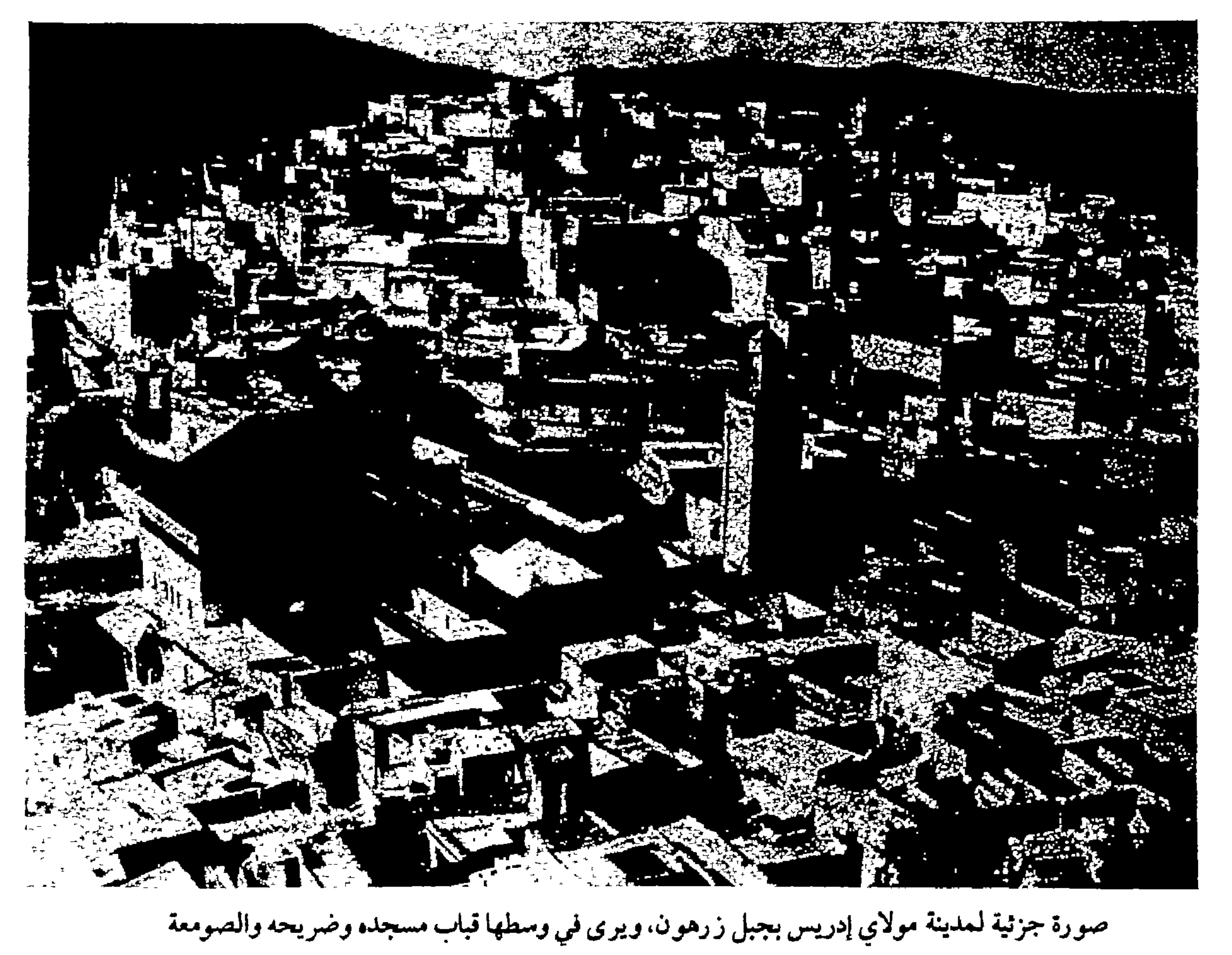
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله المنفرد بالتدبير الفعال لما يريد خالق الخلق فمنهم شقي
وسعيد وأحمده حمد من عرف الخير وأشكره على النعم بالترقي
في سوق العلا والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نال النصر والتأييد
وعلى آله وأصحابه الخلفاء على كل حال رضي الله عنهم صلاة وسلاما دائمين
متصلا زمن بلا انقضاء وبعد فيقول العبد الفقير [illegible]
محمد بن محمد [illegible] الغريب [illegible] وفقه الله لما يحبه ويرضاه
ولطف به فيما قضاه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]


عن كتاب صورة الأرض لابن حوقل



أنقاض قصر فرعون (وليلى) بسفح جبل زرهون — من كتاب جنى زهرة الآس

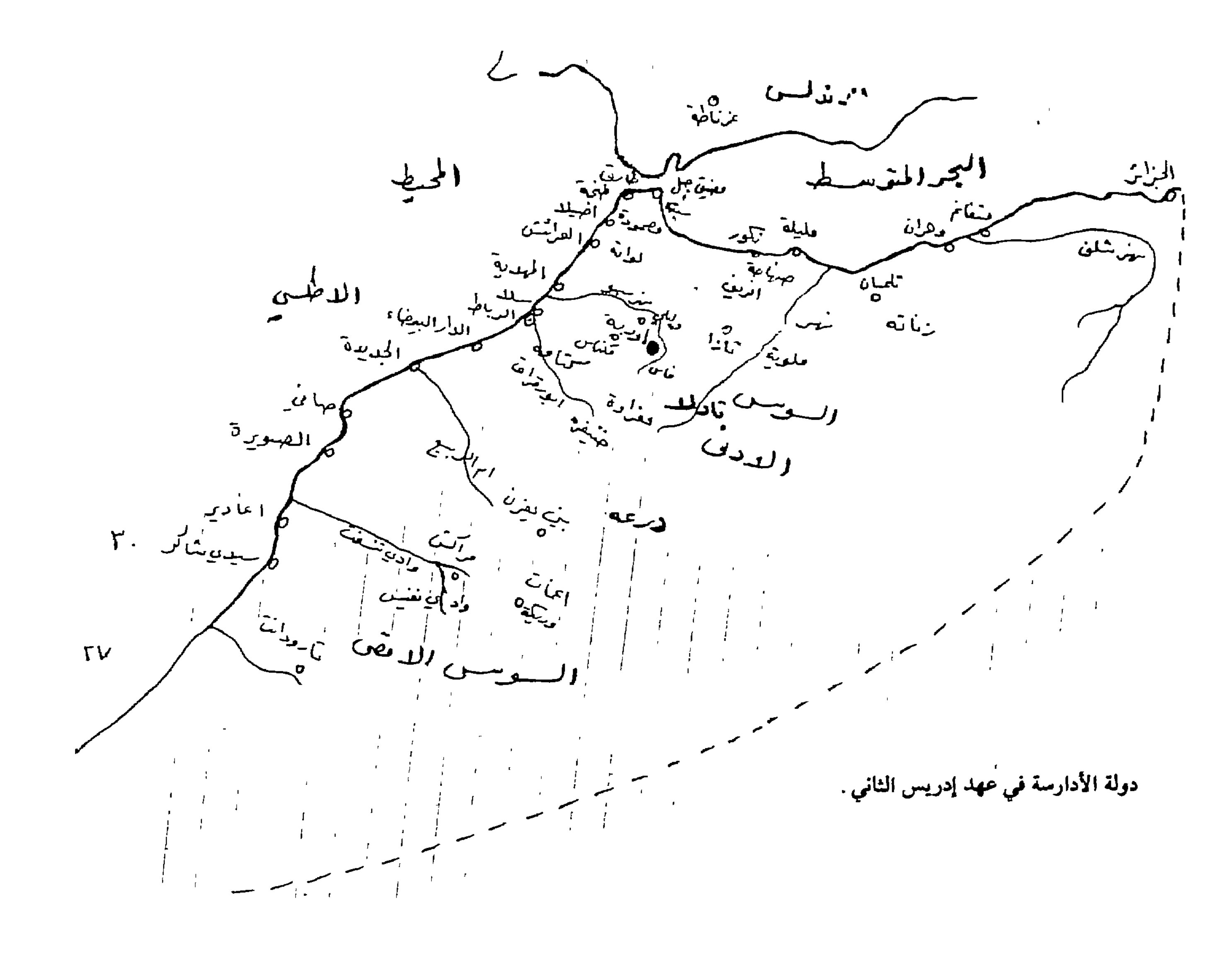


صورة جزئية لمدينة مولاي إدريس بجبل زرهون، ويرى في وسطها قباب مسجده وضريحه والصومعة

من كتاب جنى زهرة الآس

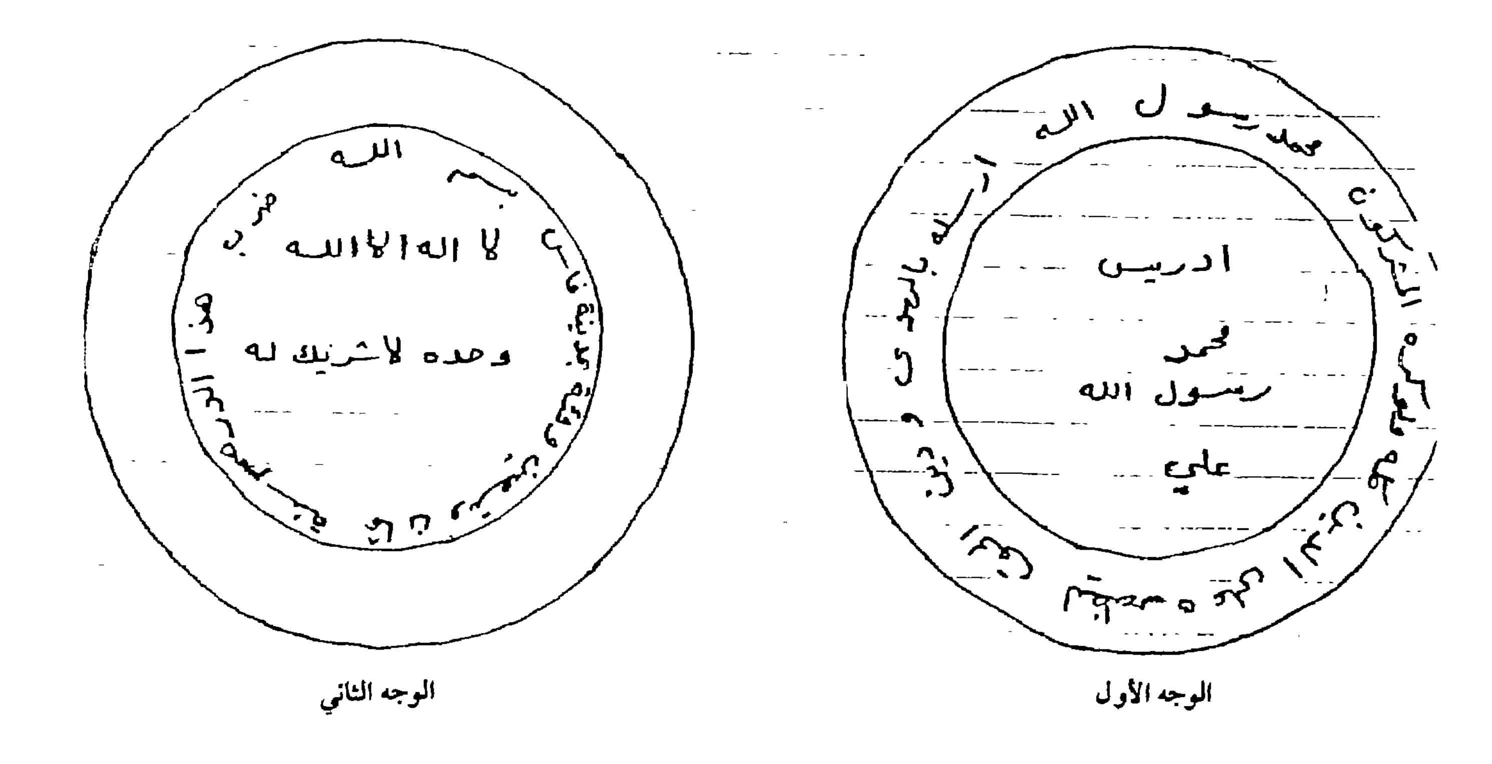


ضريح الإمام إدريس الثاني داخل مسجد الشرفا



دولة الأدارسة في عهد إدريس الثاني.

درهم الإمام إدريس الثاني.



الوجه الأول

الوجه الثاني

ـ أحمد الحلبي: الدر النفيس باب ٣ فصل ٣٤.



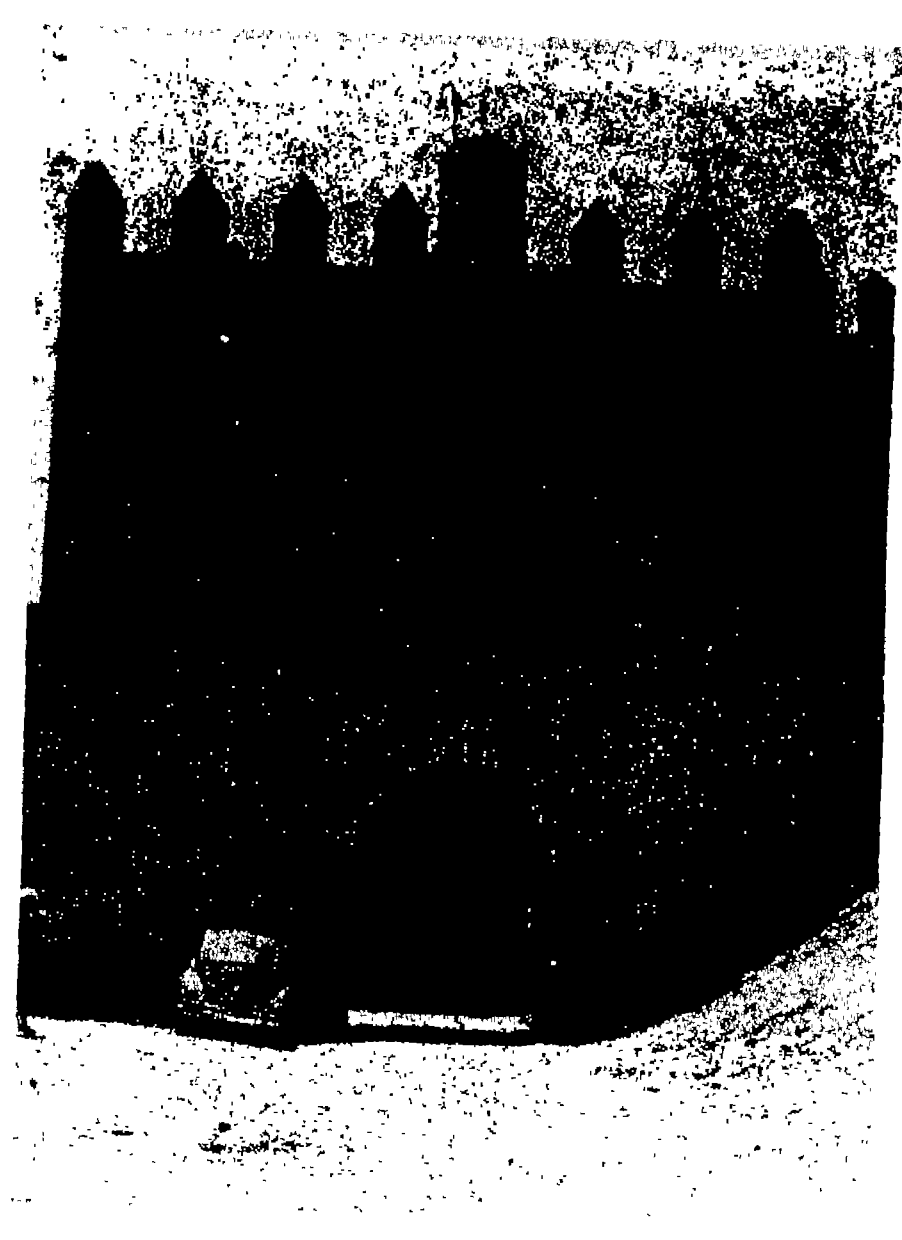
جبل زالغ الذي يكتنف فاس من الجهة الشمالية .

من كتاب جني زهرة الآس .



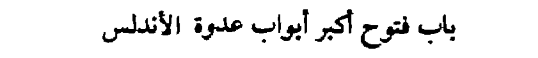
باب بني مساف ـة)

من كتاب جني زهرة الآس .



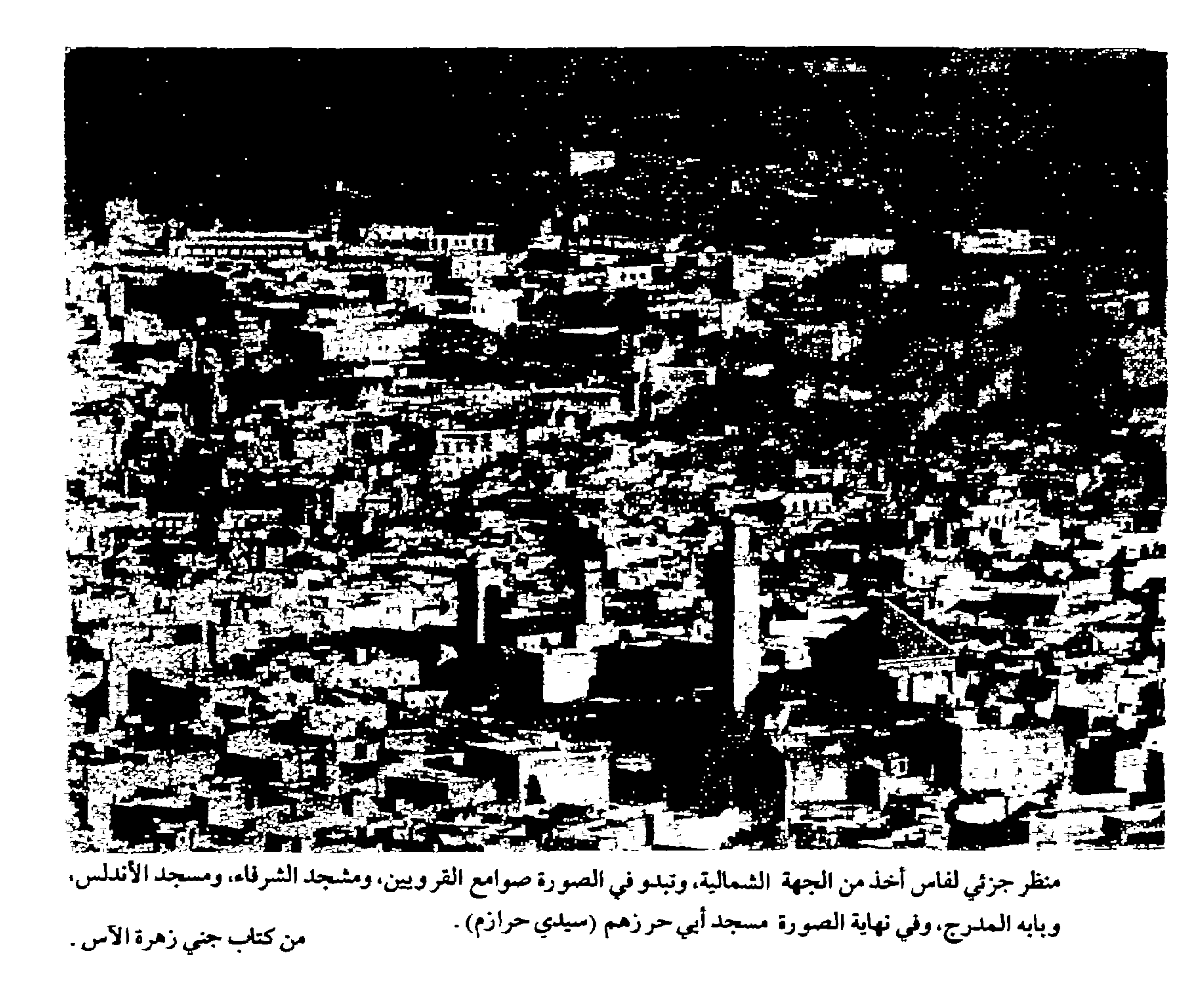
باب عجيسة (الكيسة) الشهير.

من كتاب جني زهرة الآس.



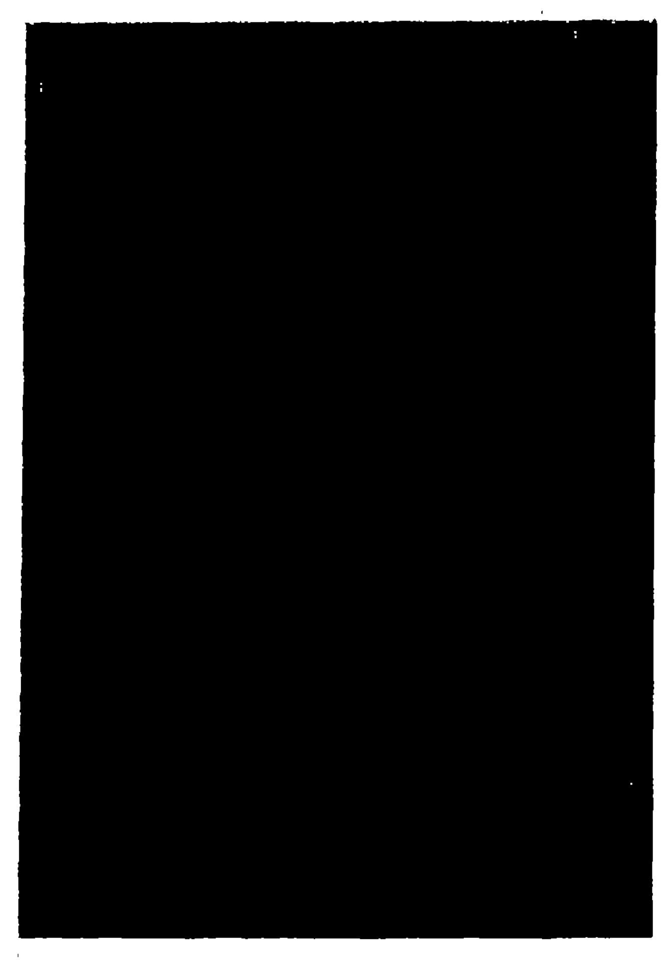
باب فتوح أكبر أبواب عدوة الأندلس

من كتاب جني زهرة الآس .

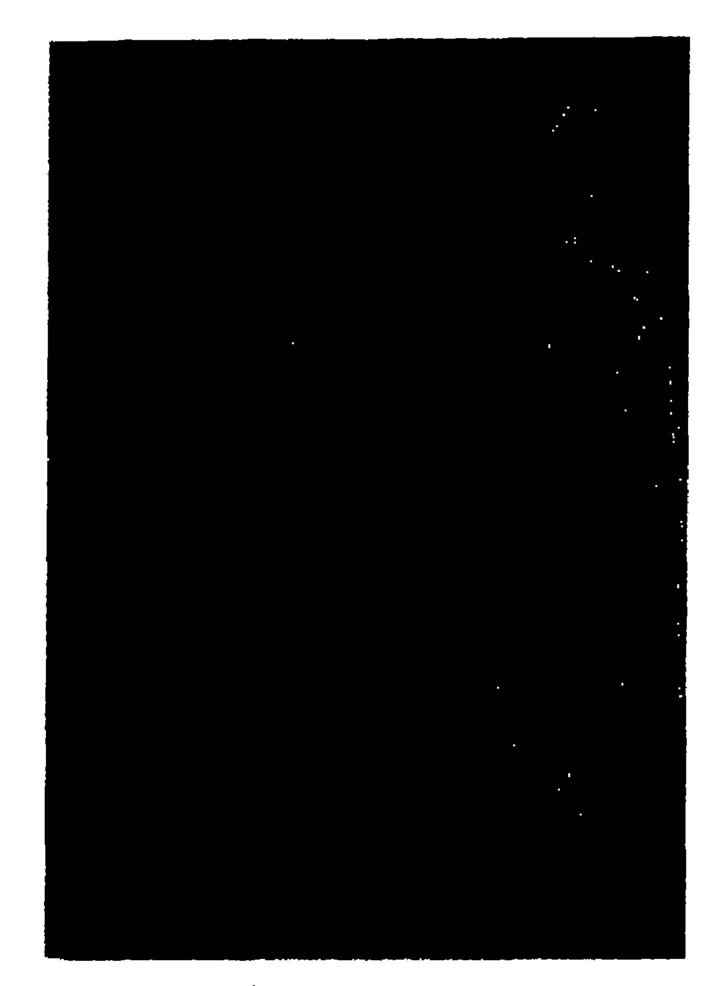


منظر جزئي لفاس أخذ من الجهة الشمالية، وتبدو في الصورة صوامع القرويين، ومشجد الشرفاء، ومسجد الأندلس، وبابه المدرج، وفي نهاية الصورة مسجد أبي حرزهم (سيدي حرازم).

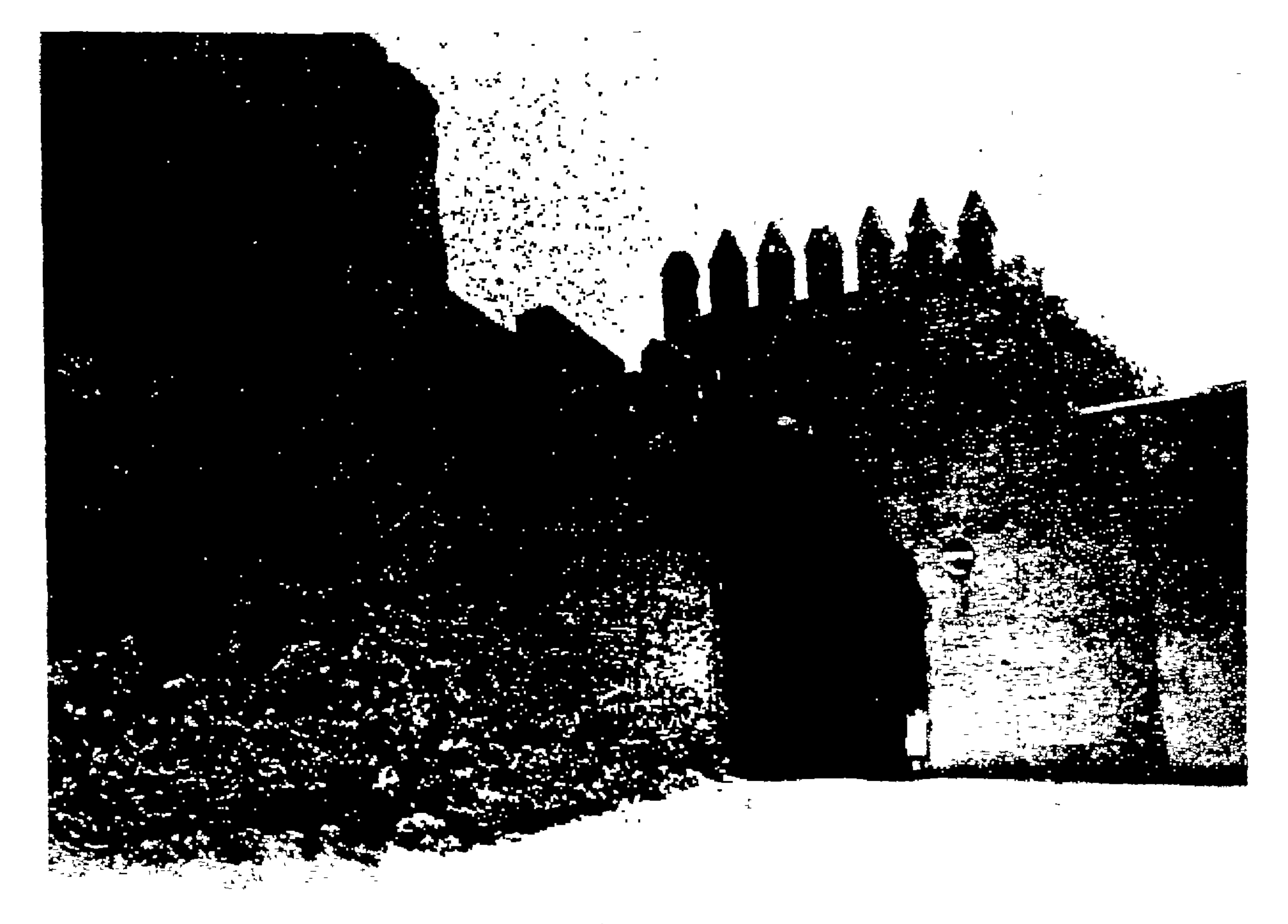
من كتاب جني زهرة الآس.



مئذنة مسجد الشرفا

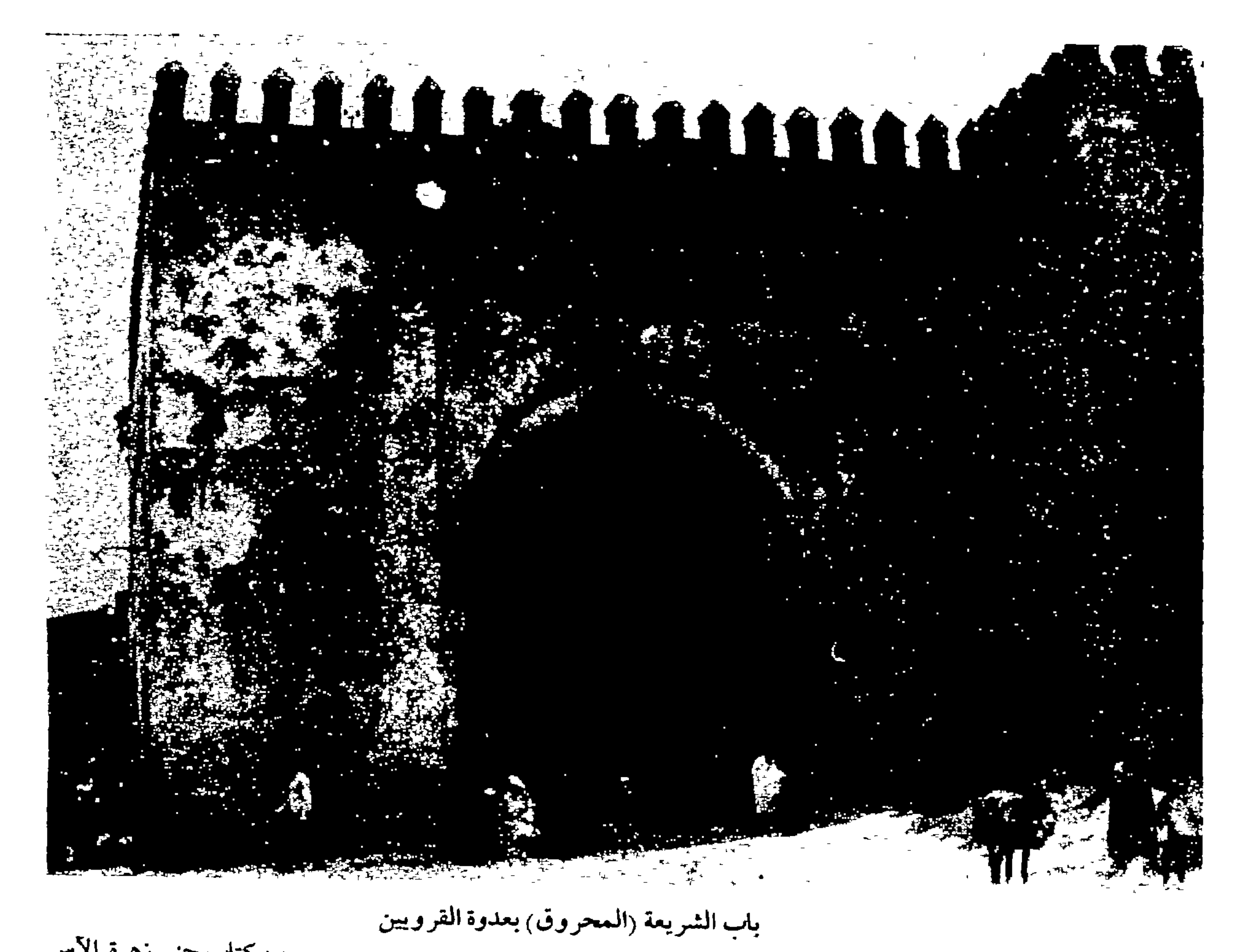


محراب مسجد الشرفا



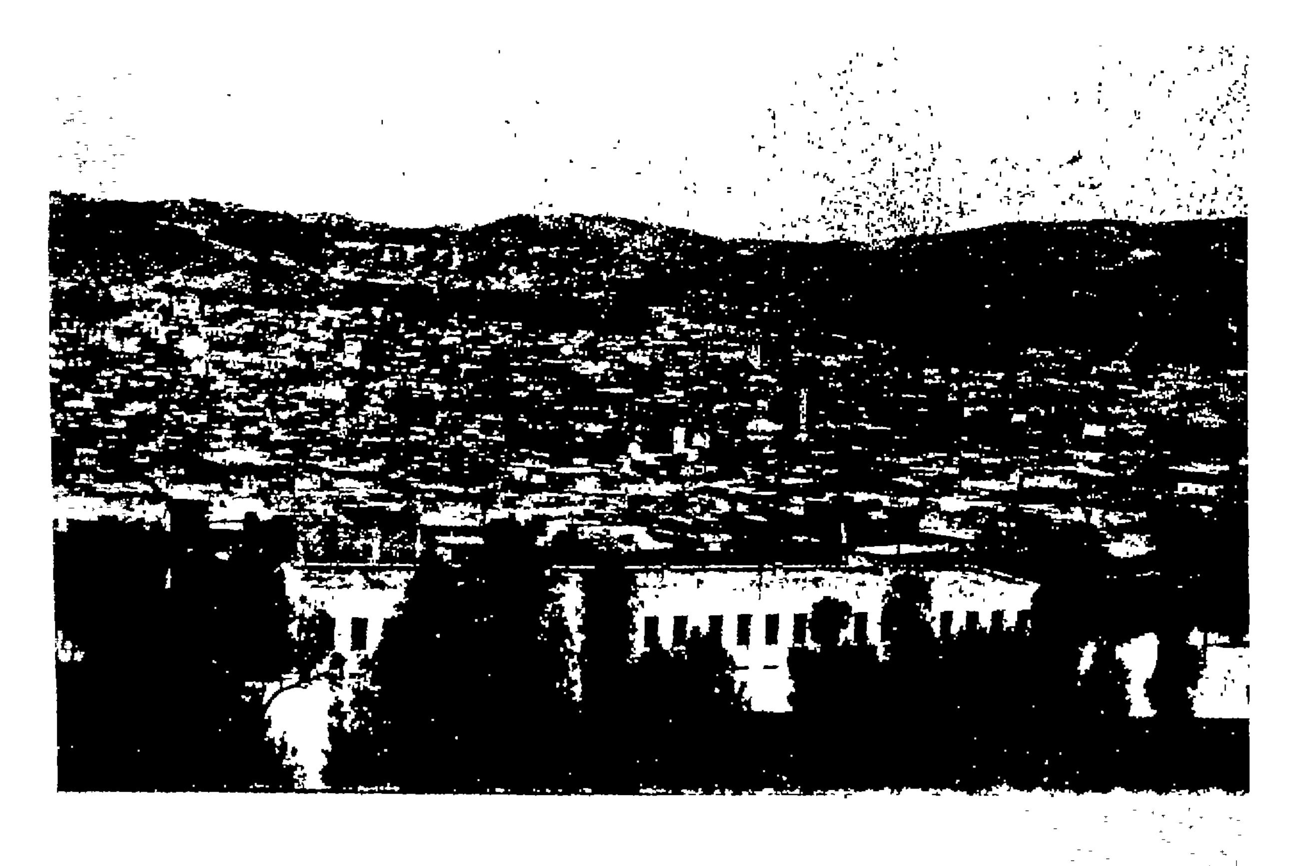
باب الحديد

من كتاب جني زهرة الآس



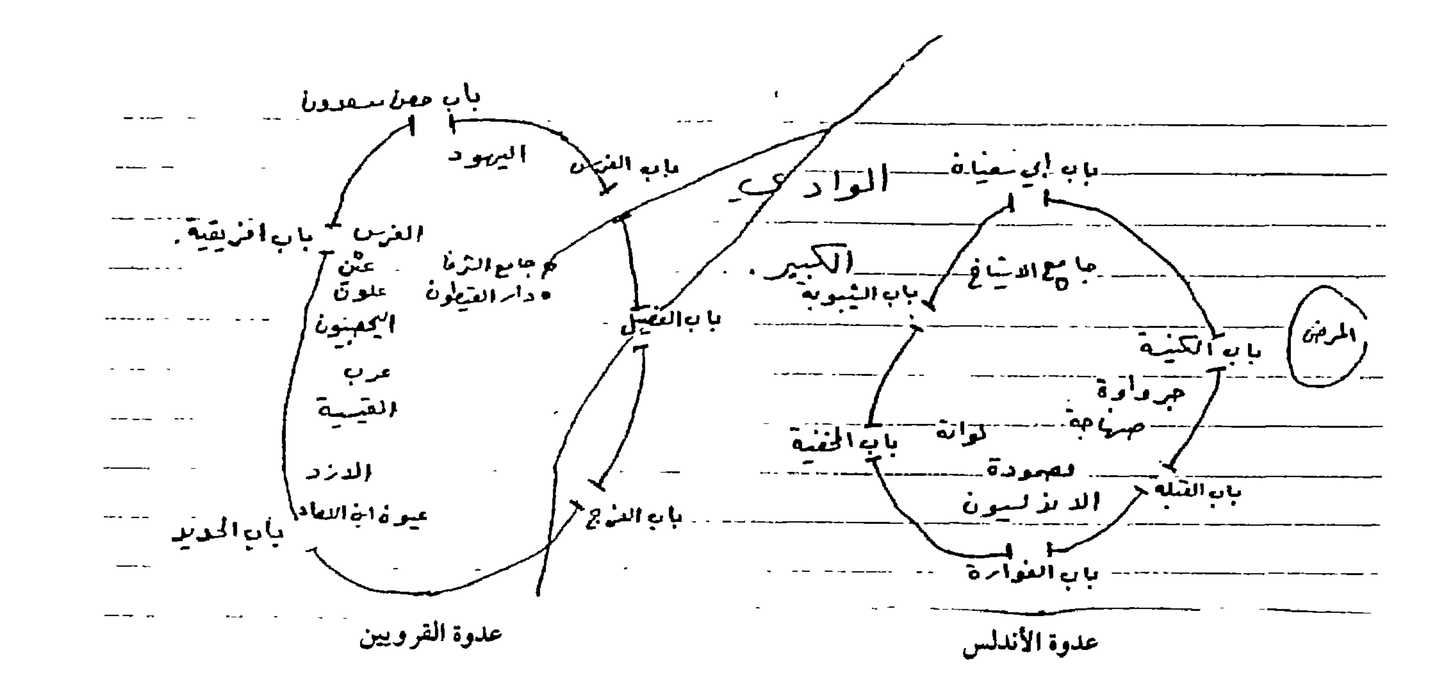
باب الشريعة (المحروق) بعدوة القرويين

من كتاب جني زهرة الآس



منظر جزئي لفاس أخذ من الجهة الجنوبية

من كتاب جني زهرة الآس



مدينة فاس عام ١٩٣هـ/٨٠٩م

فهرست عام

الفصل الرابع